رواية

رِهَام راضي

مِرآة فريدَة

جروب ربيع الكتب
2016/3/6

الرواق للنشر والتوزيع

TW. @Rabe3_elkotob

مرآة فريدة

TW. @Rabe3_elkotob

TW. @Rabe3_elkotob

إهداء

إلى من يشعرني دائمًا وأبدًا بعجز كلماتي مهما خطت يدي، لأنها لن تستطيع أن تعبر عن مدى حبي وتقديري له.. أبي.. السعادة في قاموسي هي أنت يا أبي.

إلى من تحملت الكثير لأجلي وعلمتني كيف أواجه الحياة.. امي.. أدعو الله أن أرضيكِ ما حييت.. أحبك. ☺

إلى حبايب قلبي وأفضل بنات الكون في عيني.. سندي ومن نتقاسما معي حزني وسعادتي وتتحملان عصبية الأخت الكبيرة.. أختاي نور ونشوى.

إلى كل من سيمنحني وقتًا ونبضات من قلبه في قراءة كلماتي.

TW. @Rabe3_elkotob

TW. @Rabe3_elkotob

حياتنا تُشرف على النهاية يوم نلوذ بالصمت إزاء الأشياء ذات القيمة..

مارتن لوثر كينج

TW. @Rabe3_elkotob

TW. @Rabe3_elkotob

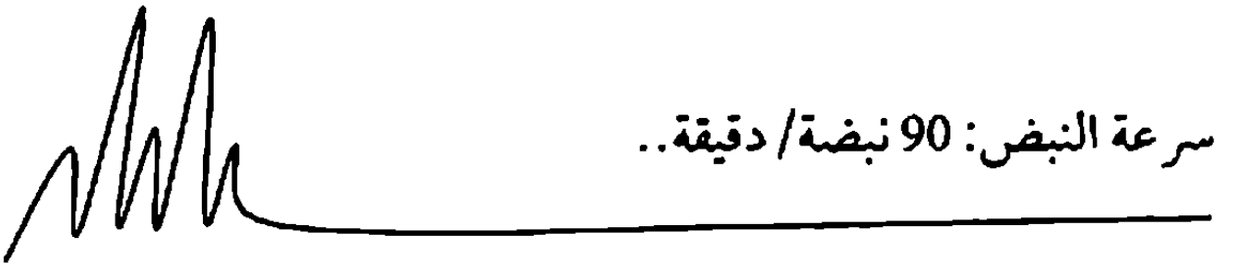

سرعة النبض: 90 نبضة/ دقيقة..

أحيانًا نستيقظ لندخل في غيبوبة تسمى حياة.. وأحيانًا أخرى نغفو لنحيا بعيدًا.. بعيدًا عن كل شيء.. ولكن الأسوأ يكمن في أن نغفو لنحيا أقرب إلى كل ما نريد الابتعاد عنه في الواقع! تصبح أحلامنا وقتئذ تشويهًا لواقع كان في الأصل مرفوضًا، قبل أن تتفنن خلايا عقلنا في تقريبه منا لدرجة نمقتها.. وكأن تلك الأحلام ريشة تعبث في لوحة حياتنا بدقة، دون أن تُلونها! فنصبح في النهاية عالقين بين حالات ثلاث.. واقع مرفوض، وأحلام منبوذة. أما الحالة الثالثة فهي أنا.. أتوسطهما!

.. وعشان أنول كل الرضا.. يوماتي أروحله مرتين.. م السيدة لسيدنا الحُسيييين..

ظهر صوت عبد المطلب، ليخترق صداه نافذة مغلقة بالطابق الثالث في عمارة قديمة الطراز، أخذت زاوية شارع جانبي هادئ بمصر الجديدة.. مكثت أحملق في سقف الغرفة متسائلة، أي لعنة تلك التي تجعلني أستمع إلى نفس الأغنية مرارًا وتكرارًا منذ أن كان عمري 8 سنوات وحتى الآن؟! أتمتم (مين بروح أمه يعني يضرب المشوار ده كل يوم من السيدة لمعرفش فين؟!)، فجأة.. صدر صوت

TW. @Rabe3_elkotob

آخر من شاشة بجانبي يظهر من خلالها أرقام.. ما هي إلا دلالة على تغير الوقت.. لطالما تمنيت امتلاك ساعة شمعية.. تحرق ذلك الوقت ليضيء عالمي.. كان ذلك الصوت مزعجًا للغاية. أشارت ساعة المنبه ـ التي تطورت مع مرور الزمن حتى أصبحت بلا عقارب ـ إلى الساعة 9:00.

إنه التطور الذي يُنقص من الأشياء ضعف ما يضيف..

صمت رهيب تخلله صوت المنبه وبقايا كلمات عبد المطلب، خرج من تحت حافة باب غرفتي المغلقة، ليواجه ممرًا طويلاً.. تفرعت منه غرف أخرى.. وانتهى ليتنفس في صالة منزل، غطت الأتربة نصف أثاثها، عدا بيانو وُضع في إحدى زوايا الصالة، جلست حوله بقايا ألوان غير مرئية.

كنت لا أزال أسمع رنينه، ولم أمد يدًا بعد لإيقافه.. أسمعه جيدًا.. يختلط صوته مع صوت نبض يلعب دور عقارب ساعة اندثرت بداخلي.

لم تنجح التكنولوجيا في أن تمحو صوت دقات تستمع إليها لحظة استيقاظك.. ينتقل صداها إلى كل شيء حولك، ليصبح وسيلة تعذيبbuilt in! قطرات مياه لا أعلم مصدرها وكأنها تخترق منتصف رأسي بلا توقف.. صوتها يعلو طرديًا مع الصمت حولي.

أخذ عقلي جرعات زائدة من الإزعاج ليأمرني بغلقه، ضغطة واحدة فقط أفقدته النطق، أدرت وجهي لأدفنه مرة أخرى تحت وسادة مجهدة من أحلام اختزنتها بداخلها.. وسادة أفضيت لها بالكثير حتى أصبحت تحمل ما لا تحتمل.. صباح لا يختلف كثيرًا

TW. @Rabe3_elkotob

من أمس.. وربما عن غد.. خيوط رفيعة من الضوء تسللت بحرفية لتصطدم بحائط غُلف بذكريات مجتمعة من فترات في حياتي.. بعضها لأصدقاء أسدلت الحياة ستار صداقتهم، وآخرون مجتمعون في صورة وعلى وجوههم ابتسامة نقية مدة صلاحيتها 10 سنوات فقط من تاريخ المولد.. كم أحب تلك الصورة! سُلمت لي قبل انتهاء المرحلة الابتدائية، وليس لدي إثبات آخر بأنني ممن ارتدوا تلك الابتسامه سواها.. أما الصور الأخرى، فكانت لأشخاص أنتمي إليهم انتماءً فريدًا من نوعه.. انتماءً ليس له قواعد أو قوانين.. ولكنه كان غامضًا أحيانًا مثيرًا للتساؤل دائمًا وأبدًا. فترات مختلفة من عمري مع وجوه وابتسامات متعددة. كانت الوجوه ثابتة ولكن الاصطناع كان يغتصب بعضًا من تلك الابتسامات كلما مر الوقت..

وبينما تمر الأيام تلو الأخرى، تُذيب تلك الخيوط الضوئية بعض الوجوه من ذاكرتي.

أخيرًا قررت أن أنتزع رأسي وأن أنفضها من أفكار مبعثرة، إن ارتمت خارج تلك الرأس لتمسكت بخصل شعر طويلة بالقدر الكافي، لنجدتها من أن تهوي أرضًا.. عقل مزدحم يحرك جسدًا بسرعة سلحفاة منهكة.

قمت لأفتح باب موطني.. تلك الفترة مابين الاستيقاظ والاستيعاب.. أنا إنسان آلي (صُنع في الصين). تأخذني قدماي بخطوات مبرمجة لا إرادية لأصل دون أن أعرف كيف وصلت.. فأنظر خلفي في حيرة.. سرت مترنحة كإنسان آلي، تمت برمجته على «اذهب إلى الحمام».. ليظهر صوت آخر هذه المرة أوقفني فجأة.. أطرقت السمع لأتأكد منه، فعدت بخطوات أسرع.

TW. @Rabe3_elkotob

اللعنة على الهاتف.. تسمع صوته يأتيك من كل مكان حولك، ولا تصل إليه إلا بعد الرنة الأخيرة.. كحلمي اليوم غريب كعادته، استيقظت منه دون أن أدرك نهايته. وقفت أتوسط غرفتي بعد أن أصبحت الوسادة أرضًا، وكل ما اخترعته البشرية لسريري.. محاولات بحث تطورت إلى تنقيب.. لأجده يصارع في الظهور من مكان لعين لا يمرر يدي.. محاولات استنفدت فيها الحد الأقصى من طاقتي قبل أن يبدأ اليوم.

«هي بسمة مفيش غير أهلها يقرفني الصبح»، همست وأنا أعاود الاتصال.

نعم هذه أنا.. أحدث نفسي كثيرًا بصوت مرتفع، يعتقده البعض ضربًا من الجنون.. وأنا أعتبره شيئًا آخر! شيء ليس له اسم.. هو فقط اختلاف عن المعتاد. عندما تسألني لأشرح ما أعنيه.. سأرفع يديّ في الهواء إشارة بـ.. لا أعرف! كل ما أعرفه أنه صوت مرتفع لآلاف الأصوات التي قد نسمعها بداخلنا. هل جربت يومًا أن تُحدث نفسك ليجيب غيرك؟ عفوًا، بل لتجيب نفسك مرة أخرى؟! إنه فن لا يعلمه إلا القليلون! Option أن تحمل الأصوات يختلف كثيرًا عن option ظهورها بجرأة منك دون أن تكترث لمن حولك من الفراغ!

عاودت الاتصال لأستمع إلى وصلة بسمة الصباحية..

ـ .. انتي بتستهبلي، طب انجزي عشان الميتنج.. وبعدين أستاذ يحيى كمان شكله قالب فـ نطي فـ لبسك بسرعة ومتتـ..

TW. @Rabe3_elkotob

- بسسسس! صباحك اللي زي وشك ايه الرغي ده.. قلتلك لسه صباحية.. اتنيلي اقفلي عشان أنجز.

أغلقت المكالمة لأرمي الهاتف مرة أخرى.. عقاب لذنب لم أقترفه.. نظرت حولي أبحث عن شيء ما ينقصني.. ثوانٍ من التفكير قبل أن أتذكر.. همست (فين أم السجاير؟!)

* * *

كل ما تبحث عنه لن تراه عيناك عندما تريد.. أحيانًا تتلذذ الأشياء في الاختفاء حتى تُصبح أسمى لديك من كونها جمادًا! لذا.. يصبح قانوننا نحن البشر أن نختفي أحيانًا فور استشعارنا قرب تحولنا إلى جماد.. أي منا ألهم الاخر بذلك.. نحن أم الجماد؟ لا أكترث.

أزحت ستار الغرفة.. فدخل الضوء بتصريح مني هذه المرة. دخان السيجارة يلتف حولي.. أزيحه بيدي لأختلس النظر من بين فتحة النافذة. أحاول أن أرفع عينيّ لتواجه أشعة الشمس.. فتضيق ذرعًا من مواجهتها. لا أحب لحظات الصباح الأولى.. بل أخافها أحيانًا.. لأنني لا أعرف ما سيحمله اليوم.. دائمًا لا أحب البدايات.. لذا.. فور أن تغيب الشمس وينتهي اليوم أشعر براحة غريبة.. فتبدأ الحياة. مضت لحظات أنظر إلى الشارع بلا هدف، لا يزال صوت عبد المطلب يخرج من ذلك المحل الصغير المقابل للعمارة، يجلس صاحبه على كرسيه بكوب شاي لا ينتهي، لا يفعل شيئًا سوى النظر بمينًا ويسارًا.. لا أعرف ما تلك الأشياء العجيبة المتراصة بداخل محله الصغير.. مرّ رجل آخر يجر حمارًا مجهد الخطى مربوط بعربة

TW. @Rabe3_elkotob

خشبية، وهاهي أشياء أخرى بداخل تلك العربه لا أستطيع تمييزها! كل ما أردت فعله هو أن أُشغل حدقتيّ بهذا المشهد المتكرر لأملأ فراغهما، ولكن هذا الأخير صرخ بلا إنذار «بيييكياااااااا»!!

«يخربيت صوت أمك!»، همست لا إراديًا، وأنا أرسل دخان سيجارتي لأتنفسه مره أخرى.. كنت أتابعه حتى اختفى عن زاوية رؤيتي، فألقيت السيجارة خلفه.

التفت لأعطي ظهري إلى النافذة وكل ما أراه منها.. أنظر إلى باب الغرفة.. نظرة بطول عمري.. تزداد طولاً كلما مر الوقت.. إنها البوابة الزمنية ما بين عالمين..

عندما تُصبح غرفتك رحمًا يحتويك وبخارجها أنت طفل كبير لا مأوى له.. تُفكر ألف مرة قبل الخروج لأنك تعلم ما ينتظرك بالخارج.. عندما تُصبح طفلاً مختلفًا لا يواجه العالم بصرخة تُعلن وصوله.. وإنما كلما واجهت الحياة ازداد صراخك صمتًا.

مر الوقت لأقرر الخروج من المنزل بسرعة، تاركة خلفي كوب شاي أخذت عذريته برشفة واحدة دون إكماله.. وإفطارًا أعددته دون أن تمسسه يداي.

* * *

قام يركض نحوي فور أن رآني أخرج من مدخل العمارة.. على وجهه ابتسامة تصل إلى ضرس عقل مخلوع.. يرتدي جلبابًا باهتًا.. يحتاج برهة من التدقيق فيه لتدرك لونه، ولبدة انقرضت صيحتها

TW. @Rabe3_elkotob

... صعيد مصر ولكنه يعتز بها.. حتى إنني أشك أحيانًا أنه لا يخلعها ... النوم.

- صباح الخير يا أستاذة بانار..

- صباح الخير يا عم مصطفى.

- غسلتلك العربية.. خلتهالك عروسة.

* عروسة

علاقة عكسية بين أتربة عقول المجتمع وقيمة نسائه.

- تسلم إيدك.. أجبته ببرود وأنا أقفز في سيارتي.. كان لا يزال واقفًا ينظر لي، فتحت له الزجاج لأسمع ما لديه.

- أنا طلعت خبطت على حضرتك الصبح بدري.. بس مفتحتيش.

أومأت رأسي له أفهمهم دون أن أنبس بكلمة، ليستطرد:

- لا مافيش، أصل عربيتك كانت قافلة على عربية أستاذ طارق.. كنا عايزين بس ننقلها.

كنت منشغلة عنه أبحث عن سماعة الهاتف.. ولكنني أرى شعاع عينيه يخترق محتويات حقيبتي أثناء بحثي.. فضول الغرباء الذي لا

TW. @Rabe3_elkotob

ينتهي كونهم منحوا أنفسهم صفة «أنهم يعرفون اسمك» ليحاولوا بعد ذلك وطأ كل ما ينتمي إليك بنظراتهم!

ـ... ما لما مردتيش خبطت على الداكتور محمد، نزل وشال عربيته من جنب أستاذ طارق.. بس والنبي يا ست بانار متركنيش صف تاني.. أنا اللي بسمعلي كلمتين كل يوم الصبح، والداكتور عشان صحيناه صوته كان جايب آخر الشارع.. هو بس عشان بترجعي متأخرة شويتين مبيكونشي فيه مكان و...

ـ إنشاالله أرجع الفجر.. مش مشكلتك دي يا عم مصطفى.. وبعدين بليز انت احجز لي مكان قدام العمارة، أصل يعني متبقاش عمارة اللي خلفوني وأنا اللي أركن فـ آخر الشارع!

أغلقت زجاج السيارة لأتحرك مبتعدة عنه.. لم أعطه أي فرصة لأسمع ردًا منه.. أمقت تلميحاته التي يلقيها بسذاجة ويتوهم أنها تختبئ خلف كلماته رغم وضوحها.. شيء لا يعنيه إن عدت متأخرة أم لا.. حرية شخصية في مجتمع يعشق التدخل في أدق أمورك.. مجتمع لو بيده لأعطى نفسه حق مراقبة أحلامك، بل.. وانتقادها دون أن تتدخل أنت في واقعه!

نظرت في المرآة.. أراه لا يزال واقفًا يراقبني وأنا أبتعد، وربما لسان حاله يتمتم «بنات آخر زمن، أي والله!».. أستطيع أن أشتم تلك الكلمات منه عن بعد.

* * *

شوارع القاهرة المزدحمة ترحب بي ودرجة الحرارة ألف.. أتعلم

TW. @Rabe3_elkotob

لك الحالة شديدة الندرة إذا ما قورنت بدول أخرى في العالم، ندرة أفيال الماموث! تشعر بحالة تحرش جماعي لسيارتك.. نكتفي بصوت كالكس ممتعض، وسط سيمفونية قبيحة من الكالاكسات التي تنتقل بالعدوى، ليضغط الجميع في آنٍ واحد.. فيخترق الحاجز الصوتي! عدوى أسرع من انتشار سرطان في جسد متهالك. مهمة مستحيلة لتصل إلى مقر عملك أو حتى إلى اللحد! في الحياة أو الموت.. الكل سواء في الطريق.. سيصل قائد سيارة الإسعاف المتذمر فور أن يلفظ المريض أنفاسه الأخيرة.. أسلوب قيادة مختلف يُدرّس في كواكب أخرى اكتشفتنا قبل أن نكتشفها. نجد سائقًا أمامك يختلف مع آخر، ليقف ساعة حداد على دقيقة أُهدرت من وقته! وبالتالي نقف جميعًا لمشاركته.. من أكثر منا شعبًا بعشق المشاركة رغم أنه لا يتفق في شيء مع الآخر سوى اختلافه عنه؟! أجدني دائمًا وأبدًا وسط هذه الحالة المرورية التي لا تسمح بالمرور.. مغلقة زجاج سيارتي.. أُخبئ عينيّ تحت نظارة شمسية.. سوداء بالقدر الكافي.. لتُخبئ بدورها نظرات غاضبة.. معترضة. أستمع إلى موسيقى لا تتناسب مع ما أراه من ازدحام. نظرت في ساعة السيارة، لأُدرك أنه في الوقت الذي يتشاجر فيه أمامي سائق تاكسي مع شخص آخر، هو وقت انتهاء الاجتماع مع أستاذ يحيى..

ولأن الاجتماع قد انتهى فإنه ـ ولسبب علمي لا أعلمه حتى الآن، في العلاقة بين ما نريده وما يحدث على أرض الواقع ـ كل شيء سيمر سريعًا وفجأة ستخلو الشوارع من الازدحام فور أن ينتهي ما أود اللحاق به أو.. فور أن يرحل من أريد الوصول إليه.

* * *

وصلت إلى مقر عملي في المهندسين في وقت قياسي إذا ما قورن

TW. @Rabe3_elkotob

برحلة طيران من مطار القاهرة الدولي إلى إيطاليا «إن لم أفوت موعد إقلاعها». أدخل المكتب مرتدية ابتسامتي المعهودة كربطة عنق، لأواجه بها باقي الزملاء بالمجلة. كانت أبواب الدنيا أول عمل ألتحق به فور تخرجي في كلية الإعلام.. والتي كانت بدورها بابًا لي بعد ذلك إلى دنيا مختلفة.. اقتحمت عالمها حتى أصبحت جزءًا من تكوينها طوال سنوات.. سرت نحو مكتبي الذي انفصل عن باقي مكاتب المحررين بفواصل زجاجية تُشعرني بخصوصية زائفة. فممرت ببسمة، استندت على مكتبها، لآخذ رشفة من كوب النسكافيه الذي أمامها.. «ايه ده يا بسمة؟ حاطة عشرين معلقة سكر؟»

رفعت رأسها تنظر لي باستغراب واضح، وكأنني أحدثها بلغة الشيميهوفي.

ـ انتي بتستهبلي.. اتأخرتي جدًا.. قابلي بقى!

ـ فكك.. ايه الدنيا؟ حصل ايه في الميتنج؟

نظرت بسمة يمينًا ويسارًا لتقفز من كرسيها، وتجرني من يدي إلى زاوية بعيدة بالمكتب.

ـ بايا انتي بجد بتستهبلي. قالتها بصوت منخفض وعصبية في ملامح وجهها صارخة.. ثم استطردت:

ـ انتي عارفة إن يحيى كذا مرة علق على موضوع تأخيرك ده.. مش معقولة يعني ميتنج بيحصل مرة فـ الشهر، مش قادرة تيجي على نفسك وتيجي بدري عشان تلحقية، أنا معرفش بجد هو ساكت عليكي ازاي لحد دلوقتي.. مكنش ينفع خاااالص إنك

TW. @Rabe3_elkotob

أ .ر ت النهارده.. لو شفتي كان عامل ازاي.. قعد يزعق فينا قد ...ه يعني.

- ابيييه ابيييه كل ده.. أنا مال أهلي يعني؟ هو بيزعق بسببي؟!

- نلاقيه عشان الحوار الفكسان اللي عمله فادي العدد ده. وبعدين .ي عادة بيزعق زي صباح الفل. Peace يا بسمة.

.. «صباح الخير يا ابو حميد».

- رككككزي معايا أنا بكلمك.. انتي كمان بتسلمي عالناس ومش باصالي أصلاً! وصباح الخير ايه انتي شايفة الساعة كام؟! وبعدين حوار فادي ايه؟! انتي بتألفي يا بنتي، يحيى مش هيخلي حاجة تتنشر لو مش عاجباه.. ده انتي مستفزة بجد. بكلمك عنك أصلاً وانتي تقوليلي فادي؟ آه على فكرة بقى، حواره مش فاكس.. متفلليش من شغل غيرك!

- انتي مجنونة يا بنتي؟ ورحمة أمي انتي مجنونة.. أنا بخمن هو متنرفز ليه. هو متنرفز علطول أصلاً.. ماهو ساعات بيوافق على حاجات تتنشر وبعدين يجمعنا عشان يتتقد اللي بنعمله.. هو ده يحيى بعني.

- تصدقي.. تصدقي أنا فعلااا غلطانة اني خايفة عليكي.. أنا غلطانة.

*** أنا غلطانة**

ثمة كلمات ننطقها أمام الآخرين بخبث يتوارى خلفها.. فتصبح وقتئذ كطلسم يتوهم الآخرون عكسه.. تلك الأكذوبة التي ابتكرناها بصدق.

TW. @Rabe3_elkotob

تركتني بسمة في غضب عائدة إلى مكتبها.. فتسمرت في مكاني مكتوفة اليدين.. أتابعها وهي تسير مبتعدة بخطى جندي إنجليزي، وصوت كعب حذائها يدب الأرض غضبًا كقرع طبول آكلي لحوم البشر.. لم أرَ في حياتي شخصًا ينطبق عليه Drama queen مثلما رأيت في بسمة.. تتمتع بالعديد من الصفات التي تجعلها تحصل على هذا اللقب باكتساح مبهر. لكن.. ورغم خلافي الدائم معها، إلا أنها من المقربين لي في المجلة، فقد كانت نفس دفعتي في كلية الإعلام، وسبب التحاقي بالمجلة بعد أن رشحتني لرئيس التحرير أستاذ يحيى مهران، كونه صديق والدها.. تنتقدني دائمًا، ولكن لا يمر يوم دون أن تحدثني نصف ساعة أو أكثر عن أحمد زوجها.. قصة الحب التي حضرتها أذني منذ اللحظة الأولى، حتى تُوجت بزواجهما منذ عام.. ولم تتوقف أحاديث بسمة أو تقل بانتقال خاتمها من يد لأخرى.. بل تطورت لتحكي لي عن موقف مضحك قام به أو لانجيري أعجبها في مول سيتي ستارز، أو عن أكلة فشلت في إعدادها، أو عن خناقة تافهة أو أن تستشيرني في مشاكل.. إلخ. فقرة يومية في حياتي عن بسمة وأحمد.. أستمع عادة بلا تعليق. ذلك النوع من الصداقة الذي يُطلق عليه أحيانًا «صداقة من طرف واحد».. عندما تعلم جيدًا المادة العلمية التي سيتحدث عنها صديقك بعد جملة: «شفت حصل ايه النهارده؟» هو نوع مختلف حقًا.. يتقدك في كل أفعالك وفجأة يأخذ رأيك في أمور يعلم مسبقًا حلولها، فيستمع ليُنهي قائلاً «عندك حق.. أنا قلت كده برضه!» لتُدرك وقتها أنه لا يستشيرك بل.. يستخدمك لتستمع إليه!

ـ أعملك حاجة تشربيها يا أستاذة.. قطع صوت ساعي المكتب تفكيري.

TW. @Rabe3_elkotob

ـ آه، هاتلي شاي يا رجب من غير سكر.. من غير سكر يا رجب، اه ارح كان.. مش عارفة أقولك كان ايه صراحة!

ضحك لتضيء أسنانه بشرته السمراء، ثم أومأ رأسه بانحناءة مهودة تؤكد لي دائمًا أنه سينفذ ما يريد..

تركني.. فسرت خلفه عائدة إلى مكتبي، ولكني وقفت فجأة.. مررت أمام بابه للحظات.. أنظر إلى كلمة «رئيس التحرير» المعلقة على الباب للتذكرة، وما ينتظرني خلف هذا الباب.. حاولت التنبؤ بما سألقاه.. أخذت نفسًا عميقًا كافيًا لسحب هواء غرفة مغلقة، ثم قرعت بابه مرة واحدة.. بوابة زمنية أخرى..

ـ ادخل..

* * *

وقفت أمام أستاذ يحيى الذي انشغل بقراءة صحيفة لم تظهر سوى أعلى رأسه.. ولم يزيحها بدوره ليرى من يقف أمامه.. لملمت خصلة نائهة من شعري وأنا أنظر إليه في صمت.. ثم أشحت وجهي بعيدًا عنه.. أعرف جيدًا أنه يعلم أنني بينار دون أن يراني.. دارت عيناي بغرفة مكتبه.. أوجه نظرات شاردة إلى شهادات تقديرية زينت حائطه.. لا أملّ من قراءتها كلما دخلت.. تختلف غرفة أستاذ يحيى في طرازها عن باقي أقسام المجلة اختلافًا جذريًا.. تتسم بأصالة في أثاثها.. خشب بني عتيق تشعر بثقل حجمه دون أن تحمله.. ضخم قديم الطراز.. المكتب الذي يجلس عليه صُمم بحرفية ودقة.. به نقوش غريبة في زواياه.. يراودك إحساس بأن مالكه فاروق الأول أو ربما حصل عليه في مزاد لبيع تحف نادرة. حتى كرسي الاستقبال أمامه.. تشعر بأنه يجب أن ترتدي طربوشًا قبل أن تجلس عليه.

TW. @Rabe3_elkotob

ولا أدري لم لا يغير مكتبه بآخر مودرن، «ويا سلام لو أسود بدل البني ده»، أهمس بداخلي.. على يمينه وضع مكتبة تراصت بها كتب مختلفة، تُعبر عن شموخ كاتبيها وسمكها يعكس فكر من اقتناها. لا يدل على وجودنا في الألفية الثانية بداخل غرفة مكتبه سوى جهاز الكمبيوتر، والذي قلما يستخدمه.

ـ أفندم يا أستاذة.. قالها وهو ينظر لي من جانب الصحيفة.

ـ مفيش يافندم، أنا.. أنا بس بعتذر لحضرتك عشان محضرتش ميتنج النهارده.

استفزت كلماتي أستاذ يحيى، فرمى الصحيفة على المكتب بعصبية وخلع نظارة القراءة ليلقيها هي الأخرى..

ـ داااا تهريج يا بينار.. انتي بتعتذري؟ لا بجد يعني بتعتذري ليه؟ احنا خدامينك هنا تيجي وقت ماتحبي!

أكره السخرية، بل أمقتها بشدة. خاصة عندما تكون سخرية ذات رائحة لا تتبخر في الهواء! كائن غير ملموس وليس مرئيًا، ولكنه يصطدم بك ليطيح بمبرراتك.. ككائنات أخرى من الأحاسيس التي نصطدم بها فتصيبنا بارتجاج أو كسور لا تلتئم. الخطأ في أنني لم أحضر اجتماعًا سخيفًا أم لأنني أتأخر بشكل شبه يومي. أم أنني تأثرت بكلمات بسمة «فين المشكلة لا مواخذة؟ ايه الدراما دي!»، قلت ذلك له في صمت، لم أجرؤ حتى أن أهمس بصوت منخفض. كانت هذه الكلمات كتلك التي لا نجرؤ على البوح بها.. نعتلي لأجلها منصة عقولنا لننطقها في صمت مسموع.. حوارات داخلية تعبث في خلايا وجوهنا فنشعر بألف تعبير وجه خلف جدار يواجه جدران أخرى من وجوه البشر.

TW. @Rabe3_elkotob

اقتربت خطوتين لأجلس على الكرسي أمامه..

ـ يا فندم أنا عارفة إني مش مواظبة قوي زي بقية زمايلي، بس أنا مش مقصرة فـ شغلي فـ حاجة.

ـ ولا هما مقصرين يا بينار.. في حاجة كده ابقي دوري عليها فـ النت بتاعكم ده اسمها انتظام، أو ابقي اعملي تحقيق عنها! انتي بنوتة شاطرة جدًا لكن انتظام فـ مواعيدك.. أشار بيده ليرسم لي في الهواء علامة (x).

.. أصبح الهواء محملاً بسخرية وx..

ـ بصي أنا مش هتكلم كتير، انتي بقالك كده فترة بتدلعي وأنا سايبك براحتك، بس على رأي الست.. إنما للصبر حدود، ماشي يا أستاذة؟

ـ ....

ـ ماااشي؟

ـ أوكيه يا فندم.. ماشي.

ـ يلا روحي على مكتبك..

خرجت لأغلق الباب بسرعة حتى لا يتسرب ما تبقى من حديثنا خلفي.

لا أفكر في أي شيء سوى احتياجي لتدخين سيجارة. أتعرف ذلك الشعور الغريب الذي قد يظهر بلا استئذان ليُغلف يومك في العمل؟ فترى الملل متشبثًا ومعقدًا ينبثق من كل شيء.. يحيك حولك خيوطًا عنكبوتية.. تشعر وقتئذ لو أن باستطاعتك أن تزيح

TW. @Rabe3_elkotob

كل هذا الهراء بيدك لتخرج هاربًا.. ذلك الشعور الذي يأتيك لتلملم أغراضك وتركض كأنك مطارد.. لا تنظر خلفك لإنك تعلم جيدًا أنه لا أحد يطاردك سوى ظلك. يمر الوقت ببطء هكذا دومًا.. أتابع ما وراثي من عمل وأبحث خلف شخصية سأحاورها.. حتى شعوري بلهفة مقابلة أحد الفنانين أو الشخصيات المرموقة.. قد زال.

* * *

ـ عملتي ايه يا هانم؟

جاء صوتها من فوق رأسي فجأة.

ـ ولا حاجة.

ـ ولا حاجة ايه؟ مش دخلتي ليحيى؟

نظرت لها نظرة لا تحمل إجابة.. فسحبت كرسيًا لتجلس بجانبي ثم استطردت:

ـ طيب بقولك ايه.. عايزة أسألك على حاجة.. الأسبوع الجاي الـanniversary بتاعي أنا وأحمد. عايزة أعمله مفاجأة.. تفتكري أعمل ايه؟

ـ يخربيت كده.. لسه أسبوع يا بسمة.

ـ الله! مانا لازم أحضر.

ـ تحضري ايه بس.. أقولك حاجة والله كنت لسه بفكر فيها من كام يوم.

ـ هاااا.. قولي قولي.

TW. @Rabe3_elkotob

ايه رأيك نعرض على يحيى يدينا صفحة فـ المجلة.. تبقى ليكي
إ م وسي أحمد بتاعك ده، نكتب أخباركم؟

- انتي بتهرجي يا بابا؟!

- هههههه. طب والله تزودي من مبيعات المجلة.

- تصدقي أنا غلطانة. مانتي صايعة كل يوم فـ مكان، قوليلي
مكان جديد نخرج فيه.

- ايه ده انتي عايزة حاجة بره؟ آآآآآه أوكيه.. ده أنا كنت هاقولك
لي special day كده فـ البيت، تولعي شموع، تولعي فيه.. كده
يعني.

- والله ما هرد عليكي.

- بهزر بلاش الـ face ده.. هفكرلك حاااضر. صحيح شفتي
الصورة اللي نزلتها ع الـ فيس بوك امبارح؟

- آه يا صايعة شفتها الصبح.. مانا كتبتلك comment دي كانت
فين.

- فـ purple.. أنا والجروب بتاع شيري.

- برضه clubs تاني.. والله شيرين دي اللي هتوديكي فـ داهية،
ماليكي انتي مقضياها سهر معاها.. شكلك مش ناوية تتلمي أبدًا.

- لا أنا مبسوطة كده peace.

* * *

مر الوقت لأعود إلى المنزل.. مكثت لحظات أفكر في أخذ حمام

TW. @Rabe3_elkotob

دافىء والاستعداد لبدء اليوم بشكل مختلف..

إلا أنني ارتميت على الأريكة دون أن ابدل ملابسي.. أبحث عن ريموت التليفزيون الذي قد حُشر بين وسائدها. أخذت أقلب بين قنواته.. اعتلت قداماي المنضدة التي أمامي ثم أشعلت سيجارة لأسحب سمها مغلقة العين أستمع إلى فيلم jerry Maguirc.

You had me at Hello..

لا أدري كم مرّ من الوقت.. أيقظني جرس الباب لأسمع هذه الجملة من الفيلم.. فتحت عينيّ بصعوبة لأشاهد اللقطة الاخيرة .. رن الجرس مرة أخرى.. أشعر بتنميل في جسدي، أريد أن أستنسخ مني جزءًا ليقوم ويفتح الباب بدلاً عني. خلايا جذعية منك تكون إنسانًا آخر ليصبح عبدًا لك ولن ينقلب عليك يومًا، فهو أنت.. أرى المسافة بين باب المنزل والأريكة بضع آلاف من الكيلومترات.. قمت مجبرة.

«شيرين»، همست سرًا ما أن رأيت وجهها من العين السحرية وهي تخرج لي لسانها «بعبط» معهود.

ـ ايه يا بايا سنة بخبط؟! بكلمك تليفونك مقفول.

ـ مش عارفة تلاقيه فصل.. أنا نمت مدريتش بنفسي.

ـ مانا قلت أعدي من تحت البيت.. لو لقيت عربيتك أطلع.

دخلت شيرين لتخلع سترة بدلة ارتدتها لساعات.. ألقتها على الأريكة ثم ارتمت بجانبها.

ـ شيري.. أعملك شاي معايا؟

ـ لا.. لا أنا سيكا ونازلة.

TW. @Rabe3_elkotob

ـ عنك.

وقفت في المطبخ، أنظر إلى التوست الذي تركته قبل خروجي من المنزل.. أخذت قضمة منه إشفاقًا عليه.. لحظات ثم دخلت شيرين خلفي.

ـ سجايري خلصت، معاكي سجاير؟

ـ آه بره فـ الشنطة. خرجت شيرين لتركض خلفها كلماتي: ولا لأ صحيح.. هتلاقيها عالتربيزة.

سحبت سيجارة ثم عادت لتُشعلها من المطبخ. سحبت نفسًا منها وهي تتابعني وأنا أغسل بعض الأكواب المتسخة.

ـ عملتي ايه النهارده؟

ـ مش عارفة أقولك ايه يا شيري، يعني يوم مالوش أي تلاتين لازمة.. رايحة مش شايفة قدامي أصلاً.. منمتش كويس بسبب أهلك طبعًا، ويحيى كمان كان قالب وشه عشان اتأخرت وأي كلام.. رجعت اتدلقت عالكنبة زي صباح الفل كده.

ـ هممم.. طيب احتمال أنزل النهارده أنا وحسام وياسر، هتيجي؟

ـ لا ماليش مزاج.. وبعدين هتنزلي امتى؟ انتي أمك رمت عليوبتك خلاص؟

ـ مامي مبقتش تتكلم، زهقت بمعنى أصح.. وابويا واخواتي انتي عارفة مبشفهمش أصلاً.. امبارح محدش even خد باله أنا رجعت امتى.

TW. @Rabe3_elkotob

قاطعتها عندما تذكرت سهرة أمس:

ـ شيري مقولتليش صحيح.. حسام منطقش امبارح؟

ـ ده ابن كلب.. خدتي بالك حاولت أهزر وأرقص مع صاحبه الرذل اللي كان معاه امبارح ده، وهو ولاااا الدموع، he is fucking بارد.. المهم صاحبه أصلاً كان بيجر معاكي، وانتي ولاااا هنا.. فـ اللالا لاند.. انتي عارفة صحيح صاحبه ده كان معانا فـ المدرسة.

ابتسمت ظل ابتسامة.. ممسكة بيدي كوب الشاي وباقي التوست، خرجت من المطبخ.. تبعتني شيرين.

ـ جو رخيص قوي يا شيري يعني ـ فين أم الريموت ـ ماهو أصل انتي غبية. الولد ده أول مرة يخرج معانا، وانتي كنتي over معاه، تفتكري يعني حسام هيعمل ايه.. اهو سايبك براحتك.

ـ بقولك ايه يا بايا.. يعمل ولا ميعملش.. أنا ولا فارق معايا.. هو اللي كلمني بعد شغلي وقالي ننزل النهارده.. وهو اللي دايمًا بيكلمني.. أنا مبجريش وراه يا بيبي.. أديني بقضي وقت واتبسط وبلاقي حد اصطبح معاه.

ـ ضايعة!

ـ and proud.. يلا فكك.. أنا هنزل عشان ألحق أروح آكل أي حاجة وأنزل.. لو غيرتي رأيك كلميني.

ـ أوكيه.

ـ ciao.. قالتها وأرسلت قبلة في الهواء، ثم سحبت سترتها وحقيبتها ورحلت.

* * *

TW. @Rabe3_elkotob

خرجت شيرين.. تركتني أتابع شاشة تليفزيون لا أرى منها شيئًا.. أحتضن بكفيّ كوب شاي قد انتهى. قمت لأخذ حمام دافئ.. مرّ الوقت بطئًا.. خرجت من غرفتي متجهة بخطوات واثقة نحو البيانو.. هواية سرية موروثة. من يدخل المنزل لا يلتفت إليه وكأنه تحفة أثرية لا تُستخدم.. فقط للعرض. لم أعزف أمام إنسان قط سوى أمي و.. أيمن.

سحبت الكرسي الصغير الذي وُضع أمامه لأجلس، ثم أزحت ذلك الغطاء الذي احتمت بداخله مفاتيح بيضاء وأخرى سوداء.. لونان فقط ينتج عنهما أحاسيس بألف لون. عندما أبدأ بالعزف لا أفكر في شيء سوى.. كل شيء! شعور يعلمه جيدًا بيتهوفن وموتسارت وشوبان وشوستاكوفيتش وكل من عزف ولو لمرة في عمره.. كنت كلما أطلت في عزفي تزاحمت حولي أفكار تُنصت. أُغمض عينيّ لأرى. أبتسم فأحزن. أتنفس هواءً فتسحبه أناملي.. تبثه بداخل مفاتيح البيانو، لتُخرج موسيقاه. لا يستمع لي أحد سواي، أُعطي ظهري لكل شيء. انغمست في عزفي فتراقصت أمام عينيّ ألوان مختلفة عما اعتدت أن أراه.. ألوان ترسم لي دوائر فارغة يزداد اتساعها كلما ازداد عزفي. أغمضت عينيّ بعنف لأطاردها في ظلمة جفوني. ولكنني فجأة مللت مطاردتها. توقفت يداي.. فتحت عينيّ.

ـ أيوة يا شيري، نزلتوا؟ قاعدين فين؟

* * *

TW. @Rabe3_elkotob

TW. @Rabe3_elkotob

كل تلك الأشياء البعيدة التي تراها، لن تراك مهما أشرت إليها بيدك.. كل تلك الأشياء البعيدة هي في الحقيقة تقع خلف أشخاص آخرين يشيرون إلى ما هو أبعد منها.. قليلون فقط قد يحالفهم الحظ ليصلوا دون إرادة منهم إلى أشياء أخرى لا تراها سوى أعينهم.. ولن يُصبح في مقدور سواهم رؤيتها.. ليشيروا إليها.

ارتديت تي شيرت أسود، وجينز قُدت أجزاء منه على استحياء لتُقدم الموضة لا الزمن! ثم اكتفيت ببالرينا بسيطة سوداء أيضًا، تُثبت وجود حذاء ـ كن بسيطًا عندما تُصبح الحياة أشد تعقيدًا ـ نزلت بخطى سريعة من العمارة، تتابعني عينا عم مصطفى الذي جثم على كرسيه، وبجانبه راديو تغرد فيه أم كلثوم.

«.. وقابلته نسيت إني خاصمته ونسيت الليل اللي سهرته.. وقابلته نسيـ..»

لمحته بجانب عيني فخفت صوت أم كلثوم حتى توقفت حاسة السمع لثوانٍ، لأتظاهر بعدها بشيء لا أعرفه!

TW. @Rabe3_elkotob

ذلك الدور الذي نؤديه أمام الآخرين دون أن يراه سوانا.. فتتوقف لدينا الحواس باصطناع لا إرادي منا، نظرت إلى شاشة هاتفي بلا هدف.. قفزت بداخل السيارة متجهة إلى لاسيستا كافيه في الكوربة.. حيث الازدحام.. مرّ وقت قليل حتى وصلت، لأترك سيارتي في منتصف الشارع، ثم رميت مفتاحها للسائس.

ـ متركنهاش صف تاني!

أجابني بغمزة عين وثقة السائق شوماخر وهو يقفز بداخلها.. «متقلقيش عليها يافندم». مشيت بضعة أمتار، حتى وصلت إلى باب خشبي أسود.. طرازه إنجليزي وبجانبه لوحة سوداء، كُتب عليها بحروف نحاسية اللون la siesta. دفعته راحة يدي ليستقبلني صخب المكان ونادل يرتدي ابتسامة ماركة (انت زبون قديم هنا).. أجبته بابتسامة أخرى مجهولة الصنع، وأنا أرسل نظرات متفرقة كجنود تبحث عن موقع شيرين وسط هذا الصخب.. طاولات تلاصقت.. تصطدم يدك كرجل وتزيد عليها حقيبتك الكبيرة بلا معنى كأنثى، بنصف من تمر بجانبهم، لتضبط تردد لسانك على كلمة (sorry). منهم من لا يُدرك اصطدامك به ومنهم من يرد بابتسامة باهتة its ok وآخر بنظرة حادة تقطعها بالتجاهل قبل أن تقطعك.. شاشه lcd كبيرة وُضعت في موقع استراتيجي بخريطة لاسيستا، لتضمن انعكاسها في كل عين تود زيارتها.. تخرج منها أغاني «ميلودي» بلا توقف.. فينهال عليك سيل من آلات موسيقية، وأصوات بعضها بشرية، وأخرى كأصوات كائنات فضائية استعمرت الآذان بحرفية. تشعر وقتئذ بأن ثمة أطباق طائرة تحلق داخلك. ولكرم أصحاب المكان قد تستمع إلى موسيقي هادئة كـ Background لكل هذا! إنه التقدم.. لِمَ تستمع إلى أغنية واحدة

TW. @Rabe3_elkotob

لساعة ونصف بينما يمكنك الاستماع إلى ألف؟! أدخنة أحجار شيشة تتصاعد في الهواء، لتحدث ثقبًا آخر في الغلاف الجوي لم يُكتشف بعد. موكب رئاسي لحسب الله ألفين وسبعة عشر في عقلك. تتزاحم أفكارك حتى تُمرر تشريفته. ترفيه عن النفس بأسلوب حضاري غير متحضر. ترفيه عنيف يحتاج Panadol Extra 2 بعده.

ظهرت يدها تلوح في الهواء للفت انتباهي التائه..

ـ ايه يا بنتي بقالنا ساعة بنشاورلك.

انحنيت أُقبل شيرين واكتفيت بإلقاء تحية باليد على حسام وياسر.

شيرين بصوت ساخر وكأنها تحاول تقليدي: «أنا ماليش مزاج أنزل النهارده يا شيري»..

ـ مش عايزة أقولك كلمة أبيحة قدام الناس.. وبعدين انتوا التلاتة قاعدين كده.. أنا هقعد فين إن شاء الله؟

قام حسام وكأنه استوعب فجأة وقوفي ليطلب أن آخذ كرسيه، ثم أشار للنادل بإحضار كرسي آخر.

أشارت شيرين بيدها لرجل يمسك بيده وقود رئتيها، وهو مشغول بتظبيط شيشة شخص آخر.. يزيل الحجر فينفخ بداخله، ليتطاير منه رماد يُضفي لمسة ملوثة أخرى. «ياااااا.. بسسسسست.. ولعة هنا بليز.. بايا.. هاتشيشي؟

ـ لا.. هاتي المينيو اللي جمبك ده.

تجولت في صفحات المينيو بلا هدف، أشعر بجوع يعتصرني..

TW. @Rabe3_elkotob

ـ أنا هطلب حاجة آكلها، حد هياكل؟

هزت شيرين رأسها رفضًا وفمها مشغول بالشيشة. ولم يرد حسام بدوره لانشغاله في هاتفه.

فتدخل صديقه ياسر: أنا ممكن أطلب desert عشان متاكليش لوحدك.

مرت دقائق أخرى من الصمت بعد أن انتهى أغلب ما يمكن التحدث فيه قبل حضوري. ليظهر صوت ياسر:

ـ ها tell me، عاملة ايه فـ شغلك؟ انترفيوهات مع فنانين بقى والجو ده؟

ـ يعني.. مش كله كده.

تدخلت شيرين: بايا صحيح.. معملتيش حوار انتي قبل كده مع حماقي؟

أدرت رأسي يسارًا لأرى فيديو كليب أغنية لحماقي في شاشة الـ lcd العملاقة.. فأجبتها بضحك: لاا، محصلش للأسف.

ـ موزز جدًا يعني.

كان حسام لا يزال ممسكًا بهاتفه يكتب لشخص مجهول حضر الجلسة بحروف منه فغادر تركيزه. رفع رأسه ينظر إلى شيرين في صمت، ثم ألقى الهاتف على الطاولة أمامه.

ـ عايزين نسافر.

أجابته شيرين بلا تفكير: واحنا دايسين

ـ احنا مين، أنا معرفش ظروفي.

TW. @Rabe3_elkotob

ـ ظروف ايه يا بايا.. خدي أجازة ولا مستنية تستأذني من حد؟ انتي بطولك يعني.. يانهار أبيض، imagine أبقى عايشة مع نفسي لده، إحساس جامد جدًا.

ضرب حسام بكفيه على الطاولة ليهتز كل ما عليها: آجي أعيش معاكي وش!

ضحكت شيرين على رد فعله.. ولكنني قاطعت ضحكتها:

ـ لا هي على فكرة مش حلوة قوي يا شيري.. ربنا ياخدك يا شيري الكلب حسستيني إن ماليش أهل أكتر مانا حاسة.. وبعدين مانا ساعات بروح لخالتي!

ـخالتك مين يا روح خالتك.. أي كلام.

تجاهلت ردها.. كانت الكلمات تدور بيننا لقتل الوقت.. أُجيب بذهن يفكر في الطلب الذي تأخر.. أو أستمع إلى أحاديث جانبية بين ياسر وحسام حول ماتش كرة.. تطور بهما الأمر إلى حوارات نميمة ـ رجالي ـ عن أحد زملائهما في الشركة التي يعملان بها، أو هكذا فهمت..

.. «لا بس انت غلطان يا ياسر، أنا لما بيكلمني بالطريقة دي.. بديله على دماغ أمه».. أما شيرين فقد كانت قليلة الكلام لا تنطق سوى للتعليق أو السخرية.

هكذا هي دائمًا وأبدًا منذ معرفتي بها. في البداية لم تكن سوى زميلة المدرسة، ولم تكن من المقربين آنذاك، انقطعت علاقتنا لسنوات لتعود بشكل بسيط على الـ فيس بوك.. ثم توطدت بعد وفاة أمي. كنت آنذاك في السنة الأخيرة بالجامعة.. انتهى الأمر إلى

TW. @Rabe3_elkotob

صداقة كتلك التي تجد نفسك فيها مع إنسان يشبهك في اختلافه عنك. ساهم في توطيد علاقتنا وجود شيرين على بعد شارعين من منزلي. ولكن هذا القرب ساهم أيضًا في انفصالي عن أيمن.. لأخرج بعد ذلك إلى عالمها، والذي بداخله أجد عوالم أخرى تُدعى حسام.. هاني.. إيمي.. ياسر.. أحمد وجدي.. إلخ. علاقات متشعبة من شخص واحد.. بعضها غريب والبعض الآخر غامض. كانت دائمًا نسبة الذكورة في علاقات شيرين كنسبة المسطحات المائية في الكرة الأرضية.

بدأ المكان يهدأ من ازدحامه، حيث اقتربت الساعة من الثانية عشرة..

أصبحت الشوارع أهدأ، ولا يبعد منزلي عن «لاسيستا» سوى بضع دقائق في هذا الهدوء.

كدت أن أصل إلى بداية الشارع الذي أسكنه، ولكنني فجأة شعرت بتلاحق أنفاسي بعنف.. وكأن وعيي يحاول أن يغيب بخبث.. بلا وعي مني! محاولاته فقط أشعرتني بقيمته! فتشبث إدراكي بكل شيء حولي.. يتفنن القدر في أن يزيد من قوتي يومًا بعد يوم لثمانية وعشرين عامًا، ثم يسلبني تلك القوة الجسدية في لحظة.. تخيل عندما تهرب منك روحك داخلك لتختبئ خوفًا من أن تخرج بلا عودة. فيزداد نبضك ليبث حرارة في جسدك كمطرقة تدب في جبل جليدي.

تلك الصدمة التي تُصيب رأسك.. فيهتز سائر الجسد بهلع.

أصبحت مقدمة سيارتي في لحظة فارقة كورقة انكمشت في يد القدر.. تتصاعد منها أدخنة لا أعلم مصدرها.. اصطدمت رأسي

TW. @Rabe3_elkotob

عجلة القيادة.. أردت أن أرفع يدي لأُمسك رأسي كي أتحسس مكان هذا الألم القاتل.. ولكني صرخت من ألم آخر لا أعلم مصدره..

قفز من سيارته يركض نحوي.

ـ انتي مش شاااااااايفة؟!

ـ أأ.. أنا آسفة معلش.

أشعر بأن عيني زائغة، وجسدي يرتعش خوفًا، فمال برأسه ليحدثني عن قرب.

ـ انتي كويسة؟

ـ ....

ـ انتي كويسه؟!

ـ آه أنا كويسة. قلت ذلك لأصرخ مرة أخرى بعد محاولة باءت بالفشل في تحريك يدي.

ـ طب انزلي.. انزلي هوديكي بسرعة أي مستشفى قريبة هنا.

فتح باب سيارتي دون أن يسمع أي رد مني، ليأخذني معه بعد أن تجمع عدد ليس بكثير من البشر. ركبت بجانبه، لا أشعر بغرابة ركوب السيارة مع شخص غريب في موقف أغرب. أجلس بجانبه دون أن أراه.. أغمضت عينيّ ليذوب شعوري بالألم. لم ينطق كلمة بدوره حتى رن هاتفه.

ـ أيوة يا بني.. لا خلاص مش هعدي عليكوا دلوقتي.. عملت حادثة.. لا أنا تمام بس شنطة العربية اتفشخت.. قسم ايه؟ لا لا..

TW. @Rabe3_elkotob

اقفل بس دلوقتي هكلمك أفهمك لما أخلص..

كنت أستمع إلى مكالمته ولازلت مغلقة عينيّ.. لم أفتحهما سوى بعد إعلانه وصولنا إلى مستشفى كليوباترا.

دخلت بخطوات مرتعشة إلى الطوارئ.. أود لو أستند عليه ولكنني لا أعرفه.. أنظر إلى علامة ممنوع التدخين التي أُلصقت على الحائط أمامي.. لولاها لما أدركت رغبتي في التدخين الآن.

مرت لحظات حتى أتى ممرض ليقودني إلى أحد أسرّة غرفة الطوارئ.

ـ هو حصل ايه؟ سألني الدكتور وهو يقيس ضغط الدم.

ـ مش عارفة أنا كنت ماشية بس مش بسرعة.. فجأة خبطت العربية.. أنا معرفش ازاي مشفتوش أو يمكن هو...

ـ لا يا دكتور دي كانت سايقة بسرعة جدًا.. قالها الشاب اعتراضًا وهو يتابع ما يقوم به الدكتور.

ـ معلش شكلك مكنتيش مركزة..

ـ ....

ـ 140 على 100.. ضغطك عالي.. هنحتاج نعمل شوية إشاعات بسرعة عشان نطمن.

ـ .. آآآآآآآآآآه.. واضح إن فيه كسر فـ ايدك كمان.

بعد برهة..

ـ عندك كسر فـ دراعك اليمين وارتجاج فـ المخ وشوية كدمات..

* * *

TW. @Rabe3_elkotob

خرجت من غرفة الطوارئ بعد إسعافي أتبع ذلك المجهول الذي صدمته.. منذ ساعة كنت أحاول أن أثبت لشيرين أنني لست تلك الفتاة التي تعيش وحدها، فهناك أقاربي حولي.. وها أنا أقف في طوارئ المستشفى.. مع مجهول.. مشتتة الفكر.

ـ فيه حد جايلك؟ تحبي أستنى معاكي أو أوصلك أي مكان؟

ـ لا لا خلاص، أنا هتصل بأهلي..

استشعر من أسلوب ردي رغبتي في أن يرحل.

ـ طيب خدي رقمي عشان لو حصل حاجة.

نظرت له ولم أحاول إجهاد ذهني بالتفكير فيما يقول.

ـ هاتي موبايلك أنا أكتبهولك عشان إيدك.. سجل رقمه ثم اتصل على هاتفه منه.

ـ أوكيه.. تمام كده.. يلا ألف سلامة عليكي وابقي ركزي.

ـ أنا آسفة فعلاً.. أنا ممكن أصلحلك العربية على...

ـ لا خلاص الحمدلله.. ابقي ركزي بس وانتي سايقة أهم حاجة.

شكرته.. ليسير مبتعدًا.. جلست في استقبال المستشفى، أشعر بإرهاق مختلف من نوعه.. يوم واحد ضم فصول السنة الأربعة وزيد عليهما فصل آخر لا أستطيع أن أحدد هويته.. وكأنه حالة استثنائية اندست في يومي لأجرب ذلك الإحساس بانعدام الجاذبية الأرضية وتوحد ذرات الكون ولون العالم. فصل يكون الهواء فيه صادرًا منك أنت لا إليك.. وكأنك أنبوب أوكسجين غير محكم الغلق. أسندت رأسي على الحائط أفكر فيما حدث لي. أنظر إلى

TW. @Rabe3_elkotob

ما أصاب يدي في حيرة، وإلى الإشاعات التي جلست على كرسي آخر بجانبي.. لا أزال أشعر بحالة دوار غريبة لولاها لقررت العودة بتاكسي ربما! شعور مختلف أن أخرج مجبسة اليد لأشير بأخرى إلى سائق تاكسي..

ـ sorry يا خالتو صحيتك.. ممكن حد يجيلي؟ أنا فـ مستشفى كليوباترا.

ـ مستشفى؟! يانهار اسود.. ايه يا بينار في ايه؟

ـ متخافيش أنا كويسة..

* * *

ليس الغريب فيما يخبئه لنا القدر على بعد ثوانٍ منا.. وإنما حينما نتفكر في كيفية حدوثه لنا، كدت أن أعود إلى المنزل فور خروجي من لاسيستا.. إلا أنني وقفت بضع دقائق مع شيرين، ولا أستطيع أن أتذكر حتى ما قيل في تلك الدقائق.. ولكنني أدركت أنها بضع دقائق تضمن وصولي في الوقت المحدد لاصطدام سيارتي.

فتحت باب الغرفة، لتظهر برأسها أولاً.

ـ مامي كانت بتسألني أشوفك لسه نايمة ولا ايه.

ـ لا أنا صاحية من بدري.. انتي معندكيش جامعة النهارده؟

ـ عندي بس مش هروح.. هو انتي قاعدة معانا لامتى.

TW. @Rabe3_elkotob

ـ مش عارفة. متعرفيش أونكل قال العربية هتقعد قد ايه في الوكيل؟

ـ لا.

جلست ليلى على طرف السرير تنظر لي في صمت. لطالما كانت تعتبرني مثلها الأعلى ـ أو هكذا أعتقد ـ تتمنى من داخلها أن تعيش مثلما أعيش (عايشة براحتي) مثلما تقول شيرين دائمًا ـ هكذا تعتقد!

كنت قد انتقلت بعد وفاة أمي لأعيش في منزل خالتي إلى أن تخرجت من الجامعة. وقتها بدأ إلحاحي في العودة إلى منزلي.. حتى قررت بين يوم وليلة أن أُنفذ بلا استئذان ما أردته.. أصبح كل شيء خانق في هذا المنزل.. حزمت حقائبي ولم أترك خلفي أي شيء قررت الرحيل بلا نقاش.. عدت لأسكن مرة أخرى في عمارة «المهدي».. هكذا سُميت كناية عن اسم جدي مالك العمارة.. كانت كل الشقق مؤجرة عدا شقة خالي.. هاجر منذ زمن إلى أمريكا ليتزوج ويُكمل حياة لا يعلمها سواه.. يُرسل منها أجزاء مختارة في مكالمات هاتفية متقطعة.

كانت ليلى آنذاك لم تتعد المرحلة الإعدادية، ولكنها كانت ترغب دائمًا في تقليدي في كل شيء، فتحاول التحدث مثلي.. أو أن تطلب أن أُمشط شعرها مثلما أُمشط شعري، رغم أنني وحتى هذه اللحظة لا أعرف ما كانت تعنيه بـ(سرحيلي شعري زيك).. ترتدي ما أرتديه. تجوع وقتما أجوع، وتمتنع عن الطعام حين أمتنع.. تريد أن نفقد وزنًا حتى تصبح بنفس وزني.. تقليد ملحوظ كان ينتهي دومًا بتوبيخ خالتي لها (بطلي تقلدي بينار فـ كل حاجة!) ربما اختلفت الآن وأصبح لها شخصيتها المستقلة.. رغم أنني لا أزال أرى نفس

TW. @Rabe3_elkotob

النظرة التي اعتدت أن أراها فيها منذ صغرها. الشيء الذي لم يختلف حقًا عن السنوات التي مضت، هو أن الدقائق تمر كدهور في هذا المنزل الذي شهد خلافات طويلة مع كل أفراد أسرته، حتى زوج خالتي الذي كنت ولا زلت أمقته بلا سبب، وابن خالتي الذي أراد أن يفرض سيطرته على كل ما أفعله حتى تزوج. وهو ما أدى إلى تكرار عرض خالتي أن آتي لأعيش معهم مرة أخرى (أهو خالد اتجوز، خدي أوضته وتعالي عيشي وسطينا)، تجاهلت آنذاك عرضها ليبقى الأمر كما هو عليه. أدمنت البقاء وحدي، ولم أكن لأعود مرة أخرى لأعيش معهم. كنت هكذا منذ صغري.. أعاقب أمي بانعزالي وانطوائي لأنها لم تنجب لي إخوة.. اعتقدت أنني أعاقبها.. ولكنني مع مرور الزمن اكتشفت أنني لا أعاقب سوى نفسي. أصبحت تلك العلاقات الأسرية في قاموسي أمرًا لا يُطاق. مفهوم أسرة لدي غير مفهوم.. أنفر من وجود رجل يُدعى أب يتجول في المنزل كما يشاء، فلم أرَ هذا الكائن طوال سنوات عمري. أنفر من وجود أخوة آخرين سواي. شيء وحيد كنت أعلمه علم اليقين.. وهو وجود أم قليلة الكلام يأكلها مرضها في بطء حتى الشبع.

أدركت مدى حبي لها بعد أن فارقتني.. لم أكن أراها كثيرًا، ولكنني أفتقد أدق تفاصيل وجودها معي.. أشياء ذات قيمة لم أشعر بها إلا بعد اختفائها.. الاستماع إلى خطواتها في المنزل.. استيقاظها مبكرًا لإعداد وجبة الإفطار.. وقوفها بجانبي حتى أُنهي إفطاري.. نظرة عينيها البنية عندما أسألها عن أي شيء.. نغمات عزفها.. لون شالها الأحمر القاتم الذي كان يلتف حولها في الشتاء.. حتى ضحكتها.. كان لها ضحكة مميزة صوتها خافت مبحوح.. كانت قليلة الكلام.. ربما لم تقل لي يومًا «أحبك»، ولكن لم يمر يوم دون

TW. @Rabe3_elkotob

ا، تُقبّلني قبل أن أغادر المنزل. لم أشاركها تجربة أمرّ بها، أو أمر أفكر فيه، ولكنني اعتدت دائمًا أن أبوح لها دون أن أنطق.

أتذكر جيدًا يوم وفاتها. وقفت أنظر إليها في حالة من الصمت الذي اعتدناه ـ أنا وهي ـ صمت كافٍ لإثارة تعجب كل من حولي. لم أبكِ أو أصرخ.. فقط أنظر إلى وجهها.. أتأمل ملامحه.. أدركت ذاك للمرة الأولى مدى التشابه بين وجهينا. كانت هناك خصلات عديدة بيضاء في شعرها لم أرها من قبل.. فشعرت بقيمة بعض الشعيرات البيضاء المتوارية بين خصلات شعري.. أمسكت يدها لأشعر بدفء أبقاه القدر حيًا لي. دنوت منها لأهمس في أذنها كلماتي الأخيرة ثم قبّلتها..

فرت دموع غير مرئية كبركان في روحي، وضعت يدي تحت رقبتها بحركة يملأها ذلك الخوف من أن أوقظ نائمًا، لأخلع عنها سلسالاً كُتب عليه اسمها (منال).. ارتدته طوال حياتها وحان الوقت أن أرتديه الآن ليظل اسمها دائمًا حولي. نظرت له وكأنه الشيء الذي تبقى لي منها، فارتديته ولم أخلعه منذ ذلك اليوم. مرت أيام، شهور وسنوات، ولا أزال أتذكر وجهها في لقائنا الأخير. أنظر لراحة يدي لأرى خطوطًا امتصت الدفء الذي أهدتني إياه.

أتذكر جيدًا عندما فتحت باب المنزل للمرة الأولى بعد أن فارقت أمي الحياة. دخلت بحذر كأن هناك مجهولاً ينتظرني. ذلك الشعور الذي يسكنك بعد اعتيادك البقاء مع شخص آخر أنت منه، ليختفي بلا إنذار مسبق. فتختفي معه ملامح المكان ثم يختلف إحساسك. ترى أشياء جديدة لم تلمحها من قبل كانت تعيش معك لسنوات. وترى أماكن فارغة لأشياء غير ملموسة قد دُفنت مع رفيق عالمك.

TW. @Rabe3_elkotob

هناك أشخاص يموتون بداخلنا رغم وجودهم على قيد الحياة، وهناك أشخاص آخرون يعيشون فينا حتى نموت.

* * *

«انتوا هتفضلوا قاعدين هنا وسايبني لوحدي.. تعالوا اقعدوا معايا بره». قالتها خالتي منى.

خرجنا خلفها أنا وليلى لنجلس أمام التليفزيون. تماسكت لثوانٍ قليلة قبل أن تخرج كلماتي بلا استئذان مني:

ـ ايه ده يا خالتو؟ أخبار عالصبح كده!

ضحكت خالتي بصوت مرتفع:

ـ ده أنهي صبح يا ست البنات.. مش نعرف ايه اللي داير فـ الدنيا يا حبيبتي؟

ـ بايه عندها حق الصراحة.

حدجت ليلى بنظرة غاضبة.. وددت لو تراها.. أكره «بايا» من ليلى.. تميل دائمًا إلى ترقيق اسمي ليصبح يُشبه في نطقه «دايه»! اسمي بينار، وعادة يقال لي «بايا» !for God Sake ك مايا، كحضارات المايا، كأي حاجة! أما خالتي.. لم أعلق بعد كلماتها، فلست أنا المتحكمة في هذا المنزل، لا أمتلك الريموت ولا التليفزيون ولا حتى الفاز غريبة الملامح بورودها المجففة التي اتخذت من سطح التليفزيون عرشًا لها. لا أملك شيئًا في هذا المنزل سوى نفسي..

ـ أنا نفسي أفهم انتي صحفية ازاي.. ده اللي زيك بيبقي علطول بيسمع أخبار.

TW. @Rabe3_elkotob

ـ لا لا، انتي فاهمانا غلط يا خالتو.. أو على الأقل فاهماني أنا
غلط.. أنا أدوش دماغ اللي خلفوني ليه.

(دماااغ اللي خلفوني!!) كررتها خالتي باستنكار.. فضحكت
ليلى ضحكة اختبأت خلف يدها على أسلوبي في الاعتراض.

شعرت وكأنني ألقيت كلمة خارجة تمنعها الرقابة من العرض
في الفيلم الأسري الذي ألعبه منذ ثلاثة أيام.

تخيل هذا.. تعيش بمفردك لسنوات.. يتغير فيها قاموسك.. لا
تخجل من أن تسبّ حذاءً تبحث عنه بأقذر الشتائم أو أن تلعن سائق
ميكروباص في طريقك دون أن يسمع.. تربط لسانك عدة ساعات
أمام زملائك بالعمل لتُخرج طاقتك في طريق العودة.. فتجد نفسك
محاطًا بأصدقاء يسبوك ليمدحوك، لتتحول في النهاية «كعربجي» ابن
ناس.. فيصبح صباحك إن كنت عكر المزاج omg ده صباح ابن...
ابن أي حاجة! أو يصبح كل من يضايقك ابن ستين كلب. ثم تقفز
بك آلة زمنية لتجلس باحترام مصطنع في منزل وسط أقاربك.. يبدأ
عقلك الاعتراض على كل شيء! حتى مذيع النشرة بكرافته موضة
1907 في صمت، فتخرج منك كلمة (دماغ اللي خلفوني) كصدمة
لمن حولك! فيهمس عقلك «الناس دي فايتها كتير».

ـ مش قصدي يا خالتو، sorry..

ـ ليلى.. بقولك ايه، قولي لخديجة تعمل لي كباية شاي وتطلعلي
فراخ من الفريزر عشان الغدا.

قرون استشعاري قرأت في لهجتها أنها تريد أن تحدثني في شيء ما.

قامت ليلى لتجلس كلمات خالتي بلا مقدمات:

TW. @Rabe3_elkotob

ـ بصي يا بينار.. أنا مرضتش أكلمك يوم الحادثة.. حسين كان عايز يتكلم معاكي وأنا قلتلته بلاش.. انتي يا بنتي عاجبك قعدتك لوحدك دي؟ وبعدين عاجبك عمرك اللي بيضيع ده؟ أنا عارفة إنك لسه صغيرة، بس برضه 28 سنة دي كبيرة.

* انتي لسه صغيرة بس 28 سنة دي كبيرة!

هناك العديد من المعجزات في كلماتنا قد تفوق أي شيء آخر.. سنظل دائمًا نصيغ الجمل وفق قواعدنا الخاصة.. لننطق كل شيء وعكسه. ثم نُقر بصحة الاثنين معًا!

ـ انتي عاجبك تصرفاتك يا بينار؟

تنهدت لتوقعي الكلمات التي ستنصب عليّ كسيل من حميم.

ـ هو أنا عملت ايه يا خالتو؟

ـ أولاً مش عايزة تيجي تقعدي عندنا مع إن كذا مرة قلتلك.. زائد إن قعدتك لوحدك دي قدام الناس مش حلوة.. لا أنا ولا خالك حبينا نضغط عليكي مع إن كل ما بيكلمني بيقولي أقنعك.. وحسين أنا بعدته تمامًا عن الموضوع ده.. أنا عارفة إنك بتتضايقي لو اتدخل.

ـ معلش ثانية بس.. خالو مين اللي بيقولك تقنعيني. حضرتك فاكرة أصلاً آخر مرة شفتيه من كام سنة؟ بيدي نصايح من هناك

TW. @Rabe3_elkotob

، هو even ميقدرش يتحكم فـ حياة ولاده اللي احنا أصلاً تقريبًا
، مرفهمش؟ وبعدين هو حضرتك مش لسه قايلة إن أنا كبيرة؟
، هي خلاص أنا فاهمة كويس أنا بعمل ايه.. أنا بقالي كذا سنة عايشة
ا، حدي وأنا كده مرتاحة. صباح الفل..

ـ صباح الفل!!! أنا بقول إنك كبرتي لحاجة تانية انتي فاهماها
، وبس. انتي بتضيعي عمرك مع إنك بنت زي القمر وأي حد
، مناكي. يا بينار.. يا بنتي.. انتي لما كلمتينا بليل أنا وحسين نزلنا
، ي المجانين، وكان قاعد طول الطريق يقول لي هي ايه اللي منزلها
الساعة 12.. وهو عنده حق يا بنتي.

صمت للحظات..

ـ بصي يا خالتو.. عشان بس منتكلمش فـ الموضوع ده تاني.. دي
حياتي وأنا مش بعد ما أعيش عمري كله بطريقة معينة، آجي أغيرها
بين يوم وليلة.. أنا اتعودت على كده، وأنا آسفة إن أنا كلمتكم
متأخر.. بس كنت حاسة إن أنا تعبانة ومكنتش عارفة أفكر أعمل
ايه أو أروّح ازاي.

ـ آسفة إنك كلمتينا!!!! على العموم انتي حرة.. بس انتي زي
ليلى ولازم أنصحك، وأنا متأكدة إن منال الله يرحمها عمرها ما كانت
هتبسط إنك تختاري تعيشي لوحدك..

ـ خالتو انتي عارفة كويس جدًا إن ماما كانت بتسيبني براحتي
فـ كل حاجة، مش هينفع دلوقتي أعمل العكس.. وبعدين أنا بقالي
7 سنين كده.. اتعودت خلاص ومش ناقصني حاجة.

نظرت لي تفكر في سؤال تود أن تنطقه بتردد.

TW. @Rabe3_elkotob

ـ باباكي لسه بيبعتلك فلوس.

ضحكت..

ـ بابايا؟! آه.

اعتدلت في جلستي ليصلها الكلام مباشرة:

ـ مش قادرة أستوعب هو ازاي محاولش مثلاً يكلمني وف نفس الوقت بيصرف عليا.. حاجة غريبة جدًا والله، بس.. كتر خيره.

أشاحت برأسها لتنظر إلى التليفزيون.. وكأنها قررت أن تُنهي الحوار.

ـ أنا هنزل أروّح النهارده.

ـ تروحي فين وانتي ايديكي مكسورة كده.. مش انتي أخدتي أجازة من الشغل؟

ـ آه بس محتاجة أروح البيت.. ممكن يومين كده وأخلي أي حد من زمايلي يعدي يوصلني لحد ما العربية تخلص.

ـ براحتك يا بينار، خلاص خلي ليلى توصلك.

ـ هي ليلى بتسوق كويس؟ أنا مش حمل حوادث.

ـ متخافيش.. أكيد مش متهورة زيك..

* متهورة..

كلمة نقررها وفقًا لما نحمله من معتقدات، قمة التهور لدى البعض هي قمة الرزانة لدى آخرون.

TW. @Rabe3_elkotob

منحتني كلماتها الأخيرة طاقة مفاجئة تجعلني أريد أن أخرج من هذا المنزل الآن..

* * *

جلست بجانب ليلى، أستمع إلى قصص متقطعة، تغتصب تركيزي عنوة. تذكرت لحظة اصطدام سيارتي وصوت ارتطام رأسي، فالتفت أنظر يميني لأمحو ما أفكر فيه. نظرت بعمق إلى كل من يمر بجانبي من عقول تُحرك سيارات، رفعت عيني قليلاً لأُتابع وسائل نقل أخرى تتحرك بأشخاص غائبين عن الوعي بإرادتهم.. أرهقهم الازدحام، فاستسلموا لسائق مجهول. توقفت ليلى لحظات.. ننتظر ضوءًا أخضر باهت اللون يسمح لها بالمرور.

ـ أنا هطلع معاكي شوية.

ـ sure.

ركنت ليلى أمام العمارة في موقع استراتيجي، لم تطأه سيارتي منذ استخراجي رخصة قيادة.. قام عم مصطفى من على كرسيه فور أن رآنا، موجهًا نظرة إلى يدي المربوطة: ايه ده ألف سلامة يا ست بانار..

ليلى: ازيك يا عم مصطفى؟

ـ الحمد لله يا داكتورة.. ايه مالك يا ست بانار ألف بعد الشر!

ـ عملت حادثة بالعربية.. ويعني يوم ما أعمل حادثة ألاقي ركنة قدام العمارة؟

ضحك على كلماتي..

TW. @Rabe3_elkotob

ـ حظك بقى يا ست بانار.. معلش.. هو حصل حاجة للعربية؟

ـ لا سليمة الحمدلله، شوية حاجات.. بس تتصلح. كله بيتصلح يا عم مصطفى.

* * *

دخلت المنزل لآخذ نفسًا عميقًا افتقدته لأيام.. عاد لي منذ أن أولجت المفتاح بالباب.. تبعتني خطوات ليلى بنظرات فضول.

ـ أنا هدخل أغير لبسي.

ـ بقولك ايه يا بايه.. ايه رأيك نطلب...

ـ ليلى.. حبيبتي، بتتقال «بابا» زي مايا كده.. مش «بايه».

ـ هههههه. أوكيه، ايه رأيك نطلب pizza ولا أي حاجة، أنا جعت.

ـ شوفي المينيوهات أنا حاطاها بره جنب التليفزيون.. اطلبي أي حاجة، أنا مش جعانة قوي.

دخلت غرفتي تاركة ليلى.. تناست شعورها بالجوع لتتجول في أنحاء المنزل كمحقق جنائي.. ارتميت على السرير تتابع أذني خرفشتها.. اقترب صوت أقدامها.. دخلت المطبخ لتفتح الثلاجة، لا لشيء سوى لمعرفة ما تحويه. كانت كفأر يعبث في كل شيء. ابتعدت خطوات أقدامها.. حل الصمت لثوانٍ ولكن تمادى عبثها حتى أصابني بتوتر.. جلست أمام البيانو لتضغط على مفاتيحه بشكل عشوائي نتج عنه نشاز الفضول.. انزعجت من كونها تعبث كطفل لا يُطاق، وراودني شعور وكأن البيانو يستنجد بي فخرجت إليها.

TW. @Rabe3_elkotob

ـ طلبتي حاجة؟

نجحت محاولتي في ايقافها..

ـ لا لسه.. قلت أستناكي تشوفي معايا.

قامت ليلى من أمام البيانو لتستطرد.. انتي بقى محدش بيجيلك هنا.

ـ بـ معنى؟

قلت ذلك وأنا أبحث عن الريموت، فرمقت المينيوهات الملقاة على الأريكة ومطفأة السجائر.. «ايه اللي خلاني مشيلش أم الزفت الطفاية»، همست وقد تخيلت ما حدث.. قفزت عيناها إلى مطفأة السجائر التي وُضعت بمنتصف المنضدة أمامها.. وجدت سيجارتين اندثرت ملامحها وسط الرماد.. فألقت مينيوهات المطاعم جانبًا، ليأكل الفضول شعورها بالجوع. قامت لتقترب منها.. أمسكت عقب السيجارة تقربه إلى عينيها وكأن شخصًا ما ترك توقيعًا عليه.

سواء كانت بصماتي أو بصمات شخص آخر هو أمر يصيب ليلى بالدهشة. ما يمت لي بصلة تراه بعدسة مكبرة لتبحث خلفه.. فكرت لثوانٍ قبل أن أعود لأحضر سجائري التي ظلت مختبئة بحقيبتي في الأيام القليلة التي قضيتها عند خالتي. دخلت أُشعل سيجارة من المطبخ. وعين ليلى معلقة بالأدخنة التي سبقت ظهوري. فنطقت:

ـ أنا قصدي صحابك يعني وكده.

كانت عيناها مثبتة بلا حراك.

TW. @Rabe3_elkotob

قلت دون أن أنظر إليها.. ساعات آه ممكن صحابي يعدوا عليا، بس usually شيري أكتر. ليه؟

ـ لا بسأل عادي.. عشان أكيد ممكن تزهقي لوحدك.

أدخن وجانب عيني يرى تحديقها بي. أدرت رأسي فجأة أنظر إليها فانتفضت:

ـ انتي مش هتقولي لخالتو إني بشرب سجاير، مش كده؟

حركت ليلى رأسها بسرعة نفيًا وبحماس، لأنها تعتقد أنني أقاسمها سرًا عني الآن: لا طبعًا، أصلاً عادي، مانا عندي صحابي كتير بيـ..

ـ صحابك ايه؟ انتوا لسه صغيرين قوي.

ـ صغيرين ايه يا بايه.. يا يا بايا.. im 20! حسستيني إنك جدتي!

ـ مش جدتك بس أنا أكبر منك.. وبعدين مش دي مشكلتنا، الموضوع مش بالسن.. متفتكريش إنه حاجة wooow.. أنا عادي بحرق وقتي، مش heavy يعني.

أنا بس بقولك متقوليش لخالتو عشان أنا مش عايزة كلام مالوش لازمة مش أكتر. ولو عايزة تقوليلها برضه.. انتي حرة.

* * *

مضى اليوم لتخرج ليلى عائدة من حيث أتت.. شعرت بسعادة لا توصف فور إغلاق الباب خلفها، رغم حملي هم تكرر الزيارات لفترة.. ومتابعة أمر سيارتي مع أونكل حسين.

TW. @Rabe3_elkotob

رن الهاتف فقمت لأحضره.. تجمدت نظرتي لثوانٍ قبل أن أرد:

ـ .....

ـ بايا؟ ألو؟

ـ أيوة يا أيمن ازيك؟

ـ ايه الجمال ده؟ فاكرة صوتي؟

ـ لا.. ممسحتش رقمك.

ـ أصيلة.. حمدلله على سلامتك.

ـ عرفت منين؟

ـ أنا أعرف عنك اللي انتي متعرفهوش يا بت.

ساد صمتي لثوانٍ قبل أن يستطرد:

ـ متفكريش كتير، عرفت من إياد، صاحبتك الصايعة كانت كاتبالك قصيدة عالـ فيس بوك.. وحمدلله بيسسا وكلام الحريم ده، فـ إياد شافها وقالي.

ـ وهو إياد يوصلك اللي بيتكتب عندي ليه؟

ـ انتي هي دي مشكلتك؟ امسحيه يا ستي زي ما مسحتيني لو مضايقك.. المهم حصلك ايه؟

ـ خبطت العربية ودراعي اتكسر.

ـ والعربية ايه نظامها؟

ـ في التوكيل لسه..

TW. @Rabe3_elkotob

ـ طيب أمان، أنا قلت أطمن عليكي.. عايزة حاجة؟

ـ لا يا أيمن شكرًا.

ـ سلام يا موززة.

أغلقت معه ليُجري عقلي مكالمة أطول.. أيمن.. قصة الحب الأولى.. ذلك النوع من الحب الذي وإن تركك، يترك بصمة في ملامح وجهك.. ذلك الذي تتقارب فيه كل الصفات في اليوم الأول، وفجأة تتحول لتصبح النقيض تمامًا.، رأيته في المرة الأولى في عيد ميلاد زميلة لي بالجامعة، كانت آنذاك صديقة إياد زميل أيمن ورفيق عنبره في كلية الشرطة.. مما ساعد في تكرار خروجنا معًا، حتى ارتبطنا. كان أيمن في نفس عمري، إلا أنه كان يصغرني سنين ضوئية في إحساسه.. تذكرت كيف توترت علاقتنا بعد أن تركت منزل خالتي.. كان دائمًا يحقق معي كمتهم يمثل أمامه، والمتهم مهان حتى تثبت براءته. وكانت شيرين بدورها من أهم أسباب خلافاتنا، أرادني أن أبتعد عنها لأنه كما يقول (البت دي مبرتحلهاش).. كان يكره أصدقائي.. يكره عملي.. يكره خروجي.. يتلذذ في أن يُشعرني بقبح الوحدة التي لا ذنب لي فيها.. ورغم ذلك فقد استغل تلك الوحدة لوقت طويل.. كان يفعل معي كل شيء ونقيضه.

تذكرت المرة الأولى التي خطط فيها ليأتي إليّ في فترة نوم عم مصطفى، وكيف جندني لأراقبه عن كثب من شرفة المنزل. إنه ذلك الشعور بالذنب الممتع. وخوفي من أن يراه أحد سكان العمارة. كانت المرة الأولى لنا في مكان مغلق. ولكنها تكررت بعد ذلك عدة مرات. انتظرت آنذاك خلف الباب، أترقب وصوله. تذكرت ذلك الاضطراب الذي رآه في عيني فاحتضنت يداه وجهي ليغلق

TW. @Rabe3_elkotob

الباب بقدمه، انتفضت فزعًا من صوت إغلاقه، اتسعت يداه ..ضنني.. كل شيء في هذا المنزل يحمل معه ذكرى.. وقفت ذلك ال.م أعد له شيئًا ليأكله وهو مستند بجانب باب المطبخ يحدثني عن ..امراته.. وما لم أنسه يومًا عندما قمت بالعزف أمامه للمرة الأولى لأشعر بأنفاسه تلامسني وتسحبني من عزفي، ليعزف بدوره عزفًا ..اهى بيتهوفن. كانت أنامله تعزف في روحي مقطوعة سحرية، .لذ بالضغط على مفاتيحي ليستمع إلى إبداعه.. أغمض عينيّ ..حر إحساسي فيه.. حاصر عالمي دون أن يقتحمه فهويت بين ..به لأسكن إليه.. كانت بيننا حياة.. حلم استيقظت لتحقيقه.. ..اختفى! تذكرت لحظه انفصالنا وكيف دفعت ثمن اقترابه لأصبح محاصرة بجنود من شكوك لا تمت للغيرة بصلة.. شك في المطلق.. أراد أن يجعلني سجينة عينيه دون أن أراه.. حتى قررت أن أُنهي ما بيننا، مللت أسلوبه وتحكمه وانتقاداته. ولكن سرعان ما عادت علاقتنا مرة أخرى لتصبح مكالمات ومقابلات متقطعة على فترات متباعدة. ألف ذكرى وُلدت من مكالمة لم تتعدَّ دقيقتين.

فتحت هاتفي مرة أخرى أنظر إلى اسمه.. أيمن.. كلما اختفى ضوء الهاتف أضغط مرة أخرى ليظهر اسمه. هل أخطأت لاختياري حياة مستقلة بعيدة عنه؟ أم كان من الأفضل أن أبقى معه سجينة علاقة غامضة؟ لسنوات قضيناها معًا لم يعرض عليّ يومًا الارتباط بشكل رسمي.. مكثت دقائق أنظر إلى طعامي.. لم أكمله مع ليلى لأتلذذ بالتهامه بعد أن ترحل. ولكنني الآن لا أشعر بالجوع. أشعر بملل وضيق غريب.. لا أمتلك سيارتي ولا أستطيع التحرك بدونها. نظرت إلى يدي لأشعر بعائق نفسي آخر. لا أرغب في النوم.. ولا أريد البقاء مستيقظة.

TW. @Rabe3_elkotob

نفضت أفكاري. أشعلت سيجارة ثم نظرت إلى البيانو. قمت حتى وصلت إليه.. لي يد لا تزال غائبة عن الوعي. نظرت إليها بلا حيلة.. بدأت أعزف.. بيد واحدة! فانتفضت من ذكرى أخرى.. كانت أمي تعزف بيد وأتدخل أنا بالأخرى. كان عزف البيانو هواية أتقنتها أمي، فعشقتها.. قلما تشاركنا العزف معًا سوى مرات قليلة. أصابني حزن لأن العزف بيد واحدة لم يعد بسبب وجودها بجانبي.. كسور ننتظر أن تلتئم لتحيي بداخلنا كسورًا أبدية! أغمضت عينيّ لأرى ألوانًا تحيطني، كنت أذوب في لوحة فنية من ألف لون ترسم لي وجوهًا لم أرها من قبل، وعوالم أخرى لم أزرها قط. كان هناك لون أسود غريب يصارع في الظهور ولكن ألوانًا أخرى كانت.. تقفز أمامه.

TW. @Rabe3_elkotob

قُدر لنا ألا نعرف ما ينتظرنا.. أن نظل دائمًا نتوقع.. نأمل.. نترقب لما ستأتي به الأيام.. نبني بداخلنا مستقبلاً.. نرى أشخاصًا.. نعيش حياة.. ثم نُفاجأ أحيانًا بعكس كل توقعناه.. فلا يصبح أمامنا سوى أن نتحايل على القدر بأن نتمنى أحيانًا كل ما لا نريده حتى.. لا يأتينا!

ـ انتي هتعملي التحقيق اللي طلبه منك يحيى؟

ـ مش عارفة والله يا بسمة. ماليش أنا فـ التحقيقات والجو ده.. هفضل أجمع info ووجع دماغ.. هو بيعسفني.

وبعدين ما عنده فادي وأحمد صلاح وبقية الـ team.. صباح الفل يعني.

أشاحت بسمة بوجهها توجه نظرة إلى سقف المكتب.. وضعت يدها على خصرها، ثم أخذت نفسًا عميقًا حتى انتفخت كبالون هيليوم غاضب على شكل Donald duck.

ـ هو انتي بتشتغلي ليه يا بابا؟

سؤال إجباري من خارج المنهج. لم تُفكر به من قبل. يُطرح

TW. @Rabe3_elkotob

عليك لتجيب إجابة نموذجية (زي ما الكتاب بيقول!)

أردفت.. عشان فلوس؟ الـ salary هنا مش wooow.

أنظر إلى شاشة الكمبيوتر، أبحث عن وسيلة تُحول بسمة إلى وضع الصامت. أكتب في مربع البحث How To kill Basma without getting caught.. والمضحك أنها لا ترى ما أكتبه! أريد أن أعرف حقًا ماهي الطريقة المثلى لقتل بسمة دون ترك أي أدلة خلفي..

ـ بصيلي يا بابا وردي عليا؟

اكتمل نمو انفعالي مع كلماتها تلك، فضغطت على مفاتيح الـ keyboard دفعة واحدة بعنف لأصرخ فيها:

ـ هو انتي ايه مشكلتك؟

أخذت خطوة للوراء لا إراديًا، وكأن نظرتي ونبرة صوتي أصاباها بخوف.. ولكن كلماتها ازدادت حدة:

ـ أصل علطول بتعترضي على اللي يحيى بيقوله، وعلطول مش بيفرق معاكي حاجة.. بتيجي تضيعي وقتك يعني؟

ـ برضه مش فاهمة انتي اييييييه اللي مضايقك؟ إن جاية أصلاً من طرفك؟! ودي حاجة كله ناسيها أكيد.. ولا مضايقك إني رغم كل ده أنا لسه موجودة؟ تفتكري يحيى مخليني هنا عشان صاحب باباكي؟ thnx يا ستي، ها.. فين مشكلتك؟!

نظرت إلى شاشة الكمبيوتر مرة أخرى غير مكترثة بوقوفها جانبي، مرت ثوانٍ كادت تنطق شيئًا آخر إلا أنني قاطعتها بسرعة..

TW. @Rabe3_elkotob

بصي يا بسمة.. مرة تاني مش هسمحلك إنك تتدخلي بالطريقة
ن ف شغلي، ده لو عايزانا نفضل صحاب.. انتي مش بتشتغلي هنا
ا ان تقوليلي ايه الصح وايه الغلط.. «ده ايه الحشرية دي»، همست
صوت مسموع.. مسموع جدًا..

نظرة غاضبة وجزّ على الأسنان، يصحبهما ضم لقبضة اليد
مرة.. ربما ضاعت فرصتها بأن تحدثني عن أحمد بعد أن تنتهي
مسلة انتقادها.. أضعتها اليوم بتمكن..

* * *

مرت لحظات قليلة ليطلبني بعدها أستاذ يحيى..

ـ عملتي ايه فـ التحقيق اللي قلتلك عليه؟

«هو ايه الحكاية!» همست بصوت غير مسموع..

ـ حضرتك مقلتليش بالضبط تحقيق عن ايه.. وبعدين أنا متعودة
إن كل مقابلاتي مع celebritics.. أنا عمري ماعملت تحقيق.

استمع بهدوء غلفه غموض المنصب. مدّ يده ليأخذ فنجان
القهوة.. ثم أخذ منه رشفة أصدرت صوتًا أمقته.

ـ بصي يا بينار.. اعتبريه انترفيو برضه.. بس مش ممثلين ولا
مطربين.. احنا بقينا فـ أيام بيحصل فيها مشاكل كتير قوي وأكيد
انتي شايفة.

أومأت رأسي بالإيجاب المصطنع، فاستطرد..

ـ المجلة عندنا لايت شوية، مبتجبش مشاكل عن المجتمع، أو
ساعات بنكتب حاجات بس بسيطة. القارئ دلوقتي عايز يفهم

TW. @Rabe3_elkotob

البلاوي اللي بقت تحصل في الدنيا أكتر من إنه يعرف ايه آخر فيلم عمله السقا بتاعكم ده..

أردت أن أقول شيئًا ولكنه قاطعني:

ـ .. عارف إن في جرايد ومجلات كتير بتكتب عن اللي بيحصل حوالينا، بس احنا بقى نلعبها ازاي.. بدل ما نجيب جريمة حصلت ونحاور اللي ارتكبها.. ممكن برضه يتهور ويقتلك انتي كمان.. واحنا عايزينك. احنا نعمل تحقيق بشكل أكبر.. مثلاً عن معدل الجريمة وأسبابها دلوقتي.. ده مثال يا بينار، مش شرط جرايم.. فيه بلاوي كتير. فاهمة حاجة؟

ـ آه فاهمة حضرتك.

ـ طيب وريني شطارتك، عايزك تفاجئيني.

* * *

ظللت أفكر فيما قاله لي أستاذ يحيى طوال الطريق.. لا أعلم حقًا ما هي المفاجأة التي سوف أعدها له.. أهمس بصوت أحاول تفخيمه ليقارب صوته «أبواب الدنيا عايزة تكتب عن بلاويها يا بينار»!.. «مالي أنا ومال الكلام ده؟!»، كل ما أعرفه الآن أنه يوم خميس حيث السهر وشلة شيرين، خاصة مع انضمام وجه جديد إلى الشلة.. رأيته في السهرة الأخيرة.. أعجبتني نظراته لي.. فلنرَ ما سيحدث.. يوم جعلته شيري ذا أهمية في حياتي.. لم يكن اسمه «الخميس» في الجاهلية، بل أسموه «مؤنس» لأنه يُذهب وحشة الأيام التي سبقته.. وربما تُؤمن شيرين بمبادئ الجاهلية.. سهرة أخرى تُرهق فلاش الكاميرا لتلتقط وجوهًا تفتعل ابتسامات تتبخر

TW. @Rabe3_elkotob

• ا. تشتشك.. «ايه ده الصورة تتتحفة».

ا ختفى صوت أستاذ يحيى من عقلي ليحل محله أرفف دولابي.. ا.. بصوت مرتفع فيها سوف أرتديه.. (الـ dress الأسود، لا لا.. ا. صح، ممكن ألبس البروتيل اللي كنت لسه جاياه على سكيرت أو ا. جينز وخلاص). همممممم. تيييييييييييييييييييييييييييي

و. حااااااااااااااااااااااااسب يا غبي. يااااا غبيييييييييي!

ميكروباص كتب على مؤخرته «عشان تعيش بأمان ابعد عن ا..وان»، محمل بـ ما يقارب 1500 كيلو لحم بشري، ومايعادل ا.. الرقم من حبوب برشام تُبقي سائقه على قدر لا بأس به من طول لسان. نصيحة اكتفت أن تلتصق بصاج ميكروباصه. عيناه .محصان كل من كان النوع: أنثى في البطاقة، سوء في المقاعد الخلفية أو فيمن يمر أمامه أو.. في سيارة سوداء كاد أن يصدمها ا. لا استقرار سائقتها على ارتداء هذا البروتيل والجينز.. صرخت ا. وجهه من خلف الزجاج!

مرّ الميكروباص بعد أن وجه سائقه نظرة يسيل لعابها وفمًا مخزونه وفح تمتم بأشياء لا أريد أن أعرف ماهي.

رفعت صوت كاسيت السيارة تسخينًا لخروجة اليوم. أدندن برأس يتمايل، واندماج Adele في أولى حفلاتها، والكائنات حولي ينظرون.. مسرح متحرك.. اعتدت نظرات البشر.. أحفظها عن ظهر قلب. لا أكترث بهم.. ولا ببسمة ولا عم مصطفى. فليذهبوا للجحيم.. وليحيا عمر دياب وRihanna وشعبان عبد الرحيم!

صوت يحاول الظهور.. مهدور حقه دائمًا وأبدًا.

TW. @Rabe3_elkotob

ـ أيوة يا بايا.. وطي الزفت ده أنا مش سامعك.

ـ .. أيوة يا أيمن، ازيك؟

ـ تمام.. بقولك.. فاضية النهارده؟

صمت لثوانٍ أفكر في شيرين والموزز صاحب حسام اللي جاي والجينز.

ـ .. آه فاضية.

ـ فلّ. أنا عايز أشوفك.. أنا راحة النهارده، أعدي عليكي على 9 كده؟

ـ قول لي عايز نتقابل فين وأنا أجيلك.

ـ الساعة 9 هكون عندك، سلام.

* * *

مضى شهر أحاول فيه نسيان دقيقتين ملعونتين. ليظهر مرة أخرى مع اكتمال القمر.. مصاص دماء برتبة نقيب.. يمتص من إحساسك بلا شبع. تدرك أنك أول فأر تجارب يُطبق عليه لفظ «ميري». ذلك التحول الهلامي الذي يحدث فور ختم النسر على نفوس دفعة جديدة، فتجد أنك تعطيه منك دون أن تأخذ.. يأمرك فتُجيب دون أن تعلم سؤاله. تكره وجوده وتعشق احتماءك به. ثم يختفي برغبتك ليظهر رغمًا عنك بموافقة منك.

لم أره منذ ثلاثة أشهر. إلى أن أضاء اسمه شاشة الهاتف.. لتبدأ مكالمة ماركة (حمدلله على سلامتك).. مكالمة بسبب جاسوس سرب أخبارك فأصبحت بعض تفاصيل حياتك في يد من أنت بيدهم. من

TW. @Rabe3_elkotob

...س على من؟! أنت جاسوس نفسك! تُسرب أخبارك بيدك..

فليذهب الـ فيس بوك إلى الجحيم ولتذهب شيرين ـ لأ بلاش ...رين ـ فليذهب بوست شيرين اللي على الـ wall إلى الجحيم.

* * *

ـ «تحبي تروحي فين؟»

حب دفنته بداخلي، تنازلت عنه لأحيا بعيدًا عن سيطرته، فدفنت ...ه متعة الحياة. لم أتخيل أنني سأجلس بجانبه يومًا ما بعد أن تركت ...ارته لتصاحبها (رزعة باب) حطمت بداخلنا أي فرصة أخرى ...رجوع.. ولكنني لا أرفضه.. يجدني دائمًا وقتما يشاء.. أجلس ...جانبه في صمت كطفلة تبلغ من العمر ثماني سنوات وازدادوا ...شرين دون أن تدري. وكأنها المرة الأولى التي أراه فيها.

ـ مردتيش عليا؟ عايزة تروحي فين؟ Mojo.. ظريف؟ أوكيه.

ـ أوكيه.

ابتسم لي فابتسمت بداخلي خلايا الحزن للحظات.. أعشق ابتسامته وملامح وجهه.. أعشق ملامسة يده.. أمقت ذلك الشعور بأنني ربما لازلت أحبه.. علاقة لم تُتوج وربما لن تُتوج بـ (بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما في خير)، كنت أنتظر لحظة أن يأخذني إلى جزيرة أتقن خيالي بناءها لسنوات لينطق كلمة «تتجوزيني؟». حلم لم يتحقق وأصبحت لا أود حدوثه.. فتحولت جزيرتي لتُصبح خاوية على عروشها مهجورة لا ترى النور.

ظهر النادل ليُشعل شمعة استقرت في منتصف الطاولة..

ـ اتغديتي؟

TW. @Rabe3_elkotob

ـ لا لسه.. بس مش عايزة أكل دلوقتي.. ماليش نفس.

وكأنني لم أقل شيئًا.. أشار بيده إلى النادل ليأتيه.

ـ .. عايز اتنين سكالوب معاه فرايز.. وواحد بيبسي و.. (نظر لي يفكر) وواحد عصير برتقان.

* برتقان

في بقعة ما على الأرض تبعد ستميترات عنك تجد شخصًا يحمل قاموسك يُتقن لغتك.. يعرف مشروبك المفضل وأي لون أنت! وقد تنسى أمورًا عن ذاتك ليتفنن بتذكيرك بها، فتتعجب لأشياء أنت مصدرها وكأنك تراها للمرة الأولى!

ـ ايه اللي خلاك تكلمني النهارده؟

ـ اللي خلاني أكلمك هو اللي خلاكي توافقي تقابليني.

مهنة حقًا كاذبة قواعدها هراء.. لم تُنجني في الحياة الواقعية.. متمرسة في طرح أسئلة مكررة أعلم إجابتها مسبقًا.. ثم أجد نفسي أمام شخص يُجيب سؤال لي بآخر، فيدور عقلي بعكس اتجاه الكرة الأرضية ولا أجد إجابة! لا أعلم كيف تحول استعدادي ليوم خميس مقدس مع شلة شيرين إلى يوم آخر. يوم ثامن اندس في أيام الأسبوع لأوافق دون تردد أن أقابله.

ـ أيوة، دي مش إجابة على فكرة.

استند بكلتا يديه على الطاولة لينعكس ضوء الشمعة على

TW. @Rabe3_elkotob

• •هه.. نظرت إلى عينيه.. فرأيت نفسي.

- ما توقفي دماغك شوية. حسيت إن عايز أشوفك وكلمتك.. مادي يعني، ولا عيب نتقابل؟ وبعدين مانتي مقضياها صريحة مع شيري بتاعتك دي وصحابها.

- يا دي شيري اللي معقداك.

ضحك أيمن بصوت مرتفع كافٍ لإيقاظ استفزازي.

- آه بكرهها الصراحة.. سيبك، عاملة ايه فـ حياتك وشغلك؟

- تمام، no news. بقابل صحابي. بروح الخالتو. وشغلي طبعًا..

أردت أن أضفي طابعًا من الأهمية إلى حديثي، فاستطردت:

- لسه النهارده رئيس التحرير كان عايزني أعمله تحقيق عن البلاوي اللي في المجتمع.. مش عارفة لسه هاعمل ايه.

- ازاي بقى؟ ده انتي عندك أكبر بلوة. اعملي تحقيق عن حياة شيرين.. مش بعيد تطلع dealer!

- على فكرة بجد متفضلش تتكلم كده.. طالما مضايقاك ليه كل شوية تجيب سيرتها؟ وبعدين انت مشفتش منها حاجة وحشة قبل كده.

- آه.. لا فعلاً مشفتهاش صدفة وهي بتسكر وجراكي وراها زي الكلب وسط شلتها الوسخة. والوسخ بيوسخ اللي حواليه.. داااااا إن.. إن مكانش هما اللي وسخوه أصلاً!.

استشطت غيظًا من كلماته..

TW. @Rabe3_elkotob

ـ أيمن! لو هتفضل تتكلم كده أحسن قوم روحني بدل ما تقلب خناقة.. هي بتسكر بقى بتحشش دي مش مشكلتك.. وأنا لما بخرج معاها بيكون برغبتي ودي برضه مش مشكلتك.. لو مش هتعرف تتكلم كويس يلا نقوم. وبعدين عايزة أقولك حاجة مهمة..

لو فيك عيب باين للناس.. أحسن ألف مرة من ناس مش باين منها غلطة و.. مفيش جواها حاجة صح!

اعتدل في جلسته ليأخذ وضع (سعادة البيه)، نظر لي بثبات انفعالي وابتسامة خفيفه.

ـ انتي اتنرفزتي ليه بس؟ ميتين أمها يا ستي، مش هجيب سيرتها مدام بتعفرتك كده! قوليلي بقى محتاجاني أساعدك في ايه؟

اعتدل انفعالي مع اعتدال جلسة أيمن أحاول استيعاب كلماته. تخيلت للحظة أنني أنا من طلبت مقابلته!

ـ تساعدني ايه فـ ايه؟ ازاي مش فاهمة؟

ـ انتي مش بتقولي تحقيق وبتاع؟ مانا بشوف عندي فـ القسم بقية الدنيا اللي انتي متعرفيهاش، وعندي برضه صحابي مرميين فـ أقسام بتجيلها عاهات.

مكثت ثوانٍ أفكر في كلماته..

ـ بص هو اللي عايزين نعمله مش أن أكتب عن جريمة معينة وحصلت ازاي. هو عايز دوافعها في المجتمع وكده، فـ ناخد الموضوع بشكل general أكتر.. ده مثال.

مساعدته لي مسألة نسبية.. وكأنها مغامرة صحفية تتطلب منك

TW. @Rabe3_elkotob

ا. مضع ليعلو سيطك. وكأن القدر يحب أستاذ يحيى لا.. بل
م..

هو اختارك انتي ليه تعملي كده؟ وبعدين انتوا مجلة تعتبر فنية.
م ولا ايه؟

- ما علينا من اخترني أنا ليه. هو عايز يعمل صفحة يكون فيها
..قات عشان هو شايف إن المفروض نعمل كده.

- وانتي مقتنعة بده؟

- يعني ايه مقتنعة بده.. مش فاهماك؟

- أصل بحسك بتلاقي نفسك مع الفنانين أكتر.. بتنبهري بيهم
..ه وبتاع. دانتي لما بتعملي انترفيو مع حد تفضلي تحكي عنه وعن
اللي جابوه لحد ما تقابلي اللي بعده.

شخص يظهر ليحدثك عن الـ version القديم منك.. لا يذكر سوى تلك الصفات التي لم تكن تعلم وجودها بك، أو تحاول تجاهلها!

- هو احنا نعرف بعض من قد ايه يا أيمن؟ أي حد لما بيتخرج ويشتغل أكيد بيبقي منبهر بشغله لو بيحبه، ومع الوقت بيبقى عادي. زي مانا كنت زي مانت بتقول كده، أكيد انت برضه لما اتخرجت كنت مبهور بشغلك وطبنجتك ونجومك. الجو ده بقى عادي بالنسبالي، بحضر events بيكون كل الـ stars فيها.. بس الفرق اللي بيني وبينك إن انت انبهارك مبيروحش.. بيتهيألي لو عسكري عندك ماقالكش يا أيمن.. بيه ممكن تشتمه. ولا ايه يا بيه؟

TW. @Rabe3_elkotob

أنصت أيمن وهو يأكل، يتابع انفعالي وكلماتي وهو يبتسم في صمت متربص.

ـ دانا أعلق أمه.. أومال هيقولي يا ميمو بيه؟! بطلي رغي وكلي أكلك هيبرد.

سحبت السكين والشوكة من جانب صحن تغلغلت رائحة طعامه بي، لتستميل شهيتي التي انتظرت انتهاء مناظرة أبدية لا تُجدي ولا تغني من جوع. بدأت أقطع السكالوب وأنا أراجع ما قلته لأيمن وعلى وجهي ابتسامة خافتة.. أشعر بنشوة بعد كلماتي التي وجهتها له.. أدركت أنه لم تسنح لي فرصة من قبل في أن أنتصر عليه في حوار بيننا. انتصرت عليه في حدود عقلي.

* * *

ـ أنا اتبسطت إن شفتك النهارده.

ـ وأنا كمان.

ـ خلي بالك من نفسك وكلميني لو عايزة حاجة.

نزلت من سيارته يتابعني عم مصطفى.. ينظر إليّ وإلى السيارة التي تنتظر دخولي العمارة. صامت صمت الحملان التي فرقتها بإلقاء تحيتي المعتادة. ليرد تحيتي بنبرة (أنا أعترض).

دخلت غرفتي يتجاهل عقلي كلمات أيمن ليتذكر وجهه بوضوح. ألقيت حقيبتي أرضًا لأفتح الدولاب. أبحث لا إراديًا عن (بيبي دول) يُظهر مني ضعف ما يُخفيه. تلك الرغبة الأنثوية عندما تقابل رجلاً وضع إمضاءه على ممتلكاتك، فتبحث عما يبرزها لتستعيد إحساسك أو ليستدعيك بقوة. سنوات مضت كانت كافية

TW. @Rabe3_elkotob

.. بي ذلك الإحساس.. أتذكره فقط دون أن أشعر به. ولكنني ..لآن أتمنى لو أن يأتي إليّ ويُحوّل قوة انتقاده إلى قُبلة تدفعني إلى ..رب حائط فلا أجد مفرّا منه للهروب سوى إليه. ارتديت بيبي ..ل بلون أخذ زرقته من السماء.. ارتميت على سريري ثم أحضرت اللابتوب.. حان موعد الـ فيس بوك بتوقيت بابا، حيث يجتمع كل المختلفين.. قد يمر دهرًا دون أن أدري وأنا أتابع كل من فيه.. إدمان .. نوع مختلف.. تُدمن معرفة أخبار الآخرين وأخبار نفسك أيضًا! ..ل من كل ما هو روتيني ولذا أعشق الـ فيس بوك لأنني وفي كل لحظة أعرف شيئًا جديدًا عن كل وجه معتاد.. «آه، سجايري فين؟» همست.. أخذتها من الحقيبة وخرجت من الغرفة لإحضار مطفأة.

يرن هاتفي.. يرن.. يرن..

ألقيت علبة السجائر بجانب المطفأة، لأركض مسرعة إلى غرفتي! أبحث عن اسمه في حقيبتي.. ألعن هاتفي بكلمات لو عرفها صانعه لقاضاني. توقعت أنه أيمن. نبض أنثوي سرى بداخلي.. ماذا لو هو.. لن أرفض طلبه إذا ما عرض عليّ القدوم.. لن أتظاهر بالرفض.. تأخر الوقت ونام عم مصطفى.. فلتستيقظ مشاعر الكون تمجيدًا لرغبة دفينة.. سيتسلل بحرفية حتى يقابلني، لتتسلل أحاسيسي إليه. تيييييييييييت.. انقطع إرسال لقاء وهمي.

لم يكن اسم أيمن ولا رقمه.. sherry Calling..

حمل كاذب لأحلامي..

ربما أيمن قد قابل شيرين ليتخلص منها ويأخذ هاتفها ليتصل بي؟! اغتصاب فيلم هندي لأحلامي..

TW. @Rabe3_elkotob

ربما خطأ من شبكة الاتصال؟!

ـ ألو يااا بايا.. «لا ده صوت شيرين».. «مات حلمي».

ـ أيوة يا شيري.. لا أنا فـ البيت من بدري.. أوكيه مستنياكي..

* * *

فتحت الباب لشيرين.. لكنها لم تدخل.. وقفت بثبات على دواسة باب المنزل كمانيكان عرض لها شعر مجعد.. تضع روجًا فاقع الحمرة.. مذهولة وكأنها تراني للمرة الأولى.. تنظر لي بتفحص وحاجب مرفوع.

ـ أنا جيت فـ وقت مش مناسب ولا ايه؟

ضحكت، ثم سحبتها إلى الداخل من سترتها التي اختبأ تحتها فستان سهرتها القصير.

ـ آه.. جاية الساعة 2:30.. معرفتش أربيكي..

دخلت لتغلق الباب ثم تبعتني إلى الغرفة.. ارتمت على السرير بنصف نومة تسند رأسها بيدها.

ـ انتي عاملة فـ نفسك كده ليه يا بيبي؟

ـ ايه يا بت مالك؟ ايه اللي أنا عاملاه؟

ـ لابسة بيبي دول وfull makeup.. وزوغتي من الخروجة النهارده. شكلك كده متباسة.

أضحكتني كلماتها.. واطية. عملتوا ايه النهارده؟

TW. @Rabe3_elkotob

dancing Dancing Dancing Nothing ... آه.. وشديت مع حسام وأنا راجعة.

ـ ايه اللي حصل؟

اعتدلت شيرين لتحكي لي، فوضعت اللابتوب جانبًا أستمع إليها.

ـ مفيش يا بنتي ـ ولعيلي معاكي ـ عادي خرجنا والدنيا ظريفة.. كنت أنا وحسام وياسر وهاني وصاحبته. شوية جه الولد اللي صاحب حسام ده.. فاكراه؟ اللي كان خرج معانا قبل كده.. مش فاكرة اسم أهله حتى.

ـ عبد الرحمن.

ـ مش فاكرة بقى. المهم لقيته داخل علينا وجارر فـ ايديه معزة كده.. واحدة يعني omg، وهي داخلة عليكي كده تنرفزك.. المهم فعدنا نرقص وبتاع.. شوية حسام سابني وراح قاعد معاهم، هاتك يا رغي لحد تقريبًا ما اليوم خلص. أنا كده كده كنت قايلة لمامي إن هبات عندك النهارده، فـ thanks god كنت رايحة بعربيتي. سحبت نفسي و(أشارت بيدها) باااي باااي..

كلمني بقى أول ما مشيت.. (تحاول تقليد صوته) ايه قلة الذوق دي؟ ومسلمتيش عالناس.. فضلت أتخانق لحد ماوصلت.

ـ ماهي قلة ذوق فعلاً.

ـ انتي هتستعبطي يا بابا؟ ما هو كان ممكن ييجي ورايا لما شاورتله.. طيب بلاش.. دانا بقوله انت سايبني وقاعد معاهم يرد

TW. @Rabe3_elkotob

يقولي ايه؟ أصل البنت اللي مع اسمه ايه ده، مش بتحب ترقص فـ كنت قاعد معاهم! الطبيعي بقى إن أنا أرقص لوحدي؟

can I say A.7.A?

أضحكني أسلوبها، ضحكة أيقظت سكان مصر الجديدة: say it baby!

ـ يلا ما علينا.. طلعيلي حاجة ألبسها.

حل الصمت مرة أخرى.. أتابع بلا هدف الـ فيس بوك وكل من عليه من خفافيش تظهر فجرًا لتختطف حصيلة يوم من أخبار.. أعتقد أن العالم الآخر الذي يعيش حولنا ولا نراه يمتلك أيضًا موقعًا اجتماعيًا مخفيًا كالـ فيس بوك.. بحثت بداخل اللاب توب عن فولدر الأغاني التي اخترتها بحرص لأستمع إليها. كانت الأغنية الأولى لحميد الشاعري.

.. فـ سكوت.. زماني يفوت.. بدأت أدندن معها، فاعترضت شيرين.

ـ معرفش بتجيبي الأغاني المتربة دي منين..

ارتدت بيجامة لتقفز مرة أخرى بجلسة بودا على السرير.. أسندت ظهرها على الحائط لتُخفي بعضًا من الصور التي التصقت به. ثم أخرجت من حقيبتها محفظة تحوي بطاقة شخصية، رخصة قيادة، مجموعة من الفيزات والكارنيهات.. دست إصبعها في ركن بجانب النقود لتُخرج سوليفانًا ملفوفًا يحمل بين طياته قطعة بنية مستطيلة، ثم بحثت بداخل الحقيبة عن ورق بفرة ماركة Auto man: ارميلي الولاعة من جمبك..

TW. @Rabe3_elkotob

أشعلت شيرين في السوليفان ثم فتحتها لتفتت محتواها الذي ا،ها، لبناء حالتها المزاجية.. خلطته بيدها مع تبغ سيجارتها.. ، ‹تيل السيء بالأسوأ.

- مقلتليش.. روحتي فين النهارده؟

- قابلت أيمن.

- nowaaaay!! هو جالك هنا؟! عشاااااااااااان كده بيبي دول ، ‹ناع.

- خالص بقى. عدى أخدني من تحت البيت.. وروحنا قعدنا فـ mojo كافيه.. رغي وأي كلام ورجعنا.

- هو عايزكوا ترجعوا ولا ايه؟

نظرت لها أفكر في سؤالها.. في حقيقة الأمر أبحث عن إجابة..

- هاتي نفس عشان أخمخ وأعرف أرد عليكي.

ناولتني شيرين السيجارة الملفوفة باحتراف.. تصاحبها ابتسامة ماركة (صباح الفل).. أخذت نفسًا طويلاً يضمن تغلغله بشعبي الهوائية وخلايا عقلي.

- جامد الهباب ده.

- والله ماهي راجعة Keep it.. هالف واحدة تانية.

ذلك الشعور الذي نعشق فيه «تخميس» الآخرين في أخطائنا.. فنتلذذ برؤية شخص آخر يفعل ما نفعله، حتى لا تنبذنا أنفسنا.

TW. @Rabe3_elkotob

ـ بصي، أنا ورحمة ماما ماعرف أنا وافقت أقابله ازاي وليه آخر مرة كنا متخانقين.. معرفش برضه هو كلمني ليه.. من ساعة ماحكيتلك المكالمة بتاعته وخلاص معرفش عنه حاجه. تشوفيه بقى وهو بيكلمني النهارده.. ولا كأننا لسه مع بعض.

ـ so?

ـ لا سو ولا ما سوهش.. تقوليلي كنت مبسوطة وأنا معاه أقولك جدًا بقى، بصرف النظر إنه حد مستفز. تقوليلي ممكن نرجع أقولك استحالة برضه.

تثاءبت شيرين لتقول: يبقى فكك منه يا بيبي.

* * *

سرحت عيناي بعيدًا عن شيرين بمليار كيلومتر مستطيل.. نظرت إلى شخص ثالث لم يكن موجودًا معنا.. تلك النظرة التي نوجهها في الفراغ، لنرى ملامح وجه ثلاثية الأبعاد، لأفكار تفر هاربة منا لترقب أحاديثنا عن بعد.. أفكار تحمل ملامحنا لها جسد بلا بروح. اللعنة على الحشيش، كاذب من قال إنه يعدل المزاج. دائمًا أتعجب لعشق شيرين له، ثم أمد يدي طلبًا لمشاركتها رقصة دماغية. عشق وهمي يزيد من سعادتك، ليبكيك ضحكًا على ما يؤلمك.. فتحزن. يُشتت وعيك لينتبه عقلك إلى ما تحمله أفكارك من أفكار. تعتلي برجًا شُيد بداخل هذا العقل لتقفز منه start متوهمًا عمق محيط جمجمتك، فيرتطم جسدك بقوة لتُبحر بعمق في سطحيتك.

نامت شيرين ولايزال عقلي يردد بلا توقف كلمة «فكك منه.. فكك منه.. فكك منه..»، ذلك التعلق الكريه الذي يقترب

TW. @Rabe3_elkotob

... الجنون عندما لا تكف عقولنا عن ترديد بعض الكلمات التي ... معها بلا توقف.

أغلقت اللابتوب. شعرت ببرودة جعلتني أرتدي شيئًا آخر، ... انسحبت بهدوء لأُغلق ضوء الغرفة والباب على شيرين التي ... استسلمت بدورها إلى موتة صغرى.

ضوء خافت مريح دخل من شرفة الصالة ونوافذها، فأضفى ... إلى أثاثها لونًا آخر له رائحة زكية.. ذلك اللون الذي يُعلن استيقاظ الشمس قبل ظهورها. دخلت إلى الشرفة ألعق من الهواء رحيق الهدوء.. أُرسل نظراتي تتسكع في الشارع الخاوي سوى من عامل نظافة يسير وحيدًا.. أُنصت إلى صوت عصافير اختبأت خلف أشجار تُداعب أوراقها عينيّ. لوحة فنية مكتملة أسكن منتصفها، فلما أراها.

خرجت من الشرفة.. تمددت على الأريكة أمام التليفزيون.. ثم اخترت فيلمًا أجنبيًا لا أعرف أبطاله ولا اسمه. مرّ الوقت وأنا أتابعه إلى أن أسدلت عيناي ستائرها.

* * *

ـ ايه جاية بدري المكتب النهارده يعني.

قال أحمد ذلك ثم أشار بيده إلى بسمة التي التصق وجهها بشاشة الكمبيوتر أمامها.. لا تحاول الالتفات تجاهي:

ـ بسمة قاعدة مادة بوزها شبرين.. تبقي ضايقتيها.

نظرت إليه باستغراب:

TW. @Rabe3_elkotob

ـ هو في ايه يابو حميد، هو مفيش غيري فـ المكتب ممكن يضايقها؟!

ـ انتي.. ده انتي سوسة.. هي حكتلي على فكرة، وأنا جاي عشان أوقعك فـ الكلام.

ـ حكتلك ايه يا كرومبو؟

ـ مفيش، قالتلي إنك زعقتي لها وبتاع.

ـ آه فعلاً.. دخلت عليها رحت مزعقة لها وشاتماها من غير سبب. بقولك ايه كبر دماغك مفيش حاجة أصلاً.. أنا بس زهقت من تدخلها الزايد فـ شغلي. أنا مغلطتش. هي بتزعل زي صباح الفل يعني..

مال أحمد ليستند بكوعه على مكتبي، ضحك نصف ضحكة ليقول: انتي مبتغلطيش خالص يا بينار.. يا بنتي انتي إنسانة دايمًا صح.

* إنسانة

تعريف الإنسان في قاموسي الحديث هو كائن حي له عقل وليس بالضرورة مفكر.. قوي وليس بالضروري رحيم.. وباحث غالبًا بلا هدف.

تجاهلت نبرته وما تحمله من سخرية. أعلم جيدًا ماذا فعلت بسمة، ربما مرت على كافة الأقسام لتحكي قصة عنوانها (شفتوا بايا

TW. @Rabe3_elkotob

..لت معايا ايه؟). حتى رجب عندما أحضر لي الشاي، وجه لي
.ارة تقول (اخص)!

عالم النميمة حقًا غير مفهوم.. عالم ليس كرويًا ولا هو مربع،
.ل شبه منحرف تستبيح ألسنته ذكر عيوبك وانتقادك دون أن
.حث خلف مسبباته خوفًا من اكتشافها فتضيع لذة التقليل منك.
.ساق نفسي لكي نعلو على الآخرين مهما قصرت قامات أفعالنا.
.لو يزيد كلما اقتصصنا ممن حولنا لنمجد بعدها في أنفس هشة مبنية
.لى باطل.

أخذت أفكر، أي فيلم هذا الذي أدته بسمة بحرفية، لترفع عيون
زملائي ضدي قضية سب وقذف أعاقب لأجلها بالحبس سنة مع
الشغل وفقًا للمادة 308 من قانون الغاب. حاولت أن أسترجع
حديثنا الأخير ولكن كل ما تذكرته هو أسلوب بسمة المستفز
وتدخلها الذي لم أعد أستطيع معه صبرًا.

مضى اليوم دون أن ننبس بكلمة، كانت تلك هي المرة الأولى
التي نتواجد فيها معًا دون أن نتحدث. رغم شعوري براحة نفسية
إلا أنني اعتدت إزعاج بسمة وأحاديثها غير المنقطعة.

أغلقت الكمبيوتر ولملمت أشيائي لأرحل.. توقفت لحظة أفكر
بتردد ثم قررت العودة إليها.

ـ مع إنك يعني نرفزتيني آخر مرة.. بس صباح الفل.. متزعليش
مني.

نظرت لي لثوانٍ قبل أن تنطق:

ـ أنا مكنتش قصدي حاجة.. انتي عارفة إن أنا بعتبرك زي

TW. @Rabe3_elkotob

أختي.. احنا مش زمايل بس يا بينار.. بس حتى لو كلامي ضايقك، مكنش ينفع تردي عليا كده.. أنا بتكلم عشان مصلحتك.. وعل العموم أنا مش هتكلم تاني فـ أي حاجة فـ الشغل وانتي حرة.

ـ خلاص بقى.. وبعدين انتي ماشاء الله أخدتي حقك وزيادة.. ده انتي تقريبًا حكيتي للمكتب كله مع إنك انتي اللي نرفزتيني صباح الفل يعني. Anyway حصل خير. أنا ماشية عايزة حاجة؟

ـ لا.. شكرًا.

* * *

وصلت ولكنني كالعادة لم أجد مكانًا لألقي فيه السيارة.. نظرت إلى الرصيف الآخر فوجدت مكانًا يناديني.. ركنتها أمام محل الأنتيكات المقابل للعمارة التي أسكنها، فقام من على كرسيه يشير لي برفضه أخذ هذا المكان.. كانت خطواته بطيئة.. حذاؤه قديم غطته الأتربة.. ظهره مائل قليلاً ويرتدي نظارة طبية مقعرة..

ـ هتسدي دخلة المحل كده..

نظرت له بضيق.. أي محل هذا الذي يتحدث عنه؟ (حاططلي شوية كراكيب، ويقولي هتسدي دخلة المحل!) همست وأنا أفتح الزجاج له وقد أوقفت محرك السيارة:

ـ على فكرة.. أنا ساعات كتير بركن عربيتي هنا.. وبلاقي عربيات تانية راكنة!

أدار ظهره وكأنني لم أقل شيئًا.. سار خطوتين حتى جلس على كرسي خشبي وضعه خارج المحل.. استفزني صمته.. نزلت من السيارة أنظر إلى محتوى محله.. أحمد الله لأنني لا أسمع صوت

TW. @Rabe3_elkotob

...ه.. تقدمت خطوة بداخل المحل.. فتعثرت قدمي في طاولة ...ة فوقها صندوق.. أوقعته على الأرض وكل ما بداخله.. ...ت الملم محتوياته بسرعة.. فقال بنبرة حادة:

ده يصح برضه.. مش تحاسبي؟! لِمَ يحدثني هكذا هذا الرجل؟! ...م حتى من على كرسيه، تركني الملم ما أوقعته دون أن يساعدني.. ...ا عقاب لأنني ركنت أمام محله.. لمحت عيناي وسط محتويات الصندوق الملقاة على الأرض مرآة سقطت بعيدًا.. مددت يدي ...لها.. كانت دائرية صغيرة.. تُمسك باليد.. شكلها قديم وبها ...وش متفرقة.. نُقش عليها من الخلف بشكل دائري مميز كلمة لم أستطع قراءتها للوهلة الأولى، مكثت ثوانٍ لأجد أن الكلمة هي: ...ريدة، وتحتها تاريخ: 1938.. أعجبني شكلها الغريب، نفضت ...دي من الأتربة التي علقت بها، ثم وقفت بعد أن وضعت كل شيء ...رة أخرى في الصندوق.

- دي بكام دي؟

أدار وجهه كي يرى ما أسأل عنه:

- مش للبيع..

خرجت من المحل ثم وقفت أمامه، يجلس على كرسيه يوجه نظراته إلى الشارع وكأنه لا يراني..

- مش المفروض المحل بيبيع الحاجات دي؟

- آه بس دي نادرة.. دي بتاعة الملكة فريدة.. مرات الملك فاروق.

نظرت إلى المرآة وأنا أهمس «الملك فاروق».. وماله.

TW. @Rabe3_elkotob

ـ ومش للبيع ليه؟

ـ أهو.. في حاجات كده مينفعش تتباع لأنها بتبقى أغلى من اللي بيشتريها!

(ايه الراجل ابن الـ.. ده!) همس عقلي.

ـ أصلية يعني؟

لم ينظر لي..

ـ آه أصلية.. بس أكرملها تفضل عندي هنا ومتطلعش للزيف اللي بره..

نظرت إلى المرآة التي في يدي وأنا أضحك.. أي كذبة تلك التي يعيش فيها هذا الرجل.. يجلس على كرسيه لسنوات وسط تلك الأشياء التي استوطنت الأتربة فوقها وبين خدوشها.. ويقول لي الآن إن بيدي تحفة أصلية ذات قيمة.. ولو كانت كل تحفة يملكها كذلك، لما بقي هذا حاله.. دخلت لأضعها بداخل الصندوق مرة أخرى.. وتركته.

* * *

مضت أيام ليعاود أيمن الاتصال..

ـ .. أنا تمام الحمدلله.

ـ عملتي حاجة فـ التحقيق بتاعك ده؟

ـ تحقيق ايه؟ اااااه لسه ولا حاجة، شكلي هاكبر دماغي منه أصلاً. بتسأل ليه؟

ـ مفيش، افتكرتك امبارح.. كنت قاعد مع واحد صاحبي.. هو

TW. @Rabe3_elkotob

ملاعظ فـ قسم المنشية.. كان بيحكيلي عن واحدة قتلت جوزها عشان ام مع بنتها.

ـ يانهار اسود.. هو جوز مامتها يعني؟

ـ جوز مامتها ايه يا حاجة.. لا عادي ده أبو البت.

ـ انت بتتكلم بجد؟!!

ـ ايه يا بايا في ايه؟ ده بيحصل علطول. الناس دي عايشة عشرين د أوضة.. آكلين شاربين شاخين نايمين مع بعض.. مستنية ايه منهم منى؟ سيبك.. وحشتيني مش هشوفك؟

في لحظة فاصلة أخذني من تخيلي لحياة هؤلاء الناس إلى كلمة بها الف حياة بيني وبينه.

ـ .. أوكيه، شوف امتى نتقابل.

ـ أنا ممكن أجيلك بعد النبطشية بليل.

تسارع نبضي.. كلماته لا تعني سوى معنى واحد..

ـ بليل الساعة كام؟

ـ على 2 كده.

ـ لا بلاش يا أيمن.

ـ بلاش ليه؟ ايه الفرق إن أقعد معاكي بره أو أجيلك يعني؟ قصري.. أنا هقفل دلوقتي وهابقى أكلمك بليل.

أغلقت معه لأفكر في ذلك اللقاء الذي تمنيته. ذلك اللقاء الذي على وشك الحدوث بعد ساعات قليلة دون أن أفكر به.. مال هذا

TW. @Rabe3_elkotob

الهاتف يأتي بما لا تشتهيه آذاننا؟ نبض قلبي ليس ذلك النبض الأنثوي الذي اجتاحني من قبل. احتجته منذ أيام ولكنني لا أريده اليوم، وربما سأشتاق وجوده بعد مائة عام. مالِ هذا الكون العقل يسعى خلف سراب في يوم لم تُشرق فيه الشمس ثم يزج بنا في أنصاف حالات ويطمس بداخنا حلول أسبابها! لِمَ لا نوافق عندما نريد ولِمَ نستسلم عندما يُسمح لنا بالرفض؟ لِمَ نصبح أسرى لدوامة تكمن جذورها بأرواحنا؟!

أخذت أفكر في ذلك الضيق الذي أشعر به.. أؤنب نفسي بضيق.. لِمَ لم أُصر على رفضي قدومه؟

مرت ساعات دون أن أشعر.. اتصاله في منتصف اليوم أدى إلى سكون النصف الآخر. كل ما كنت أفكر فيه هو ماذا سيحدث معه..

جلست مستكينة على الأريكة.. يديّ تلتف حول قدميّ كإنسان يعيش بداخل كهف لا يرى النور.. يعشق البقاء وحيدًا ولكنه في نفس الوقت ينتظر من يسير نحوه بمصباح ينير عالمه.. دفنت نصف وجهي بين قدميّ تتلصص عيناي مشاهدة التليفزيون، والذي تحول نصف محتواه إلى مشاهدة تخيلات ما سيحدث مع أيمن. أنتظر المكالمة التي ستسبق قدومه. أميل برأسي لأنظر إلى شاشة الهاتف السوداء بحذر خوفًا من أن يُضيء فجأة.. نظرت إلى الساعة المعلقة على الحائط.. الساعة تُشير إلى 8:30 دائمًا وأبدًا. ساعة تُثبت وجودها بلا بطارية. مددت يدي لأضيء الهاتف.. الساعة 2:14.. لم يتصل أيمن ولم يأتِ، أخذت أسترجع مواعيده.. ليس بالضرورة إن قال لي موعدًا يلتزم به.. رن جرس الباب.. فقفزت روحي مني.. قمت أسير بحذر على أطراف قدميّ كي لا أوقظ خوفي. نظرت من

TW. @Rabe3_elkotob

... الباب فرأيت وجهه. أخذت نفسًا عميقًا ثم فتحت له ببطء ... خلفه، ليدخل أيمن إلى عالمي الذي ظهر أمامه دون أن ... لاستقباله.

... حد شافك؟

سار كصاحب مكان يعلم أسراره وتفاصيل مالكته حتى وصل إلى الأريكة.

ـ ولا الهوا، مفيش بني آدم.

وقفت أمامه أنظر له نظرة تائهة به. في مثل هذا اليوم من عام ... كنت أفتح باب المنزل ليُسرع في تقبيلي قبل غلق الباب. منذ ... ساعات كنت أشعر بضيق لقدومه، والآن أقف أمامه في تعجب لأنه لم يفعل ما اعتدت عليه! أشار بيده لأجلس جانبه. نظرت إلى يده لأنفذ أمره دون تفكير.

تعمدت اصطناع مشاهدة التليفزيون فمال بكامل جسده نحوي.. أنتفض من اقترابه، مدّ يده ليأخذ الريموت الذي كان بجانبي ثم اعتدل في جلسته.

ـ قفلته ليه؟

ـ انتي هتتفرجي وأنا جاي أقعد معاكي؟ ايه قلة الذوق دي؟ معرفتش أربيكي يا بت انتي.

ضحكت على أسلوبه، فنظر لي وعلى وجهه ابتسامة أعشقها.

ـ عارفه أنا جايلك ليه وتاعب نفسي، وولا روحت، وحارق بجي بـ خمستاشر جنيه بنزين وطالع تالت دور وواقف مستني بجي تلاتين ثانية عالباب، عارفه كل ده ليه؟

TW. @Rabe3_elkotob

ضحكت.. ليه يا أيمن بيه؟

ـ ايه ده؟ لاا مش حاسسها من جوا أيمن بيه دي. بص ا جايلك ميري أهو.. عشان أي كلمة متعجبنيش أجرك من شعرا معايا.

ـ تصدق أنا خفت فعلاً؟ طيب قول ليه..

* ليه

أحيانًا نسأل لكي نستمع إلى كلمات نعلمها جيدًا.. ولكننا نعشق سماعها..

ـ عشان وحشتيني.

لمعت عيناي بعد كلمته. كانت صادقة صدقًا كافيًا لتسري قشعريرة في جسدي.. نظر لي وكأنه يراني للمرة الأولى. ثم استطرد..

ـ وحشتيني قوي كمان. وحشتني عينيكي ووحشتني شفايفك ووحشني قوي بقى شعرك اللي بموت فيه ده.. وحشتني ضحكتك. يمكن لما اتقابلنا آخر مره مقلتلكيش كده. بس كان نفسي أقولك.

كيف تُحولنا كلمات عشق إلى أشخاص آخرين.. تُصبح ذاكرتنا لحظية.. لتجتمع لدينا جزيئات ذكريات انفصلت، فتكون صورة أخرى لم تُلتقط بعد. كيف يمكن أن تتحول أحاسيس غطتها أتربة تجاهلنا؛ لتظهر فجأة وتُضفي على وجوهنا رونقًا نعجز عن تفسيره.

كنت أُنصت إلى كلماته وأنظر إلى وجهه بتمعن. لم لا يُصبح هكذا دائمًا؟ عاشقًا لي بلا انتقاد؟ تحول خلافنا في فترات متقطعة إلى اختلاف دائم. نظرت خلفه لأرى ظل طفل يحمل ملامحنا معًا.

TW. @Rabe3_elkotob

... لأنني ورغم أنني تمنيت للحظات أن أكون له زوجة، إلا ... لم أفكر يومًا في تلك الهبة الإلهية التي تنتج عن اتصال جسدي، ... بداخلنا جسدًا آخر يبث الله فيه من روحه. كلمات بثها في ... ليولد هذا الظل.

... كانت كافية لألقي نفسي بين ذراعيه.. قبّلني، فاتجهت ... أحاسيسي تجاه قبلته. أفقت من ذلك الحلم لأدخل في غيبوبه ... حملني بين ذراعيه متجهًا إلى غرفتي.. يعلم الطريق جيدًا. ... يداي حوله أشعر بخضوع له مذاق آخر.. خضوع باختيار. ... بهدوء على السرير ثم نظر لي.. أخذت يده تداعب شعري ... كنت أنظر له نظرات تسأله من أنت. مال ليُقبّلني مرة أخرى، ... شفتاي في فمه. رفع رأسه مبتسمًا فوقعت عيناه على الحائط ... سريري.

ـ انتي شيلتي صورتنا؟! قالها بنبرة حادة أخافتني، ففتحت عينيّ ... اضطربت من سؤاله.. أدرت وجهي أنظر إلى الصور.. أتفحصها ... أن أنبس بكلمة.

ـ مانتي لازقة صور كتيرة أهو.. ومع ناس يمكن مبقتيش تشوفيهم، اشمعنى شيلتي صورتنا؟

ـ أنا شيلتها من فترة يا أيمن.. كنا لسه سايبين بعض.

كانت يداه لا تزال تُداعب شعري، ولكن عينيه معلقة بالصور بنظرة أفهم معناها جيدًا.. اقترب ليُقبّلني مرة أخرى ولكنني أشحت وجهي مبتعدة..

ـ هو مفيش حاجة حلوة أبدًا بتحصل ما بينا بتكمل؟ هو انت علطول كده؟

TW. @Rabe3_elkotob

لم يُجب.. اعتدل في جلسته.. ثم أزاح يده ليجلس بجانبي مطلقا عيناه تسبح في تفاصيل الغرفة. وكأنه يرى ظلّ أشخاص لا أعرفهم حتى ظلّ ذلك الطفل الذي وُلد من كلماته، تحول ليصبح رجلاً لا يعرفه. نظر بجانب يده إلى الكومود فوجد مطفأة السجائر. خلع سلاحه من جانبه ليضعه بجانب المطفأة، ثم خرج ليُحضر سجائره التي ألقاها مع مفاتيحه فور أن جلس على الأريكة. عاد ليظهر بصوته أولاً: في حد جالك هنا غيري؟

كيف يمكن له أن يكون متمرسًا إلى هذا الحد في قلب الأدوار.. لولا إشاحة وجهي عنه لكان يعتصرني بين يديه الآن.. ولكنني أمقت عندما يقترب مني رغم ضيقه.. وكأنني جسد فقط.. والآن يلعب دورًا يقنعني بأنه هو من ابتعد..

ـ حد زي مين مش فاهماك..

نفهم جيدًا وندّعي الجهل حتى لا تتأكد ظنونا بسوء ظن الآخرين.

اعتدلت جلستي بعد أن تحطمت لحظة عشق فريدة. تفككت جزيئات أحاسيسي مرة أخرى، عاد كل شي إلى موقعه.. وعاد أيمن.

ـ عادي يعني يا بينار.. انتي مصاحبتيش من ساعة ماسبنا بعض؟

ـ لا.. يعني كان في ناس أكيد بتكلمني.. بس ملاقتش نفسي مع حد.. هو انت عايز تقول ايه؟

تجاهل سؤالي.. كان يدخن سيجارته وينفث هواءها على شكل دوائر تسبح في سقف الغرفة.

ـ ناس كتير وملاقتش نفسي مع حد.. فل قوي.

TW. @Rabe3_elkotob

هو كل ده عشان ملاقتش صورتنا يا أيمن؟ احنا كنا لسه
.بن بعض أصلاً فـ طبيعي كنت أشيلها.

. سايبين بعض وكنتي لسه فـ حضني من شوية، صح؟

حل صمتي لثوانٍ بعد أن صفعتني كلماته..

ـ على فكرة.. انت عندك حق.. أنا غلطانة بس.. بس انت أول
..ماتاني إنك جاي قلتلك لا. على العموم بجد انت صح.

لم ينظر لي.. أطفأ سيجارته التي حاربت لتجد مكانًا تُدفن به
وسط سجائري. وقف ليأخذ مسدسه ليدسه مرة أخرى في جانبه.

ـ أنا هنزل قبل ما الدنيا تنور..

ـ أوكيه.. أوكيه يا أيمن براحتك.

خرج من الغرفة.. تبعته خطواتي كقطة تحاول إرضاء صاحبها ولا تعلم بأي ذنب طُردت من رعايته. ودعني ببرود دون أن ينظر لي.. أغلقت الباب خلفه، ثم ركضت نحو الشرفة.. أتابعه حتى ظهر خارجًا من مدخل العمارة، أرى ظلّ غضبه يسير أمامه.. مكثت ارقبه حتى اختفت سيارته.

زلزال نفسي بقوة 9 ريختر وُجد تحت قدميّ.. أتى ليبعثر كياني ثم اختفى. أردت أن أصرخ في هذا الهدوء الخانق الذي غلّف الشارع. أنظر إلى البيوت التي ارتصت أمامي وذلك الشارع الخاوي.. لأشعر بازدحام عينيّ بتفاصيل لا أود رؤيتها! أصبحت كمن يقف في منتصف لوحة لا يرى منها سوى نفسه. لم تتبقَ سوى ساعات قليلة ليبدأ يوم آخر متكرر بوجوهه. وازداد عليه إرث من الأحاسيس اليتيمة.

TW. @Rabe3_elkotob

عدت إلى غرفتي مرة أخرى أنظر حولي.. أفكر في صمت، ثم أمسكت هاتفي:

Hasma ana ta3bana msh ha2dar agy bokra 3shan law ye7ia sa2l 3alia

خرجت لأعزف على البيانو عزفًا حزينًا.. ألوان قاتمة تتمايل حولي..

أنهيت عزفي وانتهى يومي في بداياته..

* * *

أحاول الهروب بشتى الطرق من ذلك الإحساس السيء الذي تركه لي أيمن منذ لقائنا الأخير.. مر يومان لم يتصل ولم أحاول بدوري الاتصال به. أشعر بارتباك لمجرد مرور اسمه في ذهني.. ارتباك أودى بحياة عشرات من السجائر التي أنهيتها رغبة في الهدوء النفسي المصطنع، فأصابني ذبول وأصبح وجهي شاحبًا بلا لون. سحابتان سوداوان استوطنتا أسفل عينيّ ورعشة خافتة غلفت جسدي. أردت أن أنفض عني تلك الأحاسيس، والتي كلما أبحرت بها كلما ازداد شعوري بضيق مبهم. جلست في زاوية سريري كطفل كفيف يخاف الظلام، أفكر في تلك الأحاسيس التي سكنت جحور عقلي منذ لقائي الأخير مع أيمن.. تساءلت روحي عما أصابها. لِمَ نصاب بجروح غير مرئية يصعب التئامها دون أن نعرف أسبابها؟ ولم نقود عقولنا إلى عقول أخرى لا نعلم خارطتها، ثم نشكو من ضياعنا بها؟ لِمَ يصيبنا البعض بخيبة أمل ثم نقتل بدورنا تلك الآمال بلا رحمة منا فينا.

كان صباح اليوم التالي في المجلة مختلفًا قليلاً لأنني لم أفوت

TW. @Rabe3_elkotob

.. امع أستاذ يحيى.. دخلت غرفة الاجتماعات لأسحب كرسيًا ..اس.. جلس محررو المجلة في انتظاره. شحوب وجهي جعل ..من في الغرفة يسألني لأجيب بابتسامة باهتة لا تحمل إجابة.

دخل أستاذ يحيى بعد لحظات من انتظارنا له، مرتديًا بدلة سوداء ..صًا أبيض وكرافته زرقاء بها خطوط رمادية.. رفعت رأسي ..ظر إليه.. يخطو بثقة. لطالما يُفضل أستاذ يحيى ارتداء كرافته زرقاء ..في أغلب الاجتماعات. لا أعتقد أنها مصادفة، علماء النفس يرون أن الأزرق يعكس القوة والعمق وربما التحدي.. لون أغلب شعارات ..كات العالم ولون حبة الفياجرا! لذا فلا عجب إن كان الأزرق هو اللون المفضل له.. لم أصادف شخصية بقوته وغموضه من قبل..

تبعته عيون كل من في الغرفة حتى وصل إلى كرسيه، سحب الكرسي لتنسحب أنفاسنا معه. كانت دخلته مختلفة وتقاسيم وجهه ..ابسة، تعبث في أذهان من أمامه. لا يستطيعون أبدًا أن يتوصلوا أو ..يفهموا ما يدور في عقله، ولا يستطيعون التنبؤ بردود أفعاله، والتي ربما تختلف عن تعابير وجهه. قام مرة أخرى ليسير حولنا واضعًا يده في جيبه.. يلقي بأسئلته بلا إنذار.. الكل يتابعه خوفًا من أن يكون هو التالي.

ـ فين التحقيق اللي طلبته منك؟

وجه لي كلماته في الوقت الذي انشغلت فيه برسم دوائر فارغة على ورقة أمامي. لم أنظر له، وكأنني للحظة لم أعرف لمن وجّه سؤاله..

ـ يا أستاذة سيبي اللي فـ ايدك وردي عليا.

ـ sorry، أيوة يا فندم؟

TW. @Rabe3_elkotob

ـ فين التحقيق اللي طلبته منك؟

وضعت القلم جانبًا، أنظر إلى تلك الدوائر المرسومة، علها تحوي ردًا على سؤاله.

ـ لسه معملتش فيه حاجة.

ـ برافو.. صقفولها يا جماعة.. زياد.. عايزك تشوفلي الموضوع ده، وخليكي يا ستي انتي مع فنانينك، ولا أقولك.. امسكي طبق اليوم

أمسكت القلم مرة أخرى لأصب غضبي داخل دوائري الفارغة كانت تلك الكلمات هي الأولى والأخيرة التي يوجهها لي في هذا الاجتماع.

* * *

صداع نصفي استوطن منتصف رأسي.. شعور مفاجئ قادني إلى حرب نفسية عنيفة.. أشعر بضيق من تقليل أستاذ يحيى لي في الاجتماع الأخير. لِم لا أواجه نفسي لمرة واحدة.. يحيى على حق.

ارتميت على سريري أفكر بصمت ثم اعتدلت في جلستي، أحسست بشيء ما يناديني كي أبوح له بما لا أعلم. ركضت نحو البيانو، اختلطت لدي المشاعر.. أغمضت عيناي لأرى أيمن.. تذكرت مرة أخرى أستاذ يحيى وغضبه. تلتصق بذاكرتنا مشاهد نود محوها.. نفكر بعمق في كل ما يصيبنا بضيق ليتسع هذا الضيق بداخلنا. نفقد السعادة عندما نحتاجها ثم تتشبث ذاكرتنا بما يصيبها بالحزن.

مرّ أسبوع آخر لا أعلم فيم أفنيت أيامه. قررت أن أتجاهل ما حدث مع أيمن، اتصلت به أسأله عن صديقه في قسم المنشية، والذي ربما يساعدني في التحقيق، تعمدت أن أحدثه بلهجة عادية،

TW. @Rabe3_elkotob

ردوده باردة، يغلفها أحيانًا أسلوب تهكمي.. خاصة عندما تحدثني عن المناطق العشوائية وما يحدث فيها.. فقادتني كلماته إلى قرار زيارة تلك المناطق.

انتي مجنونة؟

.. مجنونة ليه؟ أنا يحيى حسسني إني مش هعرف أعمل حاجة.. أنا بقى عايزة أنزل بنفسي أشوف الدويقة.. حياة الناس دي عاملة إزاي، وممكن صاحبك ده بقى يبقى يساعدني. أنا بفكر بجد إن أعمل حاجة جامدة.

ـ حاجة جامدة ستايلش يعني؟

ـ متتريقش.. بليز أنا لسه كنت بتكلم مع حد من زمايلي، قالي إن في جمعيات خيرية كتير بتروح هناك عادي يعني زي صباح الفل.

ـ يادي زي صباح الزفت.. يا ستي انتي حرة، أنا مالي أصلاً.

ـ انت بتكلمني كده ليه؟ محسسني يعني كأني بتحايل عليك.. الموضوع على فكرة بسيط جدًا وممكن أي حد يعمله، وفـ شغلي في ناس كتير أصلاً بتعمل الكلام ده زي صباح الفل، وبعدين انت اللي قلتلي قبل كده إن أجد صاحبك ممكن يساعدني.

ـ أجد الشافعي مش فاضيلك أصلاً. انتي بقى عايزة تنزلي.. انزلي.

ـ أوكيه.. شكرًا..

أنهيت المكالمة دون أن أحصل على مبتغاي من مساعدته، بل ازدادت أحاسيسي سوءًا. ولكن تحمسي ازداد قوة.

* * *

TW. @Rabe3_elkotob

TW. @Rabe3_elkotob

نحن لا نحاول أن نعرف لم نعيش إلا عندما نفقد كل مسببات الحياة ونصبح بلا قيمة.. حينها فقط يُصبح لتساؤلنا معنى وألف إجابة.. وقد نجد أحيانًا أننا نعيش فقط لنصبح سببًا في إبقاء آخرين على قيد الحياة.

مستلقية على السرير يغالبني النوم.. صوت ليلى مراد الصادر من المحل المواجه للعمارة لا ينتهي.. هذا الرجل لا يستمع سوى إلى ثلاث أغنيات منذ عقود! هذا الرجل لا يمل أبدًا؟ ترى كم شخصًا خلف النوافذ المغلقة يعاني ما أعانيه؟! وضعت الوسادة فوق وجهي، أحاول الهروب من الإزعاج، وددت لو أن أستسلم لسبات عميق ولكنني تذكرت ذلك الموعد الذي يبعد ساعات قليلة. تأففت لأنني أكره الاستيقاظ باكرًا. مضى الوقت أحاول النوم.. محاولات باءت بالفشل.. والآن أنا على وشك الاستيقاظ.. ولم أكد أنام نصف ساعة.. فتحت عيناي بصعوبة ثم نظرت إلى المنبه بجانبي، نظرة بشرية حاقدة، لأنه يواجهني بحقيقة لا أود رؤيتها الآن. هكذا نحن البشر، نصنع الأشياء ثم نقتنيها لنوجه لها اللوم بعد ذلك، وكلما زادت اختراعاتنا كلما قل هدؤنا النفسي. أردت أن أعود للنوم مره أخرى ثم.. (لازم حضرتك تكوني قدام المقر الساعه 9:00 الصبح عشان الباص بيتحرك 9:30)، كان ذلك صوت إحدى

TW. @Rabe3_elkotob

المتطوعات بالجمعية الخيرية. تذكرته لأقفز سريعًا من سريري.

* * *

لا أدري حقًا سبب تواجدي في ذلك الباص.. أجلس وسط هؤلاء الأشخاص، الذين اجتمعوا لمساعدة آخرين لا نعلم عنهم شيئًا.. أو ربما أنا التي لا أعلم. كان لابد أن أكون على سريري الآن ولكنه القدر.. إنه القدر الذي يغير توجهاتنا حسب تياره.. لا أحاول الإنصات إلى الأحاديث المترامية في الباص من شباب وفتيات اعتادوا تلك الرحلات الاستكشافية، ألصقت رأسي بالزجاج جانبي لأرى انعكاسًا باهتًا من وجهي. أغمضت عينيّ لا أعلم لكم من الوقت، حتى أيقظني صوت عنيف صدر من كلاكس سائق الباص.. فأصابني ذهول مما أرى.. شارع عمومي على جوانبه باعة افترشوا الأرض بخضروات أرى منها كل الألوان عدا الأخضر.. باعة آخرون يحملون على عربات خشبية أشياء لا أعلم ماهي.. محل جزارة يقف أمامه شخص يصيح بزبائنه والسكين لا يزال في يده! مبهر هذا الرجل.. أشخاص يمرون بجانب الباص وعلى الرصيف، وربما بعضهم على أهبة الاستعداد للقفز من فوق الباص، وبأركان لم تطأها قدم بعينيّ! كان الشارع يسير في كل الاتجاهات، مما دفع السائق ليخرج رأسه صارخًا كي يمر من هذه الحلزونة المرورية.

أدرت وجهي للفتاة التي كانت تجلس بجانبي، أسألها:

ـ هو فاضلنا كتير؟

ـ لا خلاص احنا قربنا.. قدام شوية هنركن الباص وهنمشي، انتي جديدة فـ الجمعيه صح؟

نظرت إليها لا أحمل إجابة محددة..

TW. @Rabe3_elkotob

اه أول مرة آجي.

ا...سمت الفتاه لتقول:

أوكيه، متتخضيش بقى عشان الدنيا هنا مختلفة تمامًا. بس بجد
• ...عطي جدًا.

لا أعرف ما مصدر السعادة الذي تقصده تحديدًا.. ولكنني رأيت
ا. ..عينيها ذلك الشغف لمساعدة الآخرين. كانت تلك الفتاة لم تتعدَ
ا ...ابعة عشرة. لا أتذكر أين كنت أنا منذ عشر سنوات، ولكنني على
..ن أنه لم يخطر لي بال بأن أشارك في جمعية خيرية!

ـ هو انتوا بتعملوا ايه بالظبط لما بتنزلوا؟

تحمست لتجيب:

ـ احنا بننزل استكشاف بشكل عشوائي ونشوف الناس دي فعلاً
محتاجة ولا لأ، وبنيجي الأسبوع اللي بعده بطلباتهم. وكمان بنجهز
مرايس وكده. مبتشوفيش بقى بيدعولنا ازاي. إحساس حلو جدًا..
و على فكرة احنا أصلاً عندنا نشاطات كتير تانية فـ الجمعية. هو انتي
اللي اخترتي تنزلي الاستكشافات ولا حد قالك؟

ـ لا أنا كنت عايزة أنزل المناطق دي عشان أعمل تحقيق عن
حياتهم.

ـ تحقيق عن حياتهم ازاي؟!!

سألتني بتعجب لم أعرف له إجابة، ولكنني حمدت الله لأن
وصولنا شتت انتباهها. أخذت نفسًا عميقًا استعدادًا للنزول من
على متن قافلة تحمل بداخلها أشخاصًا يسعون لفعل الخير، وازدادوا
واحدة تسعى لتحقيق صحفي!

TW. @Rabe3_elkotob

قرر سائق الباص الوقوف في شارع جانبي تؤدي نهايته إلى صحراء تميل إلى الارتفاع، لا أعلم ما خلفها. نزل كل من في الباص لنسير كطابور عسكري خلف قائد المجموعة. وصلنا إلى بداية الطريق فبدأت ملامح المكان في الظهور.. صعدنا وكأننا نتسلق جبلاً رمليًا، حتى توقفنا في مكان تفرعت منه أزقة تراصت بداخلها أشباه بيوت. بدأ قائد المجموعة بتقسيمنا إلى مجموعات، فانضممت إلى إحداها لنبدأ الاستكشاف.. درجة الحرارة ألف.. انتابني إحساس بإرهاق مفاجئ قبل أن أبدأ تلك الرحلة الغامضة.

بدأنا السير، فنظرت حولي أتفحص ذلك البنيان المرصوص بأسلوب يحصد جائزة أسوأ تخطيط عمراني على مرّ التاريخ.. مترام بعشوائية وبلا تخطيط، لا يستطيع منافسة بيت من لعبة مكعبات قد يبنيه طفل لم يتعدَ أربع سنوات. بدأنا نتوغل بين أزقة الدويقة.. صعدنا سلمًا إسمنتيًا طويلاً للغاية، حتى وصلنا إلى منطقة الشهبة.

أخذت عيناي تُراقب أبوابًا من قماش تتطاير مع الهواء.. انتابني شعور جامح كي أقتحم تلك البيوت غير الموصدة لأرى ما بداخلها.. حجرات متفرقة، كان من حسن حظي تواجد نفس الفتاة التي كانت تجلس بجانبي في نفس المجموعة التي انضممت إليها.. فأسرعت قليلاً في خطوتي كي أسير جانبها.

ـ هو احنا رايحين فين دلوقتي؟

مدت يدها بورقة لي.

ـ خدي دي.

(آخد ماخدش ليه يعني!) همس عقلي.

TW. @Rabe3_elkotob

أخذت منها الورقة.. كان بها مجموعة من الأسئلة عن بيانات الاسم والعمر وبيانات السكن وتفاصيل عديدة. تسمرت في مكاني ام أ بيانات الورقة ثم رفعت رأسي، لتلتقي عيناي مع أشخاص ملء ون نحوي بتلصص من خلف تلك الأبواب الهشة، نظرات ا حت لي بأنني كائن هبط من كوكب آخر.. أدركت أن من معي » سبقوني ببضع خطوات فركضت خلفهم مسرعة، وكأنني كنت ا، وشك أن أفقد وسيلة اتصالي الوحيدة بكوكب الأرض، حتى و صلت إليهم.

- أنا هعمل ايه بالورقة دي؟

- احنا هندخل نعمل استكشاف عن حالات.. هنشوف هما محتاجين ايه ونختار ناس بنساعدهم. فـ ممكن تبقي تملي انتي الاستمارة دي.

بينما تُحدثني، وجدت امرأة تحمل بين يديها طفلاً لم يتعدّ عمره عامين، يلتصق بوجهه ذباب الكون، كانت ترتدي عباءة سوداء وتضع طرحة مهترئة على رأسها وبلا حذاء.. تركض نحونا لتُحدث واحدًا من شباب المجموعه التي أسير فيها. بدا وكأنها تعرفه..

- انتوا مش هتدخلوا عندنا النهارده؟ حبيبك النبي تعالى.

كان الشاب يسير وهي بجانبه، فأجابها (إن شاء الله حاضر)، دون أن يلتفت إليها. ركضت لتحدث شخصًا آخر أشاح وجهه عنها ما إن اقتربت منه.. ليردد ما قاله زميله.. مكثت أتابعها ولا أستطيع تفسير ما تريده. أحاول مراقبتها، فلمحت دموعًا تسيل مختبئة على وجهها.. متى كانت المرة الأخيرة التي رأيت فيها شخصًا يبكي في عالمي الذي أعيش فيه بعيدًا عن كل ما أراه الآن؟! لا أدري.. تأثرت

TW. @Rabe3_elkotob

بها لدرجة غريبة. تأثرت لأنها لم تتعمد أن ترينا بكاءها. أكره الذل وأراه الآن متجسدًا في امرأة..

سألت الفتاة التي معي لتفسر لي ما يحدث.

ـ احنا هنلاقي من دول كتير بيفضلوا ورانا كده، عايزة أقولك في ناس يفضلوا يتحايلوا علينا كده.. نجيبلهم حاجات بعد كده يبيعوها ويبجوا يجروا ورانا تاني.

ـ طب ينفع أنا أروح أعمل الاستكشاف ده؟

ـ أوكيه.. اسألي نفس الأسئلة اللي فـ الورقة واحنا هنا فـ نفس المربع ده جمبك.

أشرت إلى تلك المرأة بأنني سأذهب معها، فكفكفت دموعها وارتسمت ابتسامة على وجهها ذات ماركة لم أرتدها قط.. سرت بجانبها تجاه بيتها لتشرح لي حالتها وما تعانيه. فجأة.. اختفى صوتها، بدأت أرى نفسي وكأنني شخصية ذات قيمة من منظمة حقوق الإنسان، تعجبت على تشبثها لمجرد عمل استكشاف لا يؤدي بالضرورة إلى مساعدتها وفقًا لما فهمته.. وصلنا إلى البيت الذي تسكنه، فدخلت من بابه لأجده.. حجرة واحدة فقط.. رائحتها كريهة.. في إحدى زواياها وُضع (وابور صغير).. على الأرض مرتبة تكفي لشخص واحد فقط.. لون أرض الحجرة قاتم يميل إلى السواد، وقفت تتابعني من زاوية بالحجرة بنت صغيرة.. لا يتعدى عمرها خمس سنوات، أشرت إليها ولكنها لم تأتِ. شعرها أشعث ووجها ملطخ ببقايا طعام لا أدري من أين أتت به.

أزاحت تلك المرأة الطرحة من على شعرها لتلقيها أرضًا، ثم ركضت نحو ابنتها لتحملها بعنف.

TW. @Rabe3_elkotob

ـ بت يا نبيلة، تعالي سلمي عيب.

نظرت إليها وهي تركض نحو ابنتها، لفت نظري شقوق قدميها التي تضاهي في عمقها تصدعات جدران الحجرة التي تسكنها.

ـ سيبيها براحتها.. قلت ذلك ثم تذكرت سبب تواجدي، نظرت إلى الورقة لأبدأ بملء بياناتها.

ـ انتي اسمك ايه؟

ـ فتحية رضا السيد.

كتبت الاسم في الورقة ثم نظرت إلى باقي الأسئلة عن عدد أفراد الأسرة وأثاث المنزل وحالته ومصادر الدخل، تجاهلت كل تلك البيانات وطويت الورقة..

ـ انتي عايزة ايه يا فتحية؟

تجاهلي للورقة أصابها بتوتر وكأن فرصتها الوحيدة لتحقيق ما تريده، هو أن أخط أي شيء.. أي شيء في تلك الورقة.

رنّ هاتفي لأجد مكالمة من كوكب آخر.

ـ هاي يا بيبي فينك؟

ـ أيوة يا شيري، أنا فـ حوار كده هخلص وأكلمك.

ـ cool، فين يعني؟!

ـ يا بنتي حاجة تبع شغلي.. فـ الدويقة.

ـ دويقة مين؟ OMG.. متقوليش.. المكان البيئان ده؟!

ـ هخلص وأكلمك، اقفلي دلوقتي.

TW. @Rabe3_elkotob

ـ طيب، fine fine، باي.

فاصل هام لأتذكر أين أنا.. أو من أنا! لا أعلم لِمَ تحوّل الأمر بداخلي إلى مغامرة ليس لها شعور محدد، أو ربما شعور لم يولد بداخلي بعد. كنت قد نسيت سبب تواجدي في ذلك المكان، نسي عقلي أستاذ يحيى وتوبيخه لي. كما تناسى أيمن واستهزاءه..

أصبحت أفكاري مبعثرة للحظات.. بدأت فتحية تحدثني عن المعاناة التي تعيشها هي وزوجها لتربية أطفالهم. وكيف أنها لا تملك لأيام أي شيء تطعم به صغارها.. حتى الماء!! يجب أن تسير لمسافات طويلة كي تحصل عليه.. أصابتني حيرة عندما فهمت من حديثها وجود زوج لها في نفس الحجرة التي تسكنها هي وأبناؤها، فدارت عينيّ أحاول تخيل حياة أسرة في هذه الحجرة.

ـ اللهم صلي عالنبي.

ظهر صوته فجأة، أدرت رأسي فوجدته، وكأنه حضر ما إن بدأ عقلي يفكر فيه، وقف خلفي في مدخل الحجرة مسندًا يده. جسده نحيف له ذقن خفيفة وعينان جاحظتان لهما نظرة حادة.. وجهه وسيم إذا خفت حدة نظراته، حتى شعره ليس مجعدًا كأغلب الرجال، ناعم جدًا ثقيل ولكنه أشعث كحال صاحبه. يرتدي تي شيرتًا أبيض كُتب عليه cvis، به ثقب واضح أودى بحياة حرف الـ L! وبنطلون بيجامة أو لا أعلم حقًا ما تصنيفه في الملابس! كانت فتحية لاتزال تحمل ابنها تهدهده بين يديها لتنهي حالة صراخه التي ظهرت بشكل مفاجئ مع ظهور والده.

قالت مبتسمة: ده أبو نبيلة..

TW. @Rabe3_elkotob

ثم نظرت له: الآنسة مالجمعية جات ربنا يباركلها معايا عشان اعدنا.

اقترب خطوتين ثم مد يده ليصافحني..

وترتني نظراته المتفحصة لي، وقفت مشدوهة أنظر إلى يده الممدودة إليّ، لم أرَ في حياتي أظافر كمثل تلك التي أمامي.. استوطن منها لون أسود يميل إلى الأخضر القاتم.. ما أقذرها أظافر! رفعت رأسي أنظر إليه لتقابلني ابتسامة بأسنان بنية غريبة لم تُغسل منذ يوم مولده.. حاولت أن أبتسم له ولكن تغيرت حركة فمي لا إراديا لفوري من هذه اليد الممدودة إليّ. صافحته بسرعة ثم سحبت يدي. عاد ليقف خلفي مرة أخرى فازداد قلقي منه.

ـ شعرك ده يا آنسة ولا باروكة لمؤاخذة؟

ما الذي أتى بي إلى هذا المكان! نظرت إليه، أحاول أن أجيبه، إلا أنني ابتسمت بجمود ولم أستطع النطق.. سحبت شعري لا إراديًا ليستند على كتفي..

ـ ربنا ما يوريكي المقملين اللي عايشين وسطيهم.

ـ جرااااا ايه يا حمدي ما تتلم.. معلش يا آنسة هو حمدي كده علطول، لسانه عايزله لجام. بس هو فعلاً شعر حدرتك النبي حارسك وصاينك طويل كده وجميل.

لم أجد ردًا لما قالته سوى أن أبتسم لها..

فتحت الورقة التي كنت قد طويتها منذ دقائق لتنقذني مما أنا به الآن..

TW. @Rabe3_elkotob

- طيب بما إن جوزك موجود مفروض آخد بياناته هو..

دست فتحية يدها في صدرها لتخرج كيسًا به أوراق مطوية وبينهما صورة بطاقة حمدي، أعطتني إياها لآخذ منها بياناته.. وبدا بدوره يسرد لي حياته فهو «أرزقي» كما يُلقب نفسه.. أحيانًا يحصل على عشرة جنيهات في اليوم عندما يسرح على عربة فول يمتلكها جار لهم.. و أحيانًا أخرى يعود بثلاثة جنيهات، يحرك يده كثيرًا ليشرح لي حاله.. لدرجة جعلتني أحاول تجنب النظر إليه.. أستمع فقط إلى صوته، لا أفهم بعض كلماته ولكنني لا أطلب منه تفسيرًا حتى لا أطيل حديثي معه. مرّ الوقت سريعًا حتى خرجت. ركضت خلفي ابنتهم الصغيرة، نظرت إليها فوقفت تُخفي بيدها وجهها المبتسم لي. أشرت لها لـتأتيني فركضت نحوي، انحنيت لها أقبلها غير مكترثة بوجهها المتسخ. تركتها لأسير مبتعدة وأنا أنظر حولي إلى باقي البيوت التي بجانب فتحية «ياه لو أدخل أشوف كل الناس دي عايشة ازاي»، همست.. ولكنني وقفت فجأة لثوانٍ أفكر في سؤال يطرح نفسه.. نظرت خلفي مترددة، هل أعود لأسألهم أم ماذا.. «فين الحمام؟!» أين الحمام في هذه الحجرة؟! هذا السؤال ضاهى في أهميته لدي تساؤلات العالم عن لغز آينشتين. وكأنني أدركت فجأة كيف يعيش هؤلاء وكيف يعيش آخرون غيرهم بلا مأوى.

عدت لألحق بباقي المجموعة ولكن اختلف إحساسي بعد خروجي من عند فتحية.. كانت زيارتي لها بمثابة البداية التي جعلتني لا أتعجب أي شيء أراه في تلك المنطقة.

* * *

لم أتحدث مع أحد في طريق العودة.. ألصقت وجهي مرة أخرى

TW. @Rabe3_elkotob

اهد الوجوه من خلف الزجاج. وصراخ الناس في الشارع.. ن دقدقة وسمكرة السيارات ومشادات البشر. لايزال صاحب ل الجزارة يصرخ.. أصبح لكل شيء تفسير إلا نظرات زوج ة.. أخافني أو أشعرني بتوتر غريب ولكنني في نفس الوقت فت عليه.. مرت نصف ساعة حتى بدأت ملامح تلك المنطقة مي، ولكن الازدحام لا يختفي مهما اختلفت المناطق..

بعد وصولنا.. قفزت من الباص إلى السيارة ورئتاي تتضوران وعًا لدخان يرهقها. أشعلت سيجارة غير مكترثة بتلك العيون ي تراقبني من رفقاء القافلة الخيرية.. أريد السرير أريد أن أنام دهر.. تذكرت مكالمة شيرين..

- ايه يا موزة فينك؟ طيب تمام أنا قدامي نصاية بالكتير وأكون البيت، عدي عليا.

عند وصولي، لا أدري ما الذي جعلني أقارن بين عم مصطفى وهؤلاء الذين رأيتهم اليوم، كنت أعتقد أحيانًا أنه أشد الناس فقرًا (بواب..!) لا أدري لِمَ أشعر الآن أنه صاحب البنك المركزي.. احتدت نظرتي تجاهه عندما قابلني بابتسامته المعتادة.. شيء غريب فينا عندما نرى الناس الأقل منا لتلين قلوبنا تجاههم ثم تصبح أشد قسوة تجاه آخرين.. أقل منا أيضًا!

* * *

تري ما الذي قد أستفيده من أسرة فتحية؟ سؤال طرح نفسه.. بدأت أبحر في الإنترنت لآتي ببعض المعلومات عن منطقة الدويقة وسكانها. أصابني إحباط من كمّ التحقيقات التي قامت بها العديد من الصحف عن سكان تلك المناطق. فقررت أن أجعل تحقيقي

TW. @Rabe3_elkotob

ليس عن تلك المنطقة ككل بل.. عن فتحية!

مرت أيام لأقرر الذهاب إلى قسم منشية ناصر، ليس لشيء قام ماهو حالة من العند تملكتني بعد مكالمة أيمن الأخيرة.. لم أكتف بزيارتي للدويقة، أردت أن أعرف نوعية الجرائم التي تتكرر في تلك المنطقة، كان مدخل القسم مزدحمًا بالعديد من الأمناء وأشخاص يجلسون على الأرض في بعض الأركان.. فُتحت حجرة بصرير مرتفع ليخرج منها أمين شرطة يجر شابًا ينداح الدم من مكان ما لا أعلمه في رأسه.. تسيل الدماء كخطوط تعرف موقعها جيدًا على وجهه. أخافني هذا المشهد.. اضطربت لأنني قرأت في بعض عيون من حولي نظرة استغراب لوقوفي هكذا في منتصف كل شيء.. «كان اسمه ايه يا ربي؟» أهمس، أحاول تذكر اسم زميل أيمن الذي يعمل بهذا القسم.. أدهم.. آآآآه لا صح.. أمجد.. أمجد الشافعي.

ـ لو سمحت النقيب أمجد الشافعي موجود؟

نظر لي الأمين وهو يحك أنفه:

ـ قصد حضرتك أمجد بيه الشافعي.. أقوله مين؟

ـ بينار العوادي.. من طرف.. النقيب أيمن صالح.

ربما سأدفع ثمن ذلك لاحقًا، ولكنني لا أكترث.. مرت لحظات حتى أشار لي الأمين كي أتبعه.

ـ اتفضلي استريحي هنا.. هو فـ مأمورية وعلى وصول.

جلست على الكرسي أحاول أن أراقب من خلف الباب الموارب. مرت لحظات أخرى حتى انتفضت من مكاني.. دفع ضابط شرطة الباب بقدمه بعنف وهو يمسك بيده شابًا من التي الشيرت المهترئ

TW. @Rabe3_elkotob

الذي يرتديه وخلفه أمين شرطة يجر شابًا آخر.

أفلت الضابط الشاب الذي كان ممسكًا به، ثم التفت ليصفع كل منهما على وجهه.. شاركه الأمين بضربات متفرقة لكلاهما..

ـ ايه يابن الوسخه انت وهو؟ فاكرين مش هنعرف نجيبكوا ولا ايه؟!

يا إلهي، هل هذا هو من سأحدثه؟ كنت أدعو الله بداخلي ألا يكون ذلك الضابط هو أمجد الشافعي الذي أبحث عنه.. ولكن..

ـ يله أقف عدل يله قدام أمجد بيه.

(نهاااار اسود، الأمين بيقوله أمجد بيه.. هو أكيد واحد أمجد بس فـ أم القسم ده).

لا أزال في مقعدي، أصابتني حالة ذهول مما أرى.. أشفق عليهما.. أسمع تأوهاتهما وسكونهما في آن واحد.. الصدمة مما أرى كانت كافيه لأقف راغبة في الرحيل.. توقف الضابط فجأة وكأنه تذكر وجودي، سحب الأمين كلاهما وهو يكمل بوصلة سب لا يتحملها حيوان، بعد أن طلب منه الضابط أن يأخذهما من أمامه الآن.

اقترب بوجه مبتسم ليلقي التحية وكأن شيئًا لم يكن منذ ثانية! نظرت إلى يده التي حُفرت في وجه الشابين منذ لحظات ثم بادلته التحية.

ـ معلش لو هعطلك شوية، أنا بينار بشتغل صحفية (اخرجت له الـ Business Card) في مجلة أبواب الدنيا.. جاية من طرف أيمن أو.. هو مش من طرفه قوي يعني.. أنا كنت عايزة أعرف شوية

TW. @Rabe3_elkotob

معلومات.. بس هو قالي إنك ممكن متبقاش فاضي.. فـ متقولش إني جيتلك.

ضحك على كلماتي.. في حقيقة الأمر له كل الحق في ذلك، لا أعرفه وأطلب منه ألا يخبر زميله (هبل جدًا يعني).

ـ آه هو كان حكالي.. أنا تحت أمرك، قوليلي محتاجة ايه.

المشهد الذي رأيته لايزال أمام عينيّ، مما أصابني بارتباك.. حاولت أن أستجمع كلماتي.

ـ أنا نزلت الدويقة مع جمعية خيرية وشفت الأسر وحياتها عاملة ازاي.. حياتهم صعبة جدًا الصراحة.. فـ فكرت أعمل تحقيق عنهم وكنت عايزة أعرف نوعية الجرايم والمشاكل اللي بيعدوا فيها لأن الـ info دي هتساعدني فـ التحقيق.

كان يستمع لي بتركيز، ولكن فجأة ظهر صوت صراخ.. دخل أمين آخر ممسكًا شخصًا غير اللذين رحلا منذ قليل.

ـ أهو يا سعادة الباشا.

ـ استناني بره دلوقتي.

انتفضت خوفًا من أن يتكرر مشهد آخر أمامي.

ـ آآآ.. أنا شكلي جاية فـ وقت مش مناسب.. أنا همشي وممكن أبقى أجيلك وقت تاني.

ـ معلش أنا آسف.. بس الدنيا ملخبطة النهارده من أول اليوم.. أوكيه.

سرت خطوة مبتعدة عنه.. كاد يجلس فعدت إليه.

TW. @Rabe3_elkotob

sorry، بس هو اللي دخلوا معاك من شوية.. انتوا ازاي
م, بوهم كده.. في حاجة اسمها قانون انتوا بتطبقوه.. حرام
ا, دوا على فكرة..

• قف مسندًا يديه على مكتبه..

- حرام علينا ايه؟

- ايه اللي عملوه عشان الضرب ده كله؟

- هما يستاهلوا أكتر من كده.. دول عيلين مبرشمين شغالين
ل ميكروباص.. أخدوا بنت فـ آخر الوردية بتاعتهم اغتصبوها
ورموها فـ خرابة وبتحرياتنا عرفنا نجيبهم.. احنا بنربيهم وده
حلال فيهم.

- حتى لو.. مينفعش يتضربوا كده.

بدأت ملامح وجهه تُظهر غضبًا وضيقًا من كلماتي:

- وتفتكري لو حصل كده فيكي هتعملي ايه؟! انتي عارفة.. أنا
لو سيبت أهل البنت عليهم هيتقتلوا قدام عينك دلوقتي..

كان هذا المنظر أمام عينيَ أقوى من أي تهمة قد تُنسب إليهما،
لم أرَ في حياتي ضربًا عنيفًا مثل ذلك الذي رأيته أمامي منذ دقائق..

- على العموم أنا آسفة على إزعاجك.. وإن شاء الله أجيلك وقت
تاني.

خرجت بخطوات سريعة أُفكر فيما رأيت.. لم أُفكر في فعلتهم
ولكن كان لدي شعور بالضيق من وصلة الضرب المبرح التي

TW. @Rabe3_elkotob

رأيتها.. كل الوجوه في هذا المكان حزينة.. وجدت امرأة ترتدي جلبابًا وطرحة أظهرت نصف شعرها، تركض باكية خلف شخص يجره أمين شرطة.. لا أعرف لِمَ ذكرتني بفتحية.. ولِمَ تأثرت لبكائها

* * *

أكره بدايات اليوم إلا أنني ظللت على سريري أنتظر الصباح بفارغ الصبر حتى أخرج من المنزل.. كان قد مرّ يومان على ذهابي للقسم لتأتيني الجرأة لزيارة فتحية مرة أخرى. ما رأيته في القسم أدى إلى تعلق نفسي غريب بها.. استغرقت في طريقي ما يزيد عن الساعتين حتى وصلت. تركت سيارتي في نفس المكان الذي وقفت فيه الباص من قبل.. أحمل في يدي أكياسًا بداخلها أطعمة أحضرتها لهم.. أمر ممتع أن أتسوق لأجل آخرين لا أعرفهم. الناس ينظرون تجاهي باستغراب.. ولكن الأغرب أنني لا أشعر بخوف منهم، رغم أنني أسير وحيدة في عالم غريب.. لم أكن لأصدق صدقه المبالغ إن رأيته صدفة في لقطة فيلم أو برنامج. تلك المنظومة غير المنظمة. منظومة بشرية تحوي بداخلها عقولاً فارغة ووجوهًا متعبة. سخط واضح، ورضاء قليل.. ربما معدوم. أُمعن النظر في كل شيء حولي من هذا العبث العمراني والذي يجر قاطنيه أقدامهم بأسى واضح.. كل من يمر أمامي يكحت الأرض بقدميه.. مررت بجانب طفل لا يرتدي سوى فانلة متسخة وقدماه عاريتان.. يلعب بعصا في الرمال.. لا أعرف ما الصدمة العصبية التي قد تحدث له إن أرسلته الآن إلى والت ديزني بعصاه السحرية.. لا أستطيع التنبؤ أي منهما سيُصدم.

شرودي في كل شيء حولي أنساني الطريق إلى بيت فتحية، ولكن

TW. @Rabe3_elkotob

ما تذكرته.. أخذ عقلي صورًا متعددة من هذا المكان منذ طفولته. كانت نبيلة مثلما تركتها.. تقف أمام بيتها مع فتاتين لا تعرفهما.. ترتدي نفس الملابس التي رأيتها بها منذ أسبوع، لم يتغير شيء. ركضت نحوي ما إن رأتني، تنظر إلى الأكياس التي أحملها.. وقفت أمامي لتفتح لي باب بيتها.. وهي توجه نظرة مختلفة المعنى إلى الفتاتين اللتين كانتا تلعبان معها وكأنني لعبة امتلكتها لا يمتلكانها..

استقبلتني فتحية بألف قبلة. تحملتها على مضض.

ايه ده كل ده! إلهي ربنا يفتحلك أبواب الرزق كلها ويكرمك..

ـ معلش أنا قلت أجيبلكوا شوية حاجات.. أنا كده كده المرة الجاية فاتت لما سلمت ورقة الاستكشاف بتاعتكوا قلتلهم إن فعلاً احنا محتاجين اللي يساعدكوا، وإن شاء الله يعملولكوا كل اللي محتاجينه.

ـ ربنا يطعمك ما يحرمك..

نظرت حولها تلك النظرة التي تبحث عن شيء أجلس عليه ولكنها لم تجد شيئًا، فركضت إلى وابورها الصغير..

ـ هعملك حاجه تشربيها.

ـ لا لا ربنا يخليكي أنا ماشية. أنا كنت عايزاكي فـ خدمة بس.

ـ أؤمريني يا آنسة.. إلا معلش متآخذنيش أنا معرفتش اسمك ايه.

ـ بينار.

ـ بيار.. ما شاء الله.

TW. @Rabe3_elkotob

ـ لأ.. بيبي نااار يا فتحية.

ضحكت باستحياء..

ـ أهي كلها أسامي. أؤمريني يا حبيبتي.

ـ أنا أصلاً صحفية، وكنت جاية مع الجمعية عشان أعمل استكشاف، وبرضه أشوف حياتكوا وقصص عن الناس اللي عايشة هنا عشان نشوف نقدر نساعدكوا ازاي.

ـ يااااه.. ده في هنا قصص ياما.. عارفة حدرتك في كتير برضك كانوا يجوا يعملوا مباحسات وكلام من ده.

ـ بحوث.

ـ أيوة آه.. المهم يقولولنا هنجيبلكوا ونعملكوا ولا بنشوف وشهم بعد كده. وفي برضك ناس هنا تاخد حاجات مالجمعيات تلاجات وحاجات من دي يبيعوها وبعد كده يطلبوا تاني وهما أصلاً على قلبهم قد كده.

حتى هؤلاء اختلقوا بداخلهم مستويات اجتماعية.. تقسيمها أكثر عشوائية.. أثناء بحثي على الإنترنت قرأت مقالات عن مناطق أخرى تُعتبر الدويقة منطقة راقية إذا ما قورنت بها. ليشعر طفل الشوارع الذي يجد رصيفًا نظيفًا للنوم عليه، ببذخ لا يشعر به من ينام بداخل صندوق قمامة. وإن كان في حقيقة الأمر أن كلاهما أطفال شوارع!

ـ انتي عندك تليفون يا فتحية؟

ـ آه طبعًا.

TW. @Rabe3_elkotob

• طبعًا

هناك بعض لا يحمل قوت يومه.. لا يعرف أي بيت سيأويه إن ...ل الظلام، ولكنه لابد وأن يحمل بين يديه هاتفًا يُثبت أنه يعيش ...ا في نفس السنة واليوم والساعة وفي نفس الكوكب! يُثبت انتماءه ...ا هذه الحقبة الزمنية.

أملتني رقمها فسجلته واتصلت بها لتصفعني نغمة أغنية ...صطفى كامل.. يا نهار أبيض شفايف قمر ضفاير عيون قتالين ...ري القمر يا نهار أبيض عالـ.. أغلقت سريعًا حتى لا أستمع إلى ...ثر من ذلك..

بعد برهة خرجت من بيتها أشعر بسعادة غريبة. لم تُخطئ الفتاة المتطوعة بالجمعية عندما تحدثت عن شعورها الغامر بالسعادة لمساعدة هؤلاء الناس.. لم تكتمل سعادتي.. وجدته أمامي مباشرة.

ـ يا أهلاً يا آنسة، انتي كنتي عندينا؟

ـ آه يا حمدي، كنت جايبلكوا شوية حاجات.

ـ ربنا ما يقطع لك عادة. الجمعيات شادة حيلها اليومين دول.. كتر خيركوا.

ـ لا أنا جاية لوحدي..

«غبية.. غبية أنا ولا ايه ما كنت سكت ومشيت»، همست في سكون.

ـ طب هوصلك لتحت عشان محدش يرزل عليكي.

TW. @Rabe3_elkotob

لم أوافق أو أرفض.. سار بجانبي يشير بيده إلى كل من يراه وكان يحاول أن يلفت انتباه الجميع إليّ. لم ينبس بكلمة. ما إن اقتربت من سيارتي حتى شعرت براحة غريبة.. شكرته ولكنه أصرّ أن يسير معي حتى باب السيارة.

كدت أن أفتح الباب، فقال:

ـ إلا هو انتي يعنيبي مش مدارية شعرك ليه؟ معلش أنا عارف استطفال وكده، بس بسم الله ماشاء الله يعني ولا كأنه شعر فرس مفروض تغطيه عشان محدش يرشقك عين، والناس عينها ازاز.

ـ ....

لم أعلق على كلماته وكأنه لم يقل شيئًا.

ـ سلام يا حمدي.. لو فتحية احتاجت حاجة خليها تكلمني.

تحركت بسيارتي مبتعدة عنه، نظرت أعلى إلى الشمس.. لم أحبها مثلما أحببتها اليوم. ضوؤها كان كحارس لي. أعشق الظلام ولكن ليس هناك أسوأ منه عندما يكون بدون اختيارك.. لذا لا أستطيع أن أتخيل زيارتي لتلك المنطقة في الليل!

منحنتني فتحية دون أن تدري شيئًا هامًا لا أستطيع تفسيره.. كنت أجلس لساعات لأضع الأسئلة والمعلومات التي سأحصل عليها منها. ليس هناك شيء أفضل من المعايشة لحياة آخرين يختلفون عنك.. تخلق نوعًا من الفضول يزداد كلما عرفت المزيد فتختلف نظرتك لكل شيء حولك لتحاول البحث خلفه! لم أصدق يومًا أن اقترابي من فتحية سيدفعني إلى النظر إلى سرب من النمل ـ رغم كرهي للحشرات ـ أفكر من أين أتى وإلى أين سيذهب وترى ماذا

TW. @Rabe3_elkotob

، ل وفي أي بيت بحائطي يسكن؟ أصبحت أتصل بها بصفة دورية
، أنها صديقة لي.. كنت كلما فكرت في سؤال ما اتصلت لأجد دائمًا
الإجابة.. فتحية في مثل عمري وربما أصغر.. سنحت لي الفرصة
، معرفة عمر حمدي من بطاقته.. وفاجأني آنذاك أنه لم يتعدَ الواحدة
والثلاثين، برغم وسامة وجهه إلا أن ملامحه تعطي عمرًا أكبر.
أصبحت فتحية بمثابة مراسل خاص ينقل أخبار البيوت المجاورة
، كيف يعيش سكانها دون أن أبذل جهدًا لكي أعلم..

* * *

ـ أنا عايزة أعرض على حضرتك حاجة.

ـ خير يا بينار.

ـ أنا كنت قلت لحضرتك إن قررت أعمل التحقيق اللي انت طلبته مني عن العشوائيات والناس اللي ساكنة هناك.

ـ تمام.. خلصتيه؟

ـ ماهو ده اللي عايزة أتكلم مع حضرتك فيه.. هو ليه المجلة بتاعتنا متتبناش مشروع تعليمي وتوعوي للناس دي؟

يعني نعمل إعلان إن أي جهة تدعمنا ماديًا. ونحاول نعمل حاجة نوعي الناس دي بيها ونشوف بيفكروا ازاي ونوجههم.

كان أستاذ يحيى ينظر لي في صمت وكأنه يحاول فهم ما أريد. فانتقل صمته إلى حواسي. مد يده ليتلقط علبة سجائره ثم أشار بيده الأخرى إشارة مدلولها (كملي كلامك). اضطربت لأنني لا أعلم حقًا ما سوف أضيفه وهل استماعه يعني موافقته أم لا. تلك الفترة التي يحمل الصمت فيها كل الاحتمالات.

TW. @Rabe3_elkotob

- بس يافندم..

- بس ايه.. خلاص خلصتي كلامك؟

أومأت رأسي بالإيجاب، فقام من على كرسيه ليجلس على كرسي آخر أمامي.. دائمًا أخشى انتقاله من كرسيه.

بعض الأشخاص يتفننون باختيار أقرب مكان منك لكي يعبروا عن مدى بعدهم واختلافهم عنك أو معك.. وجه نظرة إلى الحائط خلفي مما دفعني أن أتبع نظرته لا إراديًا وكأن ما سيقوله قد كُتب بحبر سري لا يراه سواه. كل منا يستمد كلماته من مكان ما حوله ينعكس فيه خيال عقله.

- بصي يا بينار.. أنا فاهم قصدك، وفاجئتيني بصراحة بفكرتك إنك نفسك تعملي حاجة كده.. بس فيه مليون مكان وجمعيات بتعمل الكلام ده.. انتي نفسك لما رحتي رحتي مع جمعية خيرية، وشفتي إن ليهم نشاطات كتير..

- بس حضرتك..

- متقاطعنيش.. شغلتنا هنا إننا نعرض الحاجة مش نحلها، ويا ستي اللي عايز يحل أهو بندله على الطريق. زائد أنا ملاحظ إن أنا طالب منك حاجة معينة وانتي فكرتي فيها بطريقة تانية خالص.

- أيوة أنا فكرت كده لأني لما رحت لقيت إن الناس دي مش محتاجة يتعمل تحقيق عن حياتهم ولا مثلاً فلوس وبس.. مش الفلوس هي اللي هتحل أو تغير مثلاً سلوكياتهم. الناس دي عايزة حد يفهمهم يعني إيه حياة.. حد يفكرهم إنهم من بني آدم زينا.

TW. @Rabe3_elkotob

• تميد ايه لما أعمل تحقيق هيتقري ويتساب.. هما استفادوا ايه امبلاّ؟

نظر أرضًا وهو ينفث هواء سيجارته مستمعًا إليّ:

ـ عارفة يا بينار عيبك ايه؟

اتسعت حدقتاي بلا حول مني ولا قوة اتساعًا كافيا لتقبل ما يمكن قوله.. ايه يا أستاذ يحيى؟

ـ هي ميزة وعيب الصراحة.. انتي من أول يوم ليكي هنا لاحظت إنك شخصية عنيدة.. تحبي تدوري على الحاجة الصعبة وتروحيلها.. تختاري شخصية بعيدة عن الحوارات الصحفية وتروحي تحاوريها، ودي حاجة كويسة مخلياني متمسك بيكي فـ المجلة معانا.. رغم إنك مش ملتزمة فـ حاجات تانية كتير.. العيب فيكي إن انتي يا بتهدي قوي يا بتتجنني قوي، ويبقي نفسك تعملي الحاجة حتى لو متنفعش.. وده غلط.. مش دايمًا إصرارك ده بيبقى صح. انتي بتقوليلي حاجة مش منطقية أصلاً.

* مش منطقية

أين هو أرسطو الآن لكي أعرف ما هو المنطق وما الذي يجعل كلماتي غير منطقية من مفهوم أستاذ يحيى، هل لي أن أعود بآلة زمنية إلى عام 322 ق. م لأسأله قبل احتضاره بثوانٍ متوسلة، ما إذا كان ما ذكرته منطقي أم لا؟ وربما يعارضني القدر فيلفظ أنفاسه أمامي فزعًا من آلتي الزمنية.. دون أن يراني ودون أن أعلم الإجابة!

TW. @Rabe3_elkotob

خرجت من مكتبه أجر ذيول اللامنطقية فيما ذكرته له. ازداد ذلك الذيل طولاً عندما لمحتني بسمة.

ـ عملتي ايه مع يحيى؟

ـ مفيش، كنا بنتكلم عن التحقيق اللي عايزه مني ده.

ـ وعملتي ايه؟

ـ مفيش يا بسمة.. معملتش حاجة. أنا شوية وماشية أصلاً عشان عندي مشوار النهارده.

ـ مشوار فين؟

نظرت لها بتعجب نظرة تنتقد أسئلتها المتكررة.. ورغم فهم بسمة لتلك النظرة، إلا أنها لم تُغير ملامح التساؤل الذي ارتسم على وجهها، بل ازدادت وضوحًا!

ـ معزومة عند خالتي النهارده على الغدا يا بوسي. عايزة تعرفي هناكل ايه؟!

لم تهتز بسمة من ردي الذي يوحي بمدى تدخلها.

ـ طب كويس.. اتبسطي.

عدت إلى المكتب ألملم أغراضي بسرعة قبل أن تعود بسمة بسؤال آخر.

* * *

كان ذلك يومًا آخر من الأيام التي أذهب فيها إلى خالتي منى، لترتسم على وجهي ابتسامة منزوعة السعادة لافتقادها المصداقية..

TW. @Rabe3_elkotob

الشعور الذي يأتينا عندما يتفحصنا الجميع بشكل يصيبنا بالتوتر والانزعاج. هيأت نفسي في طريق الذهاب على ما سوف ألقاه من أسئلة معتادة ولوم ونظرات تخترقني من ليلى.. وربما سيزداد الأمر خبثًا إذا ما وجدت زوج خالتي قد وصل مبكرًا ليشاركنا الغداء. وليس كل ما لا أتمناه لا أدركه. كان صوت زوج خالتي أول من استقبلني قبل أن يضغط اصبعي جرس الباب.. تنهدت لأقرع الجرس بتردد.. فتحت لي الخادمة (أهلاً يا آنسة بينار).

همست أبادرها السلام، ثم قلت بصوت خافت: خالتو فين؟

فأجابتني خديجة: جوه في المطبخ.

ركضت نحو المطبخ أتفادى عمدًا مكتب زوج خالتي الذي خرج منه صوته عاليًا من مكالمة هاتفية يجريها.

كانت خالتي منهمكة في إعداد طعام الغداء، قبّلتها ثم وضعت حقيبتي على مائدة صغيرة وُضعت بمنتصف المطبخ.

ـ هي ليلى فين؟

ـ نزلت الجامعة النهارده.. شوية وجاية.. خالد ومراته جايين فـ الطريق.

مرت ساعة من الوقت حتى اكتمل أفراد تلك الأسرة، لأصاب بحالة من النقصان في ارتياحي. جلست وبجانبي ليلى في صمت أراقب تلك النظرات. كانت خالتي تنظر لي نظرة أعرفها جيدًا.. أفهم ما وراءها.. تلك النظرة التي يلومنا فيها الآخرون على فعل ما نحب لا ما يحبون، تلك التي تلومنا على حرية الاختيار وتقدم العمر وكسر العادات والتقاليد بعادات أسوأ. أما هذه الليلى التي بجانبي،

TW. @Rabe3_elkotob

كانت بدورها تتفحصني وكأنني فستان سهرة سترتديه يومًا ما. ا
خالتي وزوجته، كل منهما كان يراني بمنظور مختلف. ابن خالتي
يراني تلك الفتاة التي كانت تعصيه دائمًا في فترة إقامتي معهم
وزوجته تتوهم أنني كنت الحبيبة الأولى له، التي لا ترفض له أمرًا
خليط من النظرات أصابني بتوعك. تجاهلت النظر إلى زوج خالتي
حسين الذي ترأس المائدة بعد أن أصبحت أنا الوجبة الرئيسية بها
كانت نظرة واحدة منه كافية لأن أبقى لأيام غير مطمئنة. إنه ذلك
الرجل الذي لعب دور أب لم أره من قبل.

أشار لي خالد بأن أعطيه من طبق السلطة الذي وُضع أمامي..
فأسرعت زوجته لتمد يدها إلى الطبق.. أعطته إياه قبل أن أنال
شرف تقديمه له، فعادت يدي بجانبي وأنا أدعو الله متوسلة أن
تنتهي تلك الفقرة من يومي سريعًا.

كان الصمت يسود مائدة الطعام عدا من صوت الأشواك
والسكاكين، حتى كسرت خالتي ذلك الصمت.

ـ انت يا سي خالد لازم أتحايل عليك عشان تمن علينا بزيارة؟
استاءت تعبيراته من كلماتها خاصة بعد أن امتعض وجه زوجته:
يا ماما ما أنا.. فقاطعه أبوه:

ـ الدنيا اتغيرت يا منى، هو بقى في وقت؟ ده تلاقيه بيخلص
شغله يكون خلص اليوم.. ويدوبك يلحق يروح يقعد مع مراته
شوية.

نظرت إليه خالتي: فعلاً الدنيا اتغيرت قوي، البركة قلت من
الناس مش من الوقت يا حسين.

TW. @Rabe3_elkotob

ـنت أحاول ألا أنظر إلى وجوههم، أستمع فقط وأميزهم ا..وانهم.. دخلت أغسل يدي وعندما خرجت وجدت أونكل ..بن يقف أمام مرآة كبيرة وُضعت بجانب باب المنزل، يسبح ا به في خصلات شعره الرمادي وهو ينادي على خديجة لتحضر الشاي. سحبت نظراتي بعيدًا عنه. دخلت غرفة المعيشة حيث اجتمعوا جميعًا. أنظر إلى ساعتي أفكر متى سأقرر الهروب.. دخل ءلفي زوج خالتي ليجلس. أسند ظهره على الأريكة مغمضًا عينيه. ـت أجلس أمامه فسنحت لي الفرصة أن أراه بوضوح. نظرت إليه اتذكر نظراته التي أمقتها طوال فترة إقامتي معهم. رغم أنني لم أرَ اه يومًا إلا أنني بفطرة الأنثى أدركت من نظراته لي أنه لن يصلح للعب دور الأب المفقود. هناك رجال تعشق عيناهم إرسال نظرات يعلمون جيدًا أنها مفهومة ويتلذذون ـ رغم ذلك ـ في إيصالها.

عشق النساء لا يشيخ بداخل بعض الرجال، بل إنه عشق يزداد صباه كلما شاخ الرجل.

* * *

وصلت أمام بيت فتحية، لتستقبلني نبيلة التي كانت تلهو أمام البيت، ابتسمت لها فركضت نحوي.. إنه ذلك الشعور المفاجئ عندما يعتادنا الأطفال دون سابق إنذار فنتعجب ذلك الاعتياد. شعرها أشعث كالعادة.. كان يومًا ما أسود، ولكن أصابته الأتربة بشيخوخة، ليميل لونه إلى ذلك اللون الرمادي المتسخ تحت ضوء الشمس. متسخة الملبس كعادتها ولها رائحة تُعلن بصراحة عن تاريخ آخر يوم استحمام.. ربما يعود إلى العام الماضي. انحنيت إليها لأقربها طولاً.

TW. @Rabe3_elkotob

ـ ماما فين يا نبيلة؟

غرست إحدى أصابعها بأنفها، لتشير بيدها الأخرى إلى الشارع خلفي.. لم أفهم ما تقصده.

نظرت حيث أشارت يدها فلمحت فتحية وهي تُعطي طفلها لجارة لها تسكن على بعد أمتار منها.. لا أعرف لِمَ لم أناديها.. لفت انتباهي ارتداؤها لتنورة طويلة بها كل ألوان الكون، وقميص بني غريب.. (ايه اللي انتي منيلاه ده يا فتحية!) همست في صمت.. وكأن أفضل ما لدى هؤلاء من ملابس هو أسوء ما يمكننا ارتداءه على الإطلاق.. مكثت أشاهدها.. ثم بدأت أسير خلفها عن بعد، وكأنني أريد أن أتابع حياتها من منظور آخر لا تراه.. أسرعت في خطواتها فأسرعت قليلاً خلفها.. كدت أتعثر ألف مرة لأنني لا أرى سواها أمامي.. مرت بجانب سيارتي وحمدت الله بأنها لا تعرفها.. سارت حتى وصلت إلى الشارع العمومي تاركة خلفها كل شيء. لدي شعور مختلف.. وكأن كل ما فعلته في سنوات عملي لم يكن شيئًا.. لم أشعر من قبل بفضول كالذي أشعر به الآن.. كانت تنظر إلى جانبي الشارع وأنا أتابعها.. مرّ أمامها ألف ميكروباص وتاكسي ولم تُشر إلى أحد لإيقافه.. بدأت أتساءل عن سر وقوفها هكذا.. فكرت أن أناديها بعد أن مللت من متابعتها، ولكن بعد لحظة من تفكيري رن هاتفها.. فردت ولا أعلم ماذا تقول.. أغلقت ثم أشارت لميكروباص لتركب.. قفزت في سيارتي أتبعها بسرعه كي لا أفقد أثرها.. يا إلهي، لا أستطيع تخيل أنني سأظل ملتزمة بالقيادة خلف ميكروباص وهو ما يعني كسري لكل القواعد.. سأقف فجأة كلما توقف وأركض خلفه كلما فعل ذلك.. أحاول متابعة كل من يُلقي بهم خارجه.. أنتظر لحظة هبوطها من هذا المكوك الكريه..

TW. @Rabe3_elkotob

. . :غلني الازدحام ولا اعتراض كل من أقطع عليه الطريق..
أعطي لنفسي كل المبررات لأعرف أين ستذهب.. لم تمرّ دقائق حتى
ا . فتحية من الميكروباص.. عبرت الشارع بسرعة لتقفز بداخل
ارة هيونداي خضراء غطتها الأتربة.. بداخلها رجل لا أستطيع
ان أميز ملامحه عن بعد.. من هذا الرجل؟! ازداد فضولي لأتابع ما
،ث.. ظللت خلف السيارة أتابعها.. أتساءل هل يُدرك سائقها
. افبتي له؟ إلى أين يأخذ فتحية؟ لا أعلم.. بدأ الطريق يخلو من
السيارات وكأننا على طريق سفر مهجور ولا أدري أين أنا.. ماهذه
المنطقة النائية؟! لا يوجد أي مكان يُشير إلى حياة في هذا المكان..
هدأت سرعته ثم دخل يمينًا في أرض فضاء. ترددت من الدخول
خلفه حتى لا يراني.. أبطأت سرعتي قليلاً.. اقتربت فوجدته قد
أوقف سيارته.. أوقفت سيارتي ثم نزلت منها بحذر أحاول أن
أفهم ما يحدث.. أنظر إلى الخلاء حولي.. لا يوجد إنسان.. فقط
سيارات تمر بأقصى سرعة في الطريق السريع.. بدأت أشعر بتوتر
وألف علامة استفهام.. اقتربت قليلاً كي أرى ما يحدث.. أسمع
صوتًا غريبًا.. أرى رأسها أحيانًا تعلو وتنخفض.. وأراه يتحرك
أيضًا بشكل مريب ولكنني لا أرى وجهه.. وقفت مشدوهة مما
أرى.. كنت أراقب ما يحدث بينهما ولكنني خفت أن أقترب أكثر..
عدت بسرعة إلى السيارة وقد أصابتني حالة من الذهول.. تحركت
بعيدًا قليلاً عن موقعها ولا أستطيع استيعاب ما أرى.. عدت مرة
أخرى لأنظر وكأنني لا أصدق ما أراه.. أشعلت سيجارة بتوتر وأنا
أفكر في فتحية.. تلك التي رأيتها تبكي في لقائي الأول بها.. أفكر
في زوجها.. وصغارها.. شيء ما جعلني أنتظر. مرّ الوقت لتظهر
مقدمة السيارة.. خرج إلى الطريق السريع مرة أخرى.. قاد سيارته

TW. @Rabe3_elkotob

بضعة أمتار ليلقي بفتحية في الطريق السريع. نزلت من سيارته وهو
تحاول أن تُعدل هيئتها.. نظرت إلى شيء ما في يدها ثم دسته ا
صدرها.. تنظر حولها إلى السيارات التي تمر سريعًا وكأنها تبح
عن وسيلة نقل تأخذها من هذا المكان.. مكثت لثوانٍ أراقبها ث
أدرت سيارتي.. وصلت أمامها.. فتحت لها باب السيارة دون أ
أنظر لها.. مكثت ثوانٍ قليلة ثم.. ركبت جانبي في صمت.

* * *

TW. @Rabe3_elkotob

ال منا ينقصه شيء.. كل منا يفتقد شخصًا ما.. صفة ما.. حلمً
سيكمن اكتمالنا فقط.. عندما نعترف بما لدينا من نقصان.

ادخن سيجارة في صمت.. تجلس جانبي بوجه مسود.. لم
اسألها أي سؤال.. كانت نظرتي لها استفهامية.. ولأنها لا تُجيد قراءة
الحروف ولا حتى الوجوه.. لم تسأل حتى كيف وصلت إليها..
نظرت لي بعين حمراء امتلأت بالدموع ووجه مجهد.. (عايزاني أعمل
ايه بعني عشان أجيب القرش؟) كانت إجابة كافية دون أن أسألها.

مرت لحظات أحاول أن أفكر في حياتها.. أنظر إلى فتحية التي
جلست جانبي في سكون.. منحت جسدها منذ قليل لرجل آخر
ليعطيها مبلغًا قد لا يكفي لشراء حذاء.. تبحث عن أي شيء يمنحها
ولو قليلاً من المال.. مكثت أفكر ماذا أقول لها.. لا شيء لدي.

- هو انتي تعرفي الراجل ده؟

أجابتني دون أن تنظر لي:

- لا.. دي أم إبتهال اللي دلتني عليه.

وكأنني أعرف عمن تحدثني! مين أم إبتهال!!! ما هذه
السذاجة؟!

TW. @Rabe3_elkotob

ـ مين أم إبتهال دي؟

ـ واحدة ساكنة يميتنا.. لو في حاجة أسترزق منها بتقولي.

* أسترزق

مفهوم الرزق لدى البعض هو ليس الحصول على مقابل ١٠ فعلت وإنما.. ألا ينكشف سرّ كيفية حصولك عليه.

نظرت لي بعين مكسورة أُجهدت حتى واجهتني..

ـ بس والنعمة أنا ما بعمل كده كتير غير لما بيفيض بيا.. ربنا يعلم أنا بحس بإيه لما راجل غير أبو العيال هو اللي يجيب بلاه فيا.. انتي متعرفيش حاجة يا آنسة.. ربنا ما يوريكي اللي أنا فيه.

كنت أقود سيارتي وأنا أستمع إليها وإلى شكواها مما تعانيه.. جعلتني كلماتها مشتتة وحائرة.. حاولت التفكير فيما تقوله.. أنعيش في عالم قد يجبرنا أن نبيع أنفسنا لنشتري ما يُبقي تلك النفس على قيد الحياة! أنعيش في عالم تتعرى فيه أجسادنا لتشتري ما يسترها!! أهذا هو العالم الذي أعيش فيه؟ لا أستطيع حتى الحكم على فتحية.. هذه المرأة لا تكذب.. ليس لديها سبب واحد في هذا الكون لتكذب عليّ الآن.. وليس لديها نفق سري تحت حجرتها يصل بها إلى قصر.. هي حتى لا تدري إن ماتت أين ستُدفن..

* * *

مرّ أسبوعان على لقائي الأخير مع شيرين. وجدتها كالعادة على

TW. @Rabe3_elkotob

.. م الاستعداد لأي خروجة.. مررت بها لآخذها ـ لأن سيارتها
.. لوكيل ـ وهو أمر إيجابي ـ كما تعتقد ـ أدى إلى تعرفها على شاب
..) وفقًا لما قالته لي في مكالمتها منذ عدة أيام، والتي كانت 58
... عن المهندس الذي يتابع سيارتها.. استوعبت بعد انتهاء
..الة أنها حتى لم تذكر اسمه، وأنا أعتقد أنها لا تعرف اسمه بعد!

أشارت شيري إلى النادل لتطلب الشيشة وأخرجت بدوري
.. ة السجائر، أدخن بثقة تنتزع من الآخرين ثقتهم بي.

ـ كنتي مختفية فين الأيام اللي فاتت دي؟

ـ بقالي فترة مسحولة فـ حوار العشوائيات ده.

ـ انتي أصلاً بتروحي هناك ليه؟

ـ عشان أعمل تحقيق للمجلة عندنا.. فجأة حسيت إن نفسي أعمل حاجه تانية للناس دي.

تذكرت فتحية ولكن شيئًا ما دفعني ألا أحكي لشيرين ما حدث، ثم استطردت:

ـ عارفة يا شيري لما تبقي شايفة حاجة من بره كده وفجأة تدخليها فتشوفيها بشكل تاني خالص.. نفسي بجد أعمل حاجة ليهم تغير حياتهم..

ـ مش عارفة قوي بس peace، انتي عايزة تعملي ايه يعني. I think الناس اللي بتتكلمي عنهم نصهم بلطجية وشوارعية وحرامية، فـ take care.

ـ بلطجية وحرامية وغلابة وبتوع مخدرات ومحترمين.. فيه كل

TW. @Rabe3_elkotob

حاجة يا شيري.. تصدقي أنا نفسي آخدك معايا، تروحي تعيشي
هناك يومين كده.

ـ بتوع مخدرات drugs؟! طيب يعني ظبطي أختك يا بيبي.. أم
حتة حشيش.. أنا متخانقة مع حسام وهو اللي كان بيظبطني.

ارتسمت على وجهي علامات البلاهة لأن شيرين نجحت
جعلي أتخيل نفسي وسط هؤلاء أسعى لطلب (حتة حشيش) لها
حاولت أن أشرح لها كل ما رأيت.. كل إحساس راودني منذ
وطأت قدماي تلك المنطقة ومنذ أن رأيت دموع فتحية قبل أن أعرف
اسمها! زوجها وصغارها.. كيف تعيش.. كل تلك الأحاسيس
التي اقتحمتني منذ اللحظة الأولى لي.. حتى زيارتي لأمجد الشافعي
(وقلم الخدامين) الذي رأيته. كانت تستمع دون أن تقاطعني.. ربما
مرت ساعة وأنا أحدثها.. تسحب دخان شيشتها لتنفثه في وجهي
بلا تعليق.. تُومئ رأسها من حين لآخر.. توقفت عن الكلام بعد
أن أُرهقت.. فنطقت:

ـ يا بنتي فكك من الهزي ده، انتي فكرك يعني انتي لو عملتلهم
حاجة هيتغيروا؟ هما كده أصلاً، وهيفضلوا كده فـ don't wast ur
time.

قالتها ببرود غير مسبوق، أشعلت سيجارة بعصبية.. أغاظتني
كلماتها وكأنني أنتمي إليهم.

ـ لا طبعًا.. مينفعش تفكري بالسلبية دي.. حتى لو هيفضلوا
كده، مفروض على الأقل تحاولي تعملي حاجة ولو بسيطة ليهم..
انتي بس عشان مقضياها فـ حياتك فـ طبيعي مش شايفاهم..
ومظنش أصلاً انتي فاهمة أنا بتكلم على ايه. وأنا اللي عمالة أحكي

TW. @Rabe3_elkotob

أهالك وانتي تهزيلي راسك زي صباح الفل وانتي ولا فاهمة حاجة.

تركت شيرين لي الشيشة فجأة..

.. Oh really? and u know them?! انتي بقى اللي فاهمة وعارفة وكل الـ stories اللي حكيتيها دي والـ أي كلام ده؟ يا بيبي انتي أصلاً واحدة فاضية فـ بتملي الـ Emptiness اللي فـ حياتك مش اكتر.

صدمة لي أن أعرف كيف تراني شيرين.. فراغ؟! لأنني أردت أن أفعل شيئًا لهؤلاء، تراه فراغًا؟ كل تلك الكلمات التي أفنيتها لأجعلها تشاركني ما حدث معي هي لم تكن أيضًا سوى كلمات لملء فراغ الوقت لجلسة شابتين في مقهى!

فكرت مليًا قبل الرد على كلماتها.. كنت على ثقة أنني على وشك الخناق معها.. وهو أمر لم يحدث منذ اليوم الأول الذي عرفت فيه شيرين.. كظمت غيظي للحظات والتزمت الصمت.. ولكنني كنت أحترق بداخلي، فخرجت كلماتي:

ـ شيري، انتي أصلاً عمرك ما فكرتي تعملي حاجة تساعدي بيها حد.. انتي يعني شايفة إن كل الناس اللي بيحاولوا يساعدوا الطبقة دي ناس فاضية؟ وحضرتك اللي very busy؟

ـ ... - ياااا.. الـ check لو سمحت - لا طبعًا يا بايا، كل حد فينا بيعمل.. بس its not ur business إنك تعرفي أنا بعمل ايه ولمين وامتى! يعني لو أنا ماشية ممكن أدي لولد واقف فـ إشارة coin ولا حاجة.. بس مش هاجي أقولك أكيد. الفكرة بقى إن ده مش معناه إنه هيتغير ب الـ coin دي.. هو فـ الآخر شوارعي، sorry يعني..

TW. @Rabe3_elkotob

فـ مش فاهمة ايه اللي ممكن يتعمل لناس زي دي.. الـ level ده اتا، واتخلق عشان يكون كده..

* * *

اتعرف ما هو الإلهام في حالتي؟ هو أن أرى كل من حولي نفعل ما أريد فعله ليزداد تعلقي به أكثر. في حالتي.. الرفض والاستنكار هو الملهم الأول لتمسكي بالأشياء.. فكرت لأيام فيما قالته شيرين مشاعر غير مريحة وُلدت في حوارنا الأخير.. فتجنب كل منا الآخر، ولم أحاول بدوري الاتصال بها.. لا أزال أتذكر يوم مراقبتي لفتحية وما اكتشفته بمحض الصدفة.. لا أزال أتذكر توسلها كي لا أقول شيئًا لزوجها.. شعرت يومها بالعجز لأنني فشلت في أن ألعب دور الواعظ.. أردت أن أقول لها ألا تفعل ذلك ولكنني أشفقت عليها لدرجة جعلتني لا أعرف كيف أقول ذلك.. فلم أجد شيئًا أقوله سوى أن أعدها بمساعدتها.. أصبح يسكن عقلي فرد جديد يُدعى.. فتحية رضا السيد..

وصلت مبكرًا عن موعدي معها.. ابنتها كما هي تلهو مع أطفال آخرين.. لم أجد فتحية ولا ابنها الصغير.. وقفت في منتصف الحجرة حتى انتفض جسدي هلعًا من صوته.

- نعم.

ثلاثة أحرف أصابتني بحالة من الفزع، أدرت رأسي لأراه. التقت عينانا فارتعدت خوفًا منه.

- هي فتحية فين؟

TW. @Rabe3_elkotob

بتجيب حاجة وجاية.

دخل ليجلس على المرتبة أرضًا مسندًا ظهره على الحائط وهو يرمقني بنظراته.. حمدت الله لأنني كورت شعري لأعلى حتى أتجنب ملاطفاته المستمرة.

وقفت أمامه لا أدري ماذا أفعل.. نظرت بداخل حقيبتي أبحث عن هاتفي لأتصل بها.

ـ هي تليفونها معاها؟

ـ آه.

معرفتي سرّ فتحية زاد من اقترابي منها.. نظرت له بطرف عيني ولسان حالي يسأل ماذا إن رأى حمدي ما رأيته؟ ماذا لو قلت له الآن.. هل سأتسبب في جريمة قتل؟ أم إنه لن يفعل لها شيئًا؟ لا أعرف.. مكثت لثوانٍ مكتوفة اليدين أفكر أين فتحية.. كنت قد اتفقت معها بأن تأخذني في نزهة لأرى الحياة من خلال عينيها. فقررت أن أُحضر معي جهاز تسجيل وكاميرا لأسجل وصفها للحياة التي تعيشها.. كان باب بيتهم مفتوحًا على مصراعيه دائمًا وأبدًا.. وكأنه ليس سوى زاوية من الشارع.. اتصلت بها، لم ترد.. مرّ الوقت ولم تحضر، فقررت أن أنتظرها بالخارج.. وجودي مع حمدي في نفس المكان كان أمرًا غير مريح.. خطوة واحدة تُلقي بي خارج هذه الحجرة.. ولكن يده لحقتني بقوة لترميني أرضًا. لم أستوعب في تلك اللحظة ما يحدث معي.. ولكن عندما نظرت إلى وجهه أصابتني رعشة قوية، خوفًا وطمعًا في أن تنزل به صاعقة من السماء

TW. @Rabe3_elkotob

تودي بحياته. اقترب مني كذئب أعمى يسيل لعابه لاشتمامه رائحة أنثى.. قمت سريعًا ليرتطم ظهري بالحائط خلفي بقوة مؤلمة.. تحوّل هذا البيت الهش إلى بيت محكم البناء بالقدر الكافي ليضمن تفكك بنائي.. أمسكني من شعري فانفلت لينسدل بين يديه.. أحكم التفافه بيده ليرفعني إليه. كم عشقت شعري الطويل وكم أمقته الآن.. ألصقني بالحائط بقوة ليفترس كل ما يواجهه مني، فرحل صوتي خوفًا وكأنني على يقين أن صراخي قد لا ينقذني بقدر ما أنه سوف يزيد من عدد الذئاب حولي.. أردت أن أدفعه ولكنني كلما حاولت دفعه بعيدًا عني كلما ازداد قوة، بدأت أبكي وأتوسل إليه بلا صوت أن يبتعد، ولكنه كان لا يستمع سوى إلى زئيره. لمحت عيناي ابنته التي دخلت لتأخذ إحدى زوايا الحجرة، تنظر مشدوهة في صمت بلا حراك. فمها مفتوح في حيرة.

كنت على وشك أن أفقد الوعي. أغمضت عينيّ لأرى وميض قصاصات من حياتي. من قال إنه فقط قبل الموت نرى شريطًا يمر أمام أعيننا من لحظات حياتنا؟! هناك لحظات أخرى قد نرى فيها كل شيء حتى الموت ذاته! رأيت طفلة لها ضفيرة سوداء طويلة تحمل ملامحي واسمي.. تركض في ساحة المدرسة.. إنها أنا. رأيت أمي تبكي وأنا أراقبها عن بعد دون أن أعرف السبب.. كانت تعزف على البيانو لحنًا لم أفهمه يومًا. اقتحمتني صورة أبي وهو يحملني في عامي الأول، ثم اختفت لتظهر صورة أخرى بها أنا طفلة في طابور المدرسة، رأيت تلك النظرة التي وجهتها لولد يقف في طابور آخر أحببته في طفولتي. تلاشى ذلك الطفل ليأخذ مكانه أيمن يوجه لي كلمات بحدة لم أسمعها.. لم أسمعها لارتفاع ضحكة شيرين، ثم

TW. @Rabe3_elkotob

ظهر صوتها (يا بيبي انتي أصلاً واحدة فاضية).. اختفت شيرين
وزحام الشارع فجأة.. ثم ظهر كوب شاي بارد وصوت صفارة
بائع غزل البنات، أنظر إلى ألوان الغزل لتعود بي مرة أخرى إلى
البيانو بكل ألوانه، فيظهر أصدقاء طفولتي على مائدة الطعام نستعد
للدرس مع أستاذ اللغة الفرنسية.. تهرب روحي إلى غرفتي لأرى
أيمن من جديد، يحتضنني بين يديه ثم يتلاشى عندما يدخل النور
غرفتي لأسمع صوت رجل الروبابيكيا فأنزعج من صراخه، ثم
أجد نفسي أراقب فتحية من بعيد.. أحاول أن أدفن رأسي تحت
الوسادة، ولكن صوت عبدالمطلب يخترق كل مسامي لأفيق على
حمدي الذي جعلني وسادة له بعد أن شق ملابسي بعنف.. صوت
..فني كان كافٍ ليصيب تلك المنطقة بزلزال يُودي بحياة من بقي بها.
كان لا يزال شعري بين يديه يلعقه بأنفاسه الكريهه.. يُحكم قبضته
عليه وكأنه سيقتلعه من رأسي.. ثم يعود بعنف ليلعق وجهي، يزداد
بكائي فتزيد دموعي المنهمرة على وجهي من إثارته. أخطأت عندما
شعرت بالأسى لأجل هؤلاء الذين ضُربوا في قسم الشرطة بعنف.
أي قانون هذا الذي كنت أنادي به آنذاك.. أي قانون!

- بتعمل ايه يااااااااااااااااااااا وسخ!

صوتها الصارخ هو الشيء الذي أنقذني من حمدي ومن قصاصات عمري.

رمت ابنها الرضيع أرضًا لتركض نحوه تحاول أن تضربه بقوة، فردّ لها الصاع صاعين ليبرحها ضربًا عشوائيًا عنيفًا.. كانت قواي قد تلاشت فاستكنت أرضًا بجانب الحائط الذي أُرهق منذ قليل من اندفاعي نحوه. لا أستطيع أن أحرك ساكنًا. كل ملامحي أصابها شلل

TW. @Rabe3_elkotob

عدا ذلك السيل من البكاء، أما بداخلي فكانت هناك حرب شعواء، كنت أشعر بسريان الدماء في عروقي، أشعر بصراع بين خلايا دمي البيضاء والحمراء.. أشعر بنبضي يتسارع وكأنه نبض إنسان استيقظ على شمس تُشرق من الغرب قبل توبته بلحظات، فلم يعد هناك شيء باقٍ لطمأنته. كانت أنفاسي تخرج بكبرياء اللاعودة، فأتوسل لها بذلّ ورعشة كي أسحبها إليّ مرة أخرى. كان حمدي لايزال يضرب فتحية التي أدى صراخها إلى تجمع عدد لا بأس به من الناس، ولا أحد يعلم سبب ما يحدث بين فتحية وزوجها. لا أحد يسأل السبب، وكأن الصراخ هنا أمر طبيعي..

بعض من النساء أزحنها ليأخذنها بعيدًا.

ـ اتفووو على شكل أمك راجل دني.

ـ يلاا يا مرة وسخة يا.....

وصلة من السبّ المتبادل كانت تخترق أذنيّ.

كادت تخرج ولكنها عادت لتسحب طرحتها التي وقعت أرضًا لتغطي بها شعرها.. أفكر بعقل مجهد فيها.. تلك المرأة التي رأيتها تتنازل عن جسدها لتأتي بقوت يومها.. هي نفس المرأة التي لم يُنسها ما حدث الآن أن تستر شعرها..

رغم ضيق تلك الحجرة، لم ينتبه أحد لتكومي بجانب أحد جدرانها.. خرجت فتحية.. واختفى حمدي وكل من بالغرفة.. لم يتبقَ سوى نبيلة التي كانت ولا تزال في نفس الزاوية لا تعرف ما يحدث. تنظر إلى وجهي الباكي في حيرة.. نظرت إلى وجهها ثم هرعت لأقوم من تكومي هذا لأخرج من هذه الحجرة الملعونة..

TW. @Rabe3_elkotob

...ت أن أترك حقيبتي لولا أنني تذكرت وجود مفاتيحي بداخلها ...حبت يدي بسرعة لتسحبها. ركضت إلى سيارتي ألملم بيدي ..بعي الذي انفتح على مصراعيه، لا أحاول أن أنظر حولي لمن ..ابعني.. وربما حالي الرث هذا يزيد من انتمائي إليهم.. فالغريب هنا هو ارتدائي ملابس مكتملة لم تصبها لعنة الزمن.. أشعر أنني على وشك أن أفوّت الرحلة الأخيرة لعالمي الذي أعرفه.. للحظات اعتقدت أنني سأظل سجينة هذه المنطقة إلى الأبد. وسيظل شعري معلقًا بيد حمدي.. يستحق أن تخونه زوجته.. ولكنها.. ولكنها لا تخونه! فعلت ذلك لتطعمه هو وأبناءه! هو لا يستحق خيانتها ولا حتى ولاءها له. ما إن ركبت سيارتي حتى تنفست نفسًا أقوى مما يأخذه إنسان يصارع الغرق. رغم أنني قد خرجت إلا أنه ظل بداخلي ذلك الشعور بحدوث الأسوأ. ورغم أن فتحية قد أتت قبل أن يحدث ذلك الأسوأ، إلا أنني أراه أمام عينيّ وأشعر بألمه كأنه قد حدث لي. اغتصب إحساسي قبل أن يحاول اغتصاب جسدي، أدركت أن غشاء البكارة الذي تتحول معه صفتي في المجتمع وفي بطاقتي وأمام نفسي لا يعني شيئًا أمام ذلك الغشاء النفسي الذي إذا ما تمّ فضه فلن يعود مثلما كان، وسنحمل جراء فضه أحاسيس لن تتركنا ما حيينا ولن نستطيع ترك ذنبها.. بحثت بأسى عن مفتاح السيارة الذي ألقيته على المقعد بجانبي.. أنظر إلى كُمّ قميصي الممزق وتحته خدوش متفرقه بيدي. نظرت في مرآة السيارة.. أرى وجهًا لم أميزه للحظات ليصعقني ذلك البركان الذي انفجر وانسالت حممه في عروق عينيّ. دفعني ذلك المنظر إلى أن ينفجر بركان آخر في أعماقي.. كانت عيناي شديدتي الحمرة ووجهي منتفخًا به خدوش لم أشعر بألمها وكدمات.. طوال طريق عودتي كنت أشعر بأنفاس

TW. @Rabe3_elkotob

حمدي تصفعني، تحسست رأسي بيدي، ألم لا يُطاق.. أسمع هاتفي من مكان ما، أسمع صوته يخترقني ولكنني لا أريد الرد. أريد أن أبقى وحدى أستمع إلى نبضي.

* * *

لا أعلم كم مرّ من الوقت حتى وصلت ولا كيف عرفت العنوان. كانت رحلة صعودي إلى الدور الثالث رحلة مرهقة وكأنني أتسلق جبلاً يعلو ثلاثة آلاف كيلو متر.

دخلت الحمام.. أنظر إلى وجهي في المرآة. أمعنت النظر وكأنني لا أراني للمرة الأولى. أحيانًا تتلاشى ملامحنا في المرآة لتتجلى أحاسيسنا. فتحت الماء ثم دفنت رأسي تحته.. أغمضت عينيّ لتُبحر المياه. أحاول أن أغسل عقلي من بقايا أفكار تخرج منه لتختلط بالمياه دون أن تذوب فيها. أفكار تخرج لتسير في مواسير مياه محملة بأفكار وأحاسيس آخرين. تتزاوج في مجاري المياه مع بقايا أفكار أخرى.

هناك أشياء تحدث لنا فلا نعلم هل نحن قدنا أنفسنا لها أم هي التي جذبتنا إليها. تذكرت كلمات أيمن لي وتحقيره من زياراتي المتكررة لفتحية. وبالتالي فهو الآن آخر شخص يمكنني اللجوء إليه لما حلّ بي، حتى شيرين واستهزاؤها مني الذي لم يمرّ عليه سوى بضعة أيام.. ليس الصعب أن نقع في مشكلة ما ولكن الأصعب عندما لا نجد شخصًا آخر لنرمي عليه ذلك الحمل النفسي، فنُبقي حملنا النفسي بداخلنا رغمًا عنا. تذكرت فتحية التي رمت ابنها الصغير أرضًا لتنهال على زوجها بالضرب. ولم توجه لي كلمة وكأنها لم ترَ سواه..

TW. @Rabe3_elkotob

حالات العمق التي أغوص فيها لحظية. حالات أرى فيها كل لون حقيقي.. أرى ألف درجة من الأسود والأبيض.. أرى بها فوس قزح. وبعد أن أفتح عينيّ، أواجه ألوانًا في عالمي اصطناعية. يصيبني إحباط من اختلاط كل تلك الألوان بلون آخر رمادي يصبح كل شيء باهت اللون.. حتى وجوهنا.

مر أسبوعان أحاول أن أتناسى فيهما كابوس حمدي وهو يجذبني من شعري.. أصرخ ألمًا وكأنه يقتلع رأسي.. أستيقظ مفزوعة لأتحسس ذلك الوغز المؤلم. لم أعد أترك له العنان مثلما اعتدت أن أفعل. استيقظت اليوم فجرًا.. تسارع نبضي فجأة.. فخرجت لأقف في شرفة المنزل أُدخن سيجارة ملأني هواؤها براحة نفسيه مسممة.. أصبح الصداع كقبعة لا تفارقني، يصيبني دومًا بألم في عينّي مما يجعل دموعها تنسال بلا إرادة مني.

قررت أن أذهب إلى العمل مبكرًا.. تبعتني نظرات الجميع منذ دخولي من باب المجلة وحتى جلوسي. الكل كان يعلم أن هناك أمر ما فشلت محاولات بسمة لأيام في معرفته، خاصة مع وجود آثار الخدوش التي في وجهي.

* * *

TW. @Rabe3_elkotob

هناك شيء يدفعني لقضاء أكبر وقت بعيدًا عن الغرفة.. وه
أنتظر أيمن في شرفة المنزل.. لا أعرف لم أشعر بذلك التوق لرؤ
وكأنني لا أحتاجه بقدر احتياج انتمائي إليه. أدركت أنني سأ
عدة ساعات حتى يأتي فدخلت لأرتمي على الأريكة أمام التليفزيو
أتجول بين قنواته بلا هدف أريد أن أحرق الوقت. نظرت إلى الـ
الذي لم تمسسه يداي منذ فترة، فأدرت وجهي سريعًا لأكمل
التجول في قنوات التليفزيون.. كنت أتجنبه خوفًا من تلك النو
التي ستجتاحني عند بدئي العزف.. تذكرت المرة الأولى التي عزف
فيها. كنت لم أتعدَ الخمس سنوات آنذاك.. وقفت بجانب أمي التي
بدأت بالعزف مغمضة عينيها.. أتفحص ملامح وجهها.. فضغطت
بإحدى أصابعي على البيانو، نظرت لي مبتسمه لتحملني كي أجلس
وأبدأ العزف.. أتذكر جيدًا الشعور الذي انتابني والقشعريرة التي
سرت في جسدي عندما لامست أناملي مفاتيحه، وكيف تطور
إحساسي حتى بدأت موسيقاه بالتأثير على باقي حواسي، وأصبح
لكل لحن لون يغلفني ويملأ عالمي ثم يتبخر عندما أتوقف. كل لون
له معنى وشعور ورائحة! كل لون هو نغمة ولحن بداخلي.. أصل في
لحظات إلى مرحلة لا أسمع فيها عزفي بقدر ما أرى من ألوان عندما
أغمض عينيّ.. لتبحر روحي بين كل هذا.

وصل أيمن.. جلست جانبه في سكون فنظر لي بتعجب.

ـ طب مفيش ازيك للسواق اللي مستنيكي تحت بيتك!

ـ sorry يا أيمن، مصدعة بس.

ـ طلبتي تنزلي ليه لما انتي مصدعة؟

TW. @Rabe3_elkotob

لا أعرف.. هناك حزن يغلفني وصمت يغلف حزني، وأنا فيما
..ام كل ذلك لا أرى نفسي. لا أعرف حقًا ما الذي دفعني أن
اطلب من أيمن مقابلته.. ربما أردت أن أحكي له ما حدث معي عند
..مية.. ذلك الحدث الذي لا أجد له تفسيرًا في داخل عقلي. نظرت
.. أحاول أن أتكلم. تذكرت حديثه معي عن تلك المنطقه وسكانها
«الشوارعية» كما كان يطلق عليهم. أيمن دائمًا يتلذذ في أن يجعل مني
إنسانة مخطئة عندما أكون بعيدة كل البعد عن الخطأ.. فترى ماذا
..يكون رد فعله الآن عندما أبدأ بسرد ما حدث معي.. لم أخبره
أيضًا أي شيء عن زيارتي لأمجد الشافعي وما رأيته.. لا أستطيع
التنبؤ برد فعله.. كان يستهزئ من ذهابي إلى فتحية بغرض ذلك
التحقيق الذي أصابتني لعنته، فأصبحت أذهب إليها دون أن أعلم
لم تأخذني قدماي إلى هناك. هل هم حقًا شوارعية ولا يستحقون
سوى تلك الحياة الميتة أم نحن من ساهمنا في جعلهم كذلك، هل
الخطأ في أنهم فقراء أم لأننا لا نحترم فقرهم، وهل لأنهم جهلاء أم
لأننا لا نعلم فيم تفكر عقولهم؟ هل انقض حمدي علي لأنني أنثى أم
لأني أمتلك ما لا يملك. وما الفرق بين حمدي الذي لا يملك شيئًا
ولكن أتته الجرأة ليحاول التحرش بي بكل ما لديه من قوة وبين
آخرين يملكون كل شيء ولكنهم ضعفاء يتحرشون بنظرات خبيثة.
ما الفرق بينه وبين زوجته التي انهالت عليه ضربًا رغم أنها تترك
نفسها لغيره دون أن يدري..

عقلي يضج بأسئلة كثيرة لا أعرف لها ردًا. انطلق أيمن بسيارته
دون أن أعلم إلى أين يأخذني.. استسلمت له ولم أسأل أو يصيبني
فضول. وكأن ما حدث لي منذ عدة أيام هو أسوأ ما يمكن أن يحدث
في تلك الفترة. أصابتني حالة من اللامبالاة وأنا بجانبه. لا أكترث

TW. @Rabe3_elkotob

بقيادته التي طالما انتقدتها ولا بأفأفته الدائمة.. التزمت الصمت الذي انتقل سريعًا إليه.

ـ هنفضل فـ العربية ولا ايه!

نظرت حولي لأدرك أن أيمن قد أوقف سيارته وينتظر نزولي أزعجتني تلك الغيبوبة التي أعيش فيها، فقط لأنه جعلني أدركها! نحن لا ندرك أبدًا أننا في حالة أخرى إلا عندما نتواجد مع آخرين نحن لا نحمل همومنا بقدر ما نحمل هم أن يرانا الآخرون في تلك الهموم. فتتحول حالاتنا إلى عرائس ماريونيت بيد هؤلاء الآخرين.

لاسيستا كافيه.. لم يكن من الأماكن المفضلة لأيمن، لذا عندما يقرر الذهاب إليه فهو أمر يعني أنه اختار أقرب مكان إلى المنزل لأنه لن يتحمل صمتي لوقت طويل.

ـ مالك بقى يا بينار؟

ـ ماليش بس بقالي كم يوم كده متضايقة.. حاسة إني مش فـ الموود.

أشعل سيجارة ثم نظر لي ليسألني مرة أخرى..

ـ عادي يا أيمن. من غير سبب.

عندما تقال «من غير سبب» ليقع خلفها كل الأسباب..

بدأت أشعر بتوتر من نظرات التساؤل التي بدأت تنهال عليّ.. ربما أخطأت عندما طلبت مقابلته اليوم. أحيانًا يتساءل من حولنا عما يصيبنا تساؤلاً ينبع من رغبة في مشاركتنا ما نحن فيه، والبعض

TW. @Rabe3_elkotob

الأمر يتساءل ليتلذذ بمضاعفة ما نشعر به لمراحل لا نود الوصول إليها. بدأت رغبتي تتحول إلى رغبة منبوذة، أريد أن أعود إلى المنزل الآن.

كنت على وشك أن أقول (عايزة أحكيلك على حاجة حصلت معايا)، فأوقفتني كلماته قبل أن أنطق.. «ما تنجزي يا بايا، مالك ماليه وشك ليه كده!»

ـ مفيش، انت عارف إن...

ـ ياا رب مش هنخلص.. في ايييييه؟

ـ متزعقش لو سمحت.. انت عارف إن من فترة كنت عايزة اعمل تحقيق للمجلة عندنا.. رحت لفتحية اللي كنت حكيت لك عليها قبل كده. داا.. دخلت عندهم.. كانت هيا مش موجودة و.. وجوزها اتهجم عليا وضربني و.. قطعلي لبسي.. مسابنيش إلا لما فتحية جت. الناس كلها اتلمت و...

تبدلت ملامح أيمن فور سماعه كلماتي، قفز من كرسيه كالمجنون..

ـ يابن الـ.. ميييييييييين ابن المرة ده.. تستاااااااااااهلي!

قاطعتني تلك الكلمة لتصيبني بحالة من الذهول.. دفن سيجارته في المطفأة بعصبية ثم أشعل سيجارة أخرى وهو يدور حولي.

ـ أنا مش فاهم أصلاً انتي بتروحي هناك ليه.. عايزة تعملي ديييييك أم تحقيق عن ايه يعني.. مانا قلتلك إن المناطق دي اللي فيها ناس لبش، ولاد وسخة أساسًا. بس انتي فاكراها ايه.؟! خروجة

TW. @Rabe3_elkotob

جديدة فـ قلتي تجربي.. اديكي اتفشختي أهو.

ـ هو أنا غلطانة إني حكيتلك يا أيمن؟ ممكن تقعد لو سـ... ووطي صوتك الناس بتتفرج علينا..

ـ ميتيين أم الناس.. اسمه ايه ابن المرة اللي عمل كده.. ولا ساكن فـ انهي داهية هناك؟!

ـ اسمه حمـ.. انت عايز اسمه ليه؟

ـ عشان نفشخ أمه. أو نبعتله حد ي**** مراته قدام عينه!

أسمع نبضي في كل شيء حولي.. زاد أيمن من حالتي سو... حاولت التفكير في درجة الأذى التي ستعود على حمدي من أ... بيه.. هل يستحقها؟! أرهقتني فكرة أخرى.. حاولت أن أتـ... أيمن وقد أرسل من يفعل بفتحية ما فعله زوجها بي ودون ا... تأخذ مقابلاً! هل يريد أيمن الانتقام لأنني تعرضت لأذى منه أم إنه يستعرض إمكانياته أمامي في أذية الآخرين؟ تخيلت ما سيحد... لحمدي، وللحظات شعرت بنشوة الانتقام منه، إلا أنني تذكر... وجه فتحية مرة أخرى وصغارها فاختفى ذلك الشعور.. لا أستطيع الجزم حقًا إذا كان حمدي يستحق ذلك العقاب المجهول أم لا. حاولت أن أهدئ من أيمن الذي تحول ليصبح كثور هائج لا يرى أمامه.. يصرخ بصوت مرتفع، أصر على معرفة اسمه.. ولكنني قررت ألا أبوح بشيء.. فطلب الحساب بصراخه، وعدنا ليلقي بي أمام العمارة.

* * *

لا توجد هناك نعمة أفضل من النسيان. هبة إلهية تخرجنا من

TW. @Rabe3_elkotob

...مسية قد تودي بحياتنا. كنت قد بدأت النسيان لأعود مرة ... إلى حياتي، بدأت أعد تحقيقًا زائف.. بُني على دراسات وفرها ... جل العظيم.. أضفيت على ذلك خبرتي من خلال المرات التي ... فيها إلى فتحية. فتحية.. رغم محاولاتي المستميتة لنسيان ما ... إلا أنني أتذكرها كثيرًا.. وكأنها شخص أعرفه لا تنطبق عليه ... النعمة لينسى مع الوقت. ترى أين هي الآن، وهل استمعت ... صيحتي الصغيرة بأن تفعل أي شيء مباح إلا أن تسلم جسدها ... جل آخر، أم إنها الآن بين يدي رجل لا تعرف حتى اسمه؟ اتفقت ... م شيرين أن نخرج سويًا. تجنبتها الأيام السابقة لأنني أدركت فجأة ... ها ليست من هؤلاء الذين يمكن أن أبوح لهم بما يجول في داخلي، ... لكن ورغم ذلك.. افتقدت جلستي معها ودخان سيجارتها. في ... طريقي إليها رن هاتفي برقم غريب.. نظرت إلى الرقم، ثم ألقيته ... جانبي لأرفع صوت منير.. رن مرة أخرى ولم يكن صوته مهدورًا ... مثلما اعتدت أن أسمعه بصعوبة، كان صوت رنينه واضحًا رغم ... صوت الكاسيت المرتفع. وكأنه يصر على ردي.. خفضت الصوت لأرد.

ـ وعليكم السلام.. مين معايا؟

ـ معاكي عادل العوادي.. عمك.

ـ .....

ـ أنا قلت أكلمك عشان أبلغك إن والدك اتوفى امبارح.. وهيوصل بكره الساعة 3 العصر عشان لو حابة تيجي.

أعلم جيدًا أن هناك أب يعيش على بعد ثلاثة آلاف وخمسمائة

TW. @Rabe3_elkotob

كيلومتر. أعرف ملامحه.. وأضع له صورة معلقة بجانبي، ولا
أفكر يومًا في هذا العم.. وربما هناك آخرون لا أعلمهم. هلع
أصابتني. هل يفترض أن أحزن أم ماذا! ذلك الأب الذي لم
يومًا وجهًا لوجه، ولم تحاول أن تخبرني أمي سبب اختفائه..
كلمة بابا طلسمًا سحريًا أخاف النطق به. كل ما أعرفه أنه يداوم
إرسال مبلغ مالي على حساب أمي بالبنك لأجلي، والذي تحول
وفاتها لي. أنهيت المكالمة ثم ألقيت الهاتف بجانبي. ما هذه
الدنيوية التي نجد نفسنا أبطالها دون أن ندري.. أمسكت
لا إراديًا.. أنظر مرة أخرى إلى ذلك الرقم الذي اتصل بي.. أر
أن أتأكد من وجوده في سجل المكالمات. عقلي يرفض استيعاب
يحدث.

نظرت مرة أخرى وكأنني لا أصدق ما سمعته منذ ثوان
انسحبت أنفاسي بعيدًا عني. فأوقفت السيارة، ثم فتحت زجاجها
أحاول أن أستنشق هواءً آخر.. تسارع نبضي بشكل مخيف.
استرجعت كلمات ذلك الرجل الذي يدّعي أنه عمي.. وكأن كل
التساؤلات التي لم أحاول أن أسألها يومًا.. تجلت الآن. استنكرت
ذلك الشعور بأنني لم أحاول يومًا أن أصل إلى أبي أو أن أعلم عنه
شيئًا.. أدركت أنني أعيش كتلك النقطة التي توضع أسفل علامة
استفهام، دون أن أرتقي لمواجهة أسئلة عقلي. نظرت إلى هاتفي مرة
ثالثة ثم أمسكته بيد مرتعشة.

ـ شيري، أنا هطلع على البيت، تعاليلي على هناك ضروري.

ـ .....

ـ لا لا مش هقدر.. تعالي بس بسرعة.

TW. @Rabe3_elkotob

م أنني كنت على وشك نسيان تلك الحالة التي أصابتني بعد
ث لي من حمدي، إلا أن هناك شيئًا ما بداخلي كان يصر على
ني النفسية قد ماتت.. لم أكن أعلم أنها على قيد الحياة حتى
ي على أثر تلك المكالمة.. لأنتقل بعدها إلى حالة أعلى من الضيق
ي.. غريبون نحن، نظل دائمًا في دائرة يشوبها الحزن والقلق ولا
ك أنها أفضل الدوائر إلا عندما يحدث الأسوأ، فنظل هكذا دائمًا
ا.. ننتقل من سيء اختلقناه إلى.. أسوأ خُلق لنا.

وصلت المنزل لأجد شيرين التي وصلت قبلي تنتظرني أمام
اب. فتحت دون أن أحدثها بكلمة.. تبعتني إلى صالة المنزل
جلس.. ألقيت حقيبتي أرضًا. ثم بدأت التحرك في أرجاء المنزل
شكل عشوائي كمن أصابته حالة جنونية. كانت عينا شيرين
تابعني وتحاول معرفة سبب ما أنا به.

ـ في ايه يا بابا؟

أوقفني سؤالها عن حالة الذهاب والإياب التي انتابتني.. ركضت لأخرج علبة السجائر من الحقيبة. أشعلت سيجارة ساعد دخانها أن تخرج الكلمات التي احتبست في حلقي.

ـ أنا بابايا مات النهارده.

نظرت لي شيرين وكأنها لم تتأثر.. أصابتها حالة ربما شبيهة بتلك التي أصابتني في الوهلة الأولى. أستطيع الآن قراءة ما يدور في ذهنها.. تعرف شيرين أن لي أب يعيش في لندن وأنني لا أعلم عنه شيئًا. لم أذكر اسمه أمامها من قبل. تعرف أيضًا أنه يرسل لي شهريًا مبلغًا كافيًا لترك عملي وقضاء حياتي مثلما يحلو لي. هذا كل ماتعرفه.. وما أعرفه!

TW. @Rabe3_elkotob

ـ البقية فـ حياتك.. انتي زعلانة أكيد..

* زعلانة

تفاهة تلك الكلمة ستصفعك على وجهك، عندما يصبح شعورك أقوى من كلمة (زعلانة) بمراحل..

وكأنني لم أحزن على أمي عند وفاتها، مثلما حزنت على أبي اليوم.. وكأنني لم أنطق اسمه سوى اليوم ليقترن بكلمة: مات..

بداخلي ثورة غاضبة. أريد أن أكسر كل أثاث المنزل.. أريد أن أنتزع بعنف مفاتيح البيانو التي كنت أبث فيها أسراري ولم تنصحني يومًا بأن أبوح لسواها. لم لا ينطق هذا البيانو اللعين بأنني عزفت يومًا مقطوعة افتقادي ذلك الأب المفقود الذي فقدته اليوم. أنظر إليه بغيظ..

ـ مش فكرة زعلانة أو.. هو آه أكيد زعلانة طبعًا.. بس أصل جوايا حاجة كده مش عارفة أترجمها. حاسة إن كان لازم أشوفه قبل ما يموت.. أو أعرفه.. عمري ما حاولت، وكنت بستغرب برضه إنه ازاي عمره مافكر يوصلي..

كانت عيناي تحرقانني بشدة، ولكنني تمرست الأيام السابقة بأن أحفظ حممها دون أن تنصب على وجهي..

ـ عارفة يا شيرين.. بابا ده كان بالنسبالي صورة أبو الهول اللي على الجنيه.

كادت أن تنفلت ضحكة من شيرين لوصفي هذا، ولكنها اصطنعت الاستماع في جدية.

TW. @Rabe3_elkotob

ـ أنا مش بهزر.. أنا كنت بحاول أشوفه فـ حاجات حواليا، بس مكنتش بحاول أوصله.. كنت حاسة إنه المفروض هو اللي يوصلي.. أنا عمري حتى ما سألت ماما الله يرحمها هما سابوا بعض ليه، انتي متخيلة؟ ومكانش في حاجة بتوصلي منه غير فلوس. تخيلي.. تخيلي لما نبجيلي مكالمة من حد بيقول إنه عمي، أنا كـ بينار معرفوش، يقولي باباكي مات وإنه هيوصل بكره نروح نستلم جثمانه من المطار.. تخيلي!

ضحكت ولكن دموعي انتصرت في تلك اللحظة.. «تخيلي الكلمة يا شيري؟ نستلمه.. إحساسي ايه أنا لما أروح عشان أستقبله أول مرة فـ حياتي، أستقبله ميت؟ عارفة لما تحسي إنك فجأة بقيتي لقطة جوه فيلم انتي مش عايزة تشوفيه.. عشان انتي عارفة إنه مينفعش يحصل في الحقيقة. بتكتشفي إنه يا إما حياتك دي فيلم كبير يا إما مافيش حاجة اسمها أفلام وإن كل اللي بنشوفه بيحصل لغيرنا، يا لقطات من حاجات حصلتلنا أو.. لسه هتحصل لنا.

كانت شيرين تستمع وأنا لا أكترث إن كانت تنصت بصدق أم لا..

ـ طيب هدي نفسك.

ـ مانا هادية أهو بس حاسة إني هتجنن. انتي فاهمة أنا حاسة بـ ايه؟

مكثت شيرين في صمتها لثوانٍ تنظر لي، كنت أريد إجابة منها تؤكد استيعابها ما أشعر به.

ـ طبعًا يا بيبي فاهمة.. عارفة إنك متضايقة جدًا.

TW. @Rabe3_elkotob

شيء ما بداخلي لا أستطيع وصفه، ورغم ذلك أريد أن يخبرني به شخص آخر. أحاول منذ أسبوعان نسيان ما حدث معي. في زيارتي الأخيرة لفتحية.. ليظهر شعور مختلف لم أكتشفه سوى اليوم، لون جديد لم أره من قبل، حزن هلامي الملامح لا أستطيع أن أرى نهاياته.

نزلت شيرين بعد محاولات منها باءت بالفشل لإقناعي بالخروج معها.. فضلت البقاء وحيدة. كان ذلك هو اليوم الأول الذي أدرك فيه أهمية تلك الوحدة الملعونة.. كنت دائمًا أنا من يعيش فيها باختياري.. واليوم أشعر أنها هي التي تعيش بداخلي، ومنها خرجت منها لن تتركني.. لن يقترن وجودها أو اختفاؤها بازدحام الأماكن بالوجوه والأشياء، وكأن كياني هو الذي أصبح مزدحمًا بذلك الشعور الذي يسمى.. الوحدة.

* * *

استيقظت لأجدني مستلقية أمام التليفزيون، فقدت الذاكرة لثوانٍ معدودة.. اعتدلت في جلستي على الأريكة، وإذ بي أتذكر ما ينتظرني اليوم.. قمت أسير نحو المطبخ، تحاول عيناي التدقيق بتفاصيل كل شيء، حالة أشبه بالجنون الذي ربما أصابني دون أن أدري، فتحت الثلاجة أبحث عن شي آكله.. لا أعرف متى كانت المرة الأخيرة التي نزلت فيها «مترو» لأتجول بين ممراته، أتصنع الانهماك في قراءة أنواع الزيوت والأرز، وغيرها من المواد الغذائية التي انتهت صلاحية تواجدها في المنزل منذ وفاة أمي. أحمل بين يديّ تلك السلة الصغيرة الزرقاء، ثم ينتهي بي الأمر لأحصل على بعض المعلبات وربع كيلو من جبن الشيدر الصفراء التي أحبها رغم كرهي للونها، وتوست يجعل عينيّ لا تريان ذلك اللون. هنا يبدأ

TW. @Rabe3_elkotob

لمون.. أن أفتح باب الثلاجة بحثًا عن إفطار فيتفنن عقلي ليفتح الا آخر.. يرسم مثلث برمودا ملعون يصل بي إلى مقارنتي بين الحياة م أمي والحياة بدونها الآن.

كان ذلك اليوم الأول الذي أعد فيه طعام إفطاري دون أن أتركه، مادة لا أتذكره سوى بعد ضمان نسيانه. أتعمد دائمًا تركه لأشعر بعد ودتي أن شخصًا ما قد أعده لي، أتركه أحيانًا رغم تضوري جوعًا. اما الآن فأنا لا أشعر برغبة في الطعام، ورغم ذلك قررت أن أكمل إفطاري لأنني أدركت اليوم أنني لم أعد بحاجة لذلك الوهم الذي ا.عى شخصًا آخر يشاركني هذه الحياة.

عدت وفي يدي كوب الشاي وإفطاري لأجلس أمام التليفزيون.. لا أدرك ما قد مرّ من الوقت منذ لحظة استيقاظي إلى تلك اللحظة. كنت أرمي بعيني نحو هاتفي أتوقع اتصالاً من بسمة بين لحظة وأخرى. خاصة أنني لم أتصل لأخبر المجلة بأنني لن أستطيع الحضور اليوم. وكأنني لا أعرف سببًا واضحًا. أو لم يستوعبه عقلي بعد. رن هاتفي فأفزعني لدرجة كادت أن تطيح بكوب الشاي الذي في يدي.

ـ صباح الخير يا حبيبتي.

ـ صباح الخير يا خالتو.

ـ ايه عاملة ايه.. انتي فـ شغلك؟

ـ لأ مروحتش..

ـ انتي.. انتي عرفتي أن باباكي اتوفى امبارح.. صح؟

TW. @Rabe3_elkotob

ـ آه يا خالتو عرفت.. وشوية نازلة المطار، عشان اللي كلمني قال إن المفروض أكون فـ المطار الساعة 3.

ـ عمك.

ـ معرفش والله يا خالتو.. انتوا أدرى.

ـ البقاء لله يا حبيبة قلبي.. طيب انتي عايزة تروحي؟

ـ عايزة أروح؟ معرفش والله أنا مش فاهمة أي حاجة.

ـ طيب يا بينار لو عايزة عمك يجي معاكي أو أقول لخالد يعدي عليكي.

ـ لا يا خالتو أنا هروح متقلقيش عليا.

* متقلقيش عليا

كلمات ننطقها عندما نصل إلى حالة تفوق القلق والخوف.. كلمات كاذبة. إنها الكذبة الأولى لأحاسيسنا.. ذلك الذنب الذي يتصارع عليه الملائكة التي تخط الحسنات والسيئات. هل نُحاسب على إخفاء ما نشعر به بنفيه؟ أم إنه يُحسب لنا تلك المقدرة في أن نُظهر شيئًا آخر لا نشعر به!

أغلقت وأنا أفكر في هذا العالم الذي أعيش بداخله دون أن أعلم عنه شيئًا.. أعطي قيمة لأشياء غريبة ولم أفكر يومًا في البحث عن كل ما هو قيم في هذه الحياة. لم أفكر في البحث خلف كل ما يعنيني. أردت أن أسألها من أين عرفت خبر وفاة والدي، إلا أنني اكتفيت

TW. @Rabe3_elkotob

إن أسأل نفسي. لا أعرف لم نترك أسئلة تحلق في عقولنا دون البحث عنها، لتحجب عنا الرغبة في معرفة الإجابة عليها.. فنظل هكذا نعيش تحت غيوم من أسئلة بسيطة وربما تحمل إجابات عظمى.

الوقت غريب اليوم، أحيانًا ما أشعر أنه يمر ببطء قاتل وأحيانًا أخرى أشعر أنه أسرع مما ينبغي. الغرابة في حقيقة الأمر تكمن فينا.. يصدر من داخلي شيء ما يدفع عقارب الساعة إلى أن تتحرك بسرعة وأحيانًا أخرى يدفعها إلى التوقف.. كيف يمكن لعقلي أن يزيف الامور إلى تلك الدرجة.. كيف يمكن له أن يتلاعب بالزمن فيسرعه متى يشاء ويبطئه متى يشاء! نظرت يميني إلى البيانو مرة أخرى، وكأنه يحدثني.. مرّ وقت كافٍ لأشتاق إليه، ولكن شيئًا ما بداخلي يمقته الآن. كنت ألجأ إليه دونًا عن الناس. اعتقدت أنه ذلك الصديق الصادق الذي يستمع إليّ دون توقف.. ليتحدث بدلاً عني فيفكك أحاسيسي إلى ألوان تغلف العالم حولي.

وضعت الشاي على المنضدة أمامي.. ثم أمسكت علبة السجائر لأسحب السيجارة الأخيرة منها.. ورغم تأكدي أنها الأخيرة إلا أنني هززت العلبة لثوانٍ لربما لتقذف لي بأخرى ولكن دون جدوى. ألقيت بها لأشعل السيجارة، ثم وقفت لتأخذني قدماي إليه، وقفت أمامه أنفث دخاني، ثم تقدمت خطوات أقرب حتى سحبت الكرسي. لم يكن من السهل أن أبدأ في البوح إليه.. لدي الكثير من المشاعر التي اختزنتها بداخلي بعيدًا عنه مؤخرًا. بدأت أعزف ببطء، أتحسس مفاتيحه ربما خوفًا من أن أوقظ أحاسيسي.. وكأن الصوت الصادر منه سيخرج منخفضًا عندما أفعل ذلك. أغمضت عيناي لتسبح أناملي فيه. كان عقلي مشتتًا، لا أفكر في شيء سوى أنني أشعر بأنني مبعثرة.. ينتظرني على بعد ساعات قليلة شعور جديد لا

TW. @Rabe3_elkotob

أعرف عنه شيئًا. ظهر وجه أيمن أمام عينيّ في تلك اللحظة وكأنني أريده بجانبي، تذكرت المرة الوحيدة التي لمح لي فيها باستهزاء عن عدم رؤيتي لأبي.. فتحت عيناي لأجد رماد سيجارتي مبعثرًا فوق مفاتيح البيانو. نسيت أنها كانت بيدي عندما بدأت العزف. نظرت إلى الرماد المبعثر وكأنه رماد ذلك الإحساس الغامض الذي أصبح كظلي.

* * *

مرت عدة ساعات.. فقررت الاستعداد للنزول. فتحت الدولاب بحثًا عن شيء أرتديه لأقابل به أبي. كان اللون الأسود هو الغالب على ملابسي.. ولكنني أردت ارتداء شيء مميز لذلك اللقاء الذي لم أفكر فيه يومًا رغم انتظاره! كنت على وشك أن أسحب تلك البلوزة الخضراء التي اقتنيتها منذ شهر ولم أرتدها سوى مرة واحدة. أخذ عقلي مهمة البحث عن حزام مناسب أرتديه. ولكنني استوعبت ما أنا به الآن. ما هذه الحالة الهزلية! من سأقابل اليوم؟ صندوق خشبي بداخله شخص وضع اسمه في بطاقتي الشخصية؟! كنت أتوقع رؤية ذلك المشهد في فيلم قديم ولكنني أجدني الآن مرة أخرى ألعب دور البطلة بجدارة.. ويشاء القدر بأن تذهب عيناي بين ملابسي لتختار لونًا غير الأسود في الوقت الذي لن أستطيع فيه ارتداء لون آخر سواه. ارتديت ملابسي سريعًا، أحاول تجاهل نبضي المتسارع.. أحدث نفسي بصوت مرتفع لأطمئن.. أوبخها.. أتهمها بالجنون.. أعاتبها.. كل هذا لا يؤثر شيئًا في صوت نبضي.

* * *

مكان انتظار السيارات.. لصالة 3. من سيقابلني؟ وهل يجب

TW. @Rabe3_elkotob

ان أبادر بالاتصال أم يجب أن أنتظر؟ سأنتظر قليلاً. قررت أن اجري اتصالاً آخر.. أرهق ذهني بالقدر الكافي اليوم ولا أحمل مثقال ذرة من الصبر في أعماقي. بحثت عن اسمه، ترددت لثوانٍ قبل أن أضغط على الرقم للاتصال.. أسمع رنين الهاتف وأنتظر رده.. أريده أن يرد سريعًا.. أرهقتني تلك المشاعر التي أراها امامي لوجوه تعود مسرعة بعد أن ودعت آخرين. ووجوه مبتسمة عائدة بوجوه أخرى استقبلتها. أوقفت سيارتي في المكان الخاطئ. أنا لا أودع أحدًا ولا أستقبل آخر. أنا هنا أودع بلا بكاء غياب شخص أنتمي إليه لأستقبل عدم وجوده للأبد. أنا تلك الحالة الوسطى بين أقصى الانهيار النفسي وأدنى اللاشعور.

أنا التي أمضيت ثمانية وعشرين عامًا بلا أب وأمضي الآن..

ـ ألو.. ألو.. ألوووووووو

ـ أأأأيوة يا أيمن sorry.. ازيك؟

أردت أن يمر الوقت حتى يحضر عمي. فبدأت أحكي له ما أنا به الآن ومن أنتظر..

ـ طيب انتي مين هيجيلك ولا هتعملي ايه؟

ـ شوية وهكلم عمي.

ـ عمك.. طب تمام، لو احتجتي حاجة كلميني.

أغلقت معه، وأدركت أنني لم أحرق من وقت انتظاري سوى بضع دقائق. بحثت عن علبة سجائري.. لا يوجد هناك ما هو أفضل من دخان يحرق كل شيء حولك ابتداءً منك أنت.

* * *

TW. @Rabe3_elkotob

ـ بينار.. احنا وصلنا، انتي فين؟

ـ أنا وصلت من بدري بس واقفة فـ باركينج اللي قدام صالة ١ سفر.

ـ طيب تعاليلنا عند قرية البضايع.

أغلقت معه ليقفز نبض قلبي إلى 180 نبضة. أدرت السيارة لأخرج من موقف سيارات الصالة 3.. أبحث بعيني عن لوحات الطريق التي تشير إلى قرية البضائع، حتى وصلت.. لا أعرف شكله.. أوقفت السيارة.. نظرت منها، أنظر حولي ثم اتصلت به.. مرت لحظات حتى ظهر لي يسير نحوي..

مد يده ليصافحني، ابتسمت له ليرد على ابتسامتي بوجه حاد الملامح ونظرة لم أفهمها. لمحت على بعد خطوة منا سيدتين كانتا معه ولكنهما لم تنظرا تجاهي. كانت إحداهما قصيرة ممتلئة ترتدي زيًا أسود ونظارة تخفي عينين أشعر بأنهما احترقتا من البكاء ـ أعتقد ذلك - من احمرار أنفها المبالغ فيه.. والأخرى كانت أطول قليلاً، تقف مكتوفة الأيدي بجانبها، لا أستطيع أن أرى ملامحها.. كان الفضول يأكلني لأعرف هويتهما.

ـ انتي مسلمتيش على لمياء ودولت.. نظرت له ثم سرت تلك الخطوة التي كانت تفصلني عنهما ومددت يدي أصافحهما بوجه ثابت الملامح، خوفًا من أن يتكرر ما حدث منذ لحظات. صافحتني إحداهما بينما ظلت الأخرى مكتوفة اليدين واكتفت بابتسامة باهتة ماركة (مش هسلم!).

TW. @Rabe3_elkotob

عدت مرة أخرى لأقف بجانب عمي..

ـ دول اخواتي، عماتك..

ضحكة عالية كادت أن تخرج من أعماقي، كل ما هو حولي أصبح مبالاً علميًا يستحق التصفيق.. العبث في أبهى صورة! قفزت صورة أمي أمامي وهي تجلس على الأريكة.. أمامها سبرتاية القهوة، والتي أصبحت الآن من تراث المنزل، تلك العادة التي لم أفهمها، وعشقها لشرب القهوة هي وجارتنا زوجة أونكل طارق، لم يتعدَ عمري آنذاك عشر سنوات، كانت طنط سوسن هي الجارة المقربة لـ أمي.. وكانت تحبني لأنها لا تنجب أولادًا.. إلا أنها بمعجزة إلهية أنجبت طفلاً لا أعرف حتى اسمه قبل وفاة أمي بعامين.. منذ وقتها أصبحت لا أراها ولو مصادفة. تذكرت عندما اقتحمت جلستها أحمل بيدي دعوة من المدرسة كُتب عليها من الخارج (Fathers day).. أعطيتها لـ أمي ثم جلست أمامها أنتظر منها ردًا.. قرأتها أمي التي جلست تضع قدمًا فوق أخرى. ثم وضعتها أمامها بجانب سبرتاية القهوة.

ـ ده ايه ده يا منال؟

ـ عاملين يوم للآباء في مدرسة بينار..

حملت أمي كنكة القهوة من فوق السبرتاية لترجها ببطء في صمت، ثم كبت قليلاً من القهوة في فنجان طنط سوسن، لتضع الكنكة فوق الدعوة على المنضدة.

ـ طيب مش ممكن عمها يروح؟

لم ترد أمي عليها سوى بنظرة تذكرتها الآن.. لم أفهم معناها في

TW. @Rabe3_elkotob

ذلك الوقت.. نظرة تتوسل لها بالصمت. كنت لا أزال أجلس ا
كرسي الأريكة أمامها وأنظر إلى الورقة التي أحضرتها معي .
المدرسة وفوقها الكنكة.. فعدت مرة أخرى إلى غرفتي تنقص
تلك الورقة.

حتى ذكرياتي التي تحمل تفاصيلها وجود عم لي، لم تحدد من ه
هذا العم.. هل هو واحد أم ألف.. بل إنها ذكريات حمقاء لأنها ا
تحمل في طياتها وجود عمات أيضًا. أخطأت إدارة المدرسة لأنها ا
توجه دعوة عامة لأفراد أسرتي آنذاك.

ـ انتي بتشتغلي فين يا بينار؟

سألني عمي دون أن ينظر لي..

ـ أنا صحفية فـ مجلة أبواب الدنيا.. لو حضرتك عارفها.

ـ طيب كويس.

«لا مش كويس».. كانت تلك إجابة أخرى في صمت.. ما
تعرضت له كوني صحفية يبعد كل البعد عن تلك الكلمة.. ما هذا
الجحيم الفكري الذي يقفز بين منحنيات عقلي لتفتح كل كلمة
أسمعها الآن بابًا مختلفًا؟

* * *

هناك خصلة من شعري ألمحها بطرف عيني.. تقفز كل نصف
ثانية، قوة نبضي تحرك كل شيء.. وتسارعه يخيفني.. كدت أن أعتذر
عن حضور لحظة دفنه، ولكنني لم أجد مفرًا.. أتساءل.. لم لا أحمل
شعورًا واضحًا؟ أقف بعيدًا بين أشخاص لا أعرف من هم.. بعضهم
كان ينظر لي وكأنه يعرفني.. والبعض الآخر يتجاهلني.. أنا أقرب

TW. @Rabe3_elkotob

ا اس إليه ورغم ذلك أشعر أنني الوحيدة التي لا تعرفه.. لم لا أبكي؟
ا..ال نفسي باستنكار.. على بعد خطوات من قبره.. أراهم يحملونه
الآن.. لا حول ولا قوة إلا بالله.. يتسارع نبضي، يتسارع بعنف..
إلهي، أشعر بحالة من الشلل في إحساسي.. لأنني أحمل الكثير
ولكنني لا أعرف كيف أعبر عما بداخلي.. صوت نبضي بدأ يرتفع..
ل يقين بأن ذبذباته تسري في جسدي حتى قدميّ لتزعج الأموات
الذين دُفنوا هنا.. أقاربي الأموات الذين لا أعرف عنهم شيئًا..
..ازعجهم الآن، وربما.. وربما يستمع أبي إلى صوت نبضي الآن..
ربما هذا هو البكاء الذي سيخبره أنني هنا.. إنه الصوت الذي
يعلن وجودي.. تخيلت للحظة لو فجأة بث الله فيه الروح مرة
أخرى.. عيناي تراقبانه وهم يحملونه.. ينزلون به إلى القبر.. أحمل
ذلك التخيل حتى آخر لحظة.. أراقب جثمانه بحذر.. لدرجة أشبه
بيقين أنه على وشك أن يصحو مرة أخرى.. صوت بكاء خافت من
عمتي وحزن في وجوه هؤلاء الأشخاص الذين أتوا من حيث لا
أعلم.. صوت الشيخ وهو يدعو له.. وكل من يقف يقول «آمين».
لا أستمع إلى دعائه.. صوت نبضي أعلى منه، ولكنني أقول «آمين»!
أريد لو أن أطردهم جميعًا لأحدثه.. أريد أن أنبش قبره مرة أخرى
لأخرجه وأجلس معه.. قريبة جدًا منه الآن ولا أستطيع رؤيته..
تحولت عيناي إلى بئر عميق ليس له نهاية.. تماسكت حتى لا أحرك
رمشًا كي لا يشعر من حولي بما أصابني من حالة بكاء لا أستطيع
التحكم بها.. ولكن لا أحد يراني.. انسحبت في هدوء.. ورحلت.

* * *

تتوالى الأيام كعادتها.. انغمست في لحظات كتلك التي أفقد
فيها النطق، فتتحرك شفتاي بلا صوت.. كانت شيرين تزورني

TW. @Rabe3_elkotob

عدة مرات وكأنها نافذتي على العالم الخارجي.. لا لا، بل على العالم الذي اكتشفته معها.. هناك عوالم أخرى نؤخذ إليها لنحمل ملامح سكانها ونتقن لغتهم، كعالم شيرين الذي انتميت إليه.. أتحدث معها، ثم أشرد بذهني مرة أخرى بعيدًا عنها.. افتقدت انغماسي في شاي وخروجاتها ورائحة سجائرها وألفاظها التي تصيبني أحيانًا بحالة ضحك هستيرية. حالة ضحك؟ لا أتذكر متى كانت المرة الأخيرة التي ضحكت فيها.. أستيقظ كل يوم بعين أرهقها البكاء حتى لم يعد من الضروري معرفة سبب بكائي. فقدت الإحساس بالوقت والتواريخ والأيام.. إنها اللعنة التي تصيبنا لنصبح عالقين بأرواحنا في فترة من الحياة ليس لها مسمى. فجوة زمنية ما بين حاضر وبين زمن آخر لا ينتمي إلى الماضي أو المستقبل. حتى عملي.. كان خروجي من المنزل إلى أبواب الدنيا أشبه بحالة لا إرادية.. أقود السيارة إلى المجلة لأدخل وأجلس على مكتبي ثم أعود مرة أخرى إلى المنزل. أجري اتصالاتي وأبتسم في وجوه وأغضب في وجوه أخرى.. أشاهد التليفزيون، أضحك بصوت مرتفع وعين باكية بلا سبب على المشاهد الحزينة.. أغلق التليفزيون، أشغل أغاني.. أرقص باختناق فأكره إحساسي.. أترك كل شيء، ثم أعود للتليفزيون مرة أخرى، أدخن ثم أدخن.. أرى هاتفي يرن برقم بسمة في ساعة متأخرة، أنظر إليه دون أن أرد.. لا أريد أن أسمع شكاوي الآن. كل ذلك بلا وعي، وصلت جرأته ليوقظني في يوم أجازة من العمل، كنت على وشك الذهاب إلا أن شيئًا ما دفعني لأنظر في أي يوم أعيش الآن.. وقفت خلف ستار غرفتي أنظر إلى الشارع وأفكر في تلك الحالة التي لا أعلم من أين أتتني، كيف تحولت لأصبح أحاسيس صامتة مشلولة لا تحمل مسمى. ارتعشت عندما لمحت

TW. @Rabe3_elkotob

. ي اقتراب السيجارة من فمي. أتساءل متى أشعلتها وقد قاربت
، بث كل سمومها بداخلي، وكأن شخصًا آخر يحملها، يد ثالثة
: مل نموها الآن.. وكأنني فقدت حواسي الخمس في لحظة فارقة
، عمري. كنت لا أزال أنظر من نافذتي، أتابع الرجل العجوز
الذي يجلس على باب محل الأنتيكات الذي يملكه.. وينبعث من
داخل محله الصغير صوت ليلى مراد مرة أخرى.. وضع فوق المحل
لوحة تآكلت مع مرور الزمن.. ليس عليها اسم.. أحاول التدقيق
في محتويات محله الغريبة.. تذكرت مرآته التي رفض أن يبيعها لي!
رأى أنه من الأفضل أن تبقى لديه بدلاً من أن تخرج إلى الزيف في
العالم الخارجي.. صدق هذا الرجل في كلماته تلك.. حتى أنا أعيش
في عالم لم أكن أعرف عنه شيئًا.. ظللت أتابعه.. قمة الجنون عندما
تمضي أيامًا لا تفكر في كل ما يعنيك ليظهر شيء آخر لم تفكر فيه قط،
فيسلب عقلك! كانت النافذة مواربة ففتحتها كي تتضح لي الرؤية
جيدًا. استندت بجسدي مكتوفة اليدين على حافتها وأنا أنظر إليه
وهو يحتسي شايه ويجلس في سكون. تسارع نبضي بشكل مفاجئ
وغريب.

.. صوت أنفاسه يخترقني ورائحته النتنة تتغلغل في انفاسي
آآآآآآآه.. لم أتذكر رائحته الكريهة دائمًا؟! وكأنه لا بأس إن تحرش بك
شخص يضع Chanel Homme! اللعنة على تلك الذكريات التي لا
تتوقف عن مرورها بأذهاننا، بل قد تصبح لها صوت ورائحة أقوى
من الحاضر الذي نعيشه. كنت لا أستطيع أن أراه حتى أتوسل
إليه، لا أستطيع الصراخ ولن أهمس حتى لا أثير جنونه.. أعلم أن
الهمس قد يصبح وقودًا لأحاسيس اعتادت الصراخ.. وقد اعتدت
دومًا أن أهمس في صمت.. يا إلهي لمَ قذف بي هذا الرجل دون أن

TW. @Rabe3_elkotob

أدري إلى مكان كنت أود الهروب منه بعقلي وروحي، لأجدني أنا
حمدي وما حدث معي، ووعدي لفتحية بمساعدتها رغم أنني لم
أعرف يومًا كيف يمكنني ذلك.

* * *

رن جرس الباب لينقذني مما أفكر فيه.

ـ لسه نايمة كل ده ولا ايه؟

ـ لا صحيت من بدري.

ـ طيب ليلى ادخلي جوه بس، عايزة أتكلم مع بينار لوحدنا.

أكره تلك الخصوصية الزائفة التي تلعبها دائمًا خالتي معي، كلما أرادت أن تحدثني انفردت بي، رغم علمي أن كل ما تحدثني به تبوح به إلى ابنتها، بل وربما بأكثر منه.. لم هذا الادعاء الكاذب!

ـ لا، ليلى استني.. متدخليش أوضتي، أصل شيرين...

ـ آه.. هي بايتة معاكي كالعادة؟ طيب ادخلي البلكونة يا ليلى.

من هولاء البشر الذين يأتون فجأة دون استئذان بتصريح القرابة. أي قرابة تلك؟ لا أدري.. رغم أنني لم تعجبني الطريقة التي تتحدث بها خالتي إلا أن فضولي وقلقي في نفس الوقت من زيارتها طغى على تدقيقي فيما تقول.

ـ طبعًا سليم الله يرحمه اتوفى الأسبوع اللي فات.

وقع الاسم علي غريب وتأثيره أغرب، وكأنها المرة الأولى التي أسمع فيها اسم أبي.. وكأن كل من حولي متورط في محاولة إصابتي بهزات نفسية حادة. كل ما تراه عيناي وكل ما أسمعه! أين كلمة

TW. @Rabe3_elkotob

«باباكي» التي اعتدت أن أسمعها منها، لِمَ الآن تنطق اسمه أمامي مراة دون أن تتوارى وكأنها تعرفه وأنا لا أعرفه؟ أنا حقًا لا أعرفه.. أعرفه.. لا أعرفه.. أحمل اسمه ولا أعرفه، وربما ملامح منه.

ـ .. وعارفة إنه عنده شركة كبيرة فـ لندن.. ولما مات، ساب كل حاجة.. وانتي بنته الوحيدة.. هو معندوش غيرك وده حقك يا بي.. انتي كبيرة كفاية والمفروض تتحركي تجيبي ميراثك.

ـ أنا أصلاً مش عايزة حاجة!

ـ يعني ايه مش عايزة حاجة؟ يا بينار ده حقك. باباكي كان متجوز هناك فـ المفروض تفهمي مصير ورثك ايه.. أنا اتكلمت مع ممك امبارح وهما باردين جدًا الصراحة.. بيتكلموا بطريقة غريبة.. هما مش فارق معاهم حاجة.. فـ المفروض إنك تبدأي تشوفي حقك، وحسين ممكن يشوفلك الموضوع ده.

ـ أورثه ازاي وأنا معرفوش. ده عمره ما رفع عليا سماعة التليفون أصلاً، حتى الفلوس اللي كانت بتتبعتلي أنا مفكرتش من ساعة ما ماما ماتت إن أسأل هي بتجيلي ازاي.. أهي حاجة بتتحول على حسابي وخلاص.

ـ ودلوقتي مش هيتبعتلك حاجة.

ـ خالتو، أنا مش فاهمة فين المشكلة.. وبعدين أنا عايزة أسأل حضرتك سؤال، بما إنك تعرفي رقم عمي وعرفت منه إنه أخد رقمي منكم أصلاً، وعارفة عيلة بابا، هو ليه محدش حاول في يوم يعرفني حتى شكل عيلتي دي ايه.. لا انتي ولا ماما ولا أي حد.. ليه فجأة دلوقتي بتطالبيني بحاجة مش حاساها عشان أعملها..

TW. @Rabe3_elkotob

خلاص بقى صباح الفل.

ـ بينار ده حقك.. متبقيش إنسانة سلبية كده.. انتي زي ا ا ولازم يا بنتي أفهمك.. مينفعش تسيبي حقك. الموضوع م فلوس يا بينار.. احنا معانا فلوس.. بس تاني حقولك ده حقك

ـ ربنا يسهل يا خالتو.

ـ يلا أنا همشي، أنا كنت نازلة أعمل تحاليل فـ قلت أعدي عليكو عشان أكلمك فـ الموضوع ده. مكنش ينفع أكلمك فيه فـ التليفو وبتحايل عليكي تجيلي بقالي أسبوع.

أغلقت الباب خلف خالتي وأنا أفكر فيما قالته.. عدت إلى غرفتي لأجدها تحترق..

ـ يخربيت سنين أهلك ايه الدخان ده!

ـ مانا سامعة خالتك بره.. فضلت قاعدة بحرق فـ سجاير.

ـ انتي بتستهبلي يا شيرين، لو كانت دخلت يعني!

ـ Peace بقى فكك.. المهم هي طبت عليكي فجأة كده ليه؟

ـ عادي، بتكلمني على بابا والميراث وكده.. معرفش مفروض أعمل ايه ولا عايزة أعرف..

ـ u Crazy?! ، لا طبعًا، its ur right أصلاً. فـ لازم تعرفي.

* * *

مرت أيام أخرى رتيبة منذ زيارة خالتي تلك وأنا أحاول فيها نسيان كل ما يحدث حولي.. استيقظت لأجد اتصالاً آخر.. أعرف

TW. @Rabe3_elkotob

ٰاك الرقم جيدًا، لم أسجله باسمها يومًا، إلا أنني أحفظه عن ظهر ٰا ب. حالة استدعاء لكل تلك الأفكار والأحاسيس التي كنت اصارعها كي لا تظهر مرة أخرى.. فكرت لثوانٍ.. كيف أصبح هاتفي وشاشة عرضه بطل يومي بهذا الشكل في حياتي.. آه لو أكتب احداث يومي، لبدأت كل صفحة بنوع هاتفي وأرقامه ومشاعري المختلفة تجاهه على مدار اليوم. لكتبت كم يؤثر هذا الجماد الناطق فيّ بهذا الشكل اللامنطقي، يااااه، قلت لا يوجد شيء منطقي الآن.. لا يوجد.

مكثت لثوانٍ قبل أعاود الاتصال بها.

- ازيك يا آنسة بينار.

- .. الحمدلله. انتي عاملة ايه وأولادك عاملين ايه؟

- الحمدلله أهو.. عايشين. أنا كنت بتصل أستسمحك مااللي حصل من حمدي.. والنبي ما تزعلي..

- خلاص يا فتحية متفتحيش الموضوع ده.

- والنبي.. بدأت نبرتها تختلف.. أسمع صوت بكائها، تحاول أن تخفيه تمامًا مثلما حاولت أن تخفي دموعها في أول يوم رأيتها فيه، ومثلما حاولت أن تخفيها يوم مراقبتي لها.

.. والنبي ماتزعلي مني، أنا عمر ماحد عمل معايا ومع عيالي اللي انتي عملتيه، لو عايزاني آجي أبوس رجلك هاجي لحد عندك واستسمحك. حمدي مكنش فـ وعيه، والنعمة مابقولك كده وخلاص عشان تسامحيه. ربنا هيحاسبني على كلامي ده يوم الموقف العظيم.

TW. @Rabe3_elkotob

ـ خلاص يا فتحية والله.

ـ ماشي والنبي ماتزعلي مننا، ولو احتجتيني فـ أيتها حاجة ا
تحت أمرك والله - يا واد اتكتم بخربيت اللي جابوك - ربنا يعلم ا
عندي ايه ياختي والله.

ـ خلاص يا فتحية..

أجلس ك بودا.. أفكر فيما تقوله، لم أكن أريد الاستماع إلى أن
كلمة تعود بي إلى ما حدث.. أسمع صراخ ابنها، أسمع صوت
همومها.. ونبرتها اليائسة.. ولكن أذني كانت تتحاشى أن تسمع
صوت حمدي.. لم أخف قط من أحد مثلما أخافني ذلك الرجل!!
مرّ شهر وربما أكثر ولم أعرف عنهم شيئًا.. أتذكر نظرتها تجاهي
ذلك اليوم وكأنني أنا من أغويت زوجها.. لا تعرف الغيرة مستوى
اجتماعيًا، ولكنني الآن أسمع في نبرتها حزنًا رهيبًا من امرأة مسكينة،
ليس أمامها سوى أن تبكي على حالها وضعف حيلتها.. جاءني
شعور قوي بأنها احتاجتني ولكنها لا تعرف كيف تقول لي.. أرى
الذل متجسدًا فيها مرة أخرى.. لا أرى شيئًا آخر الآن سوى ذلك.

TW. @Rabe3_elkotob

ليتني أستطيع أن أصف الأشياء كما أراها.. ولكن شيئًا ما بداخل «فلي يعبث في ملامح كل ما تقع عليه عيناي، والأدهى بأنني أجد الآن روحًا بداخل كل جماد، بينما تحول البشر حولي إلى أصنام!

تركت خلفي كل ما يؤرقني واقتنعت ـ أو أقنعت نفسي ـ بأنني أريد التغيير. شي ما يستحق أن أتغير من أجله. ربما هذا الشيء هو أنا..

وصل أيمن قبل موعده ليأخذني.. كنت قد اتصلت به لأخبره بسفري فعرض عليّ إيصالي إلى المطار، لم أرفض لأنني أردت أن أراه، وكنت أبحث عن سبب كي نلتقي، قلت لخالتي إنني لا أحتاج إليها ولا زوجها كي يقلني، ولم تلح بدورها. اعتاد من حولي بأنني لا أحتاج إلا لمن أريد!

نزل من سيارته ليأخذ عني حقيبة سفر صغيرة أجرها، ابتسمت له ثم قفزت بداخل سيارته. كان الطريق إلى المطار يذكرني بالمرة الأخيرة التي أتيت فيها للقاء والدي.

TW. @Rabe3_elkotob

* لقاء!

عقولنا أحيانًا ما تردد بعض الكلمات بوقاحة. عقولنا دائمًا وأبدًا هي التي تقودنا ثم تسخر بعد ذلك من اختياراتنا. النهايات دائمًا وأبدًا قدرية.. إلا أننا نختار أي طريق نسلكه إلى تلك النهايات وبها نجد اللقاء.

ـ هتقعدي قد ايه هناك؟

ـ أسبوع.

أمسك يدي يقبلها.

ـ هتوحشيني.

التفت لأرد على كلمته بابتسامة باهتة.. فرفع صوت الكاسيت لأن ردي أوحى له بأنني سألتزم الصمت. لا أعتقد أن هناك أحدًا آخر يحفظ جيدًا ابتساماتي وردودي مثل أيمن.

ـ حد هيستقبلك هناك؟

ـ أكيد لا يا أيمن.

كلماتنا متقطعة فقط لتملأ الفراغ الذي بيننا.. كنت على وشك أن أطلب منه أن يعود بي مرة أخرى. لا أعرف حقًا كيف اقتنعت بفكرة السفر تلك.. ولكنني أردت أن أنفض عني فكرة السلبية التي أصبحت أسمعها من كل من حولي.. انتهيت من إجراءات السفر، وما إن وصلت حتى بدأ النداء عن قرب موعد إقلاع الرحلة.

أريد أن أدخن سيجارة الآن وفورًا.. فلتقلع الطائرة وليذهب

TW. @Rabe3_elkotob

المبراث الذي لا أعلم من أين سيأتي.. قمت أركض بحثًا عن دورة المياه.. دخلت لأجد عاملة نظافة تجلس في ركن تحمل بين يديها مناديل لتعطي منها كل من يدخل.. تبتسم لك حتى ترد ثمن ذلك الوجه البشوش.. أعرف تلك الابتسامة جيدًا.. أغلقت الباب خلفي ثم أشعلت سيجارة.

مرت نصف دقيقة لأسمع قرع يدها على الباب.

ـ ممنوع التدخين يا آنسة.

ـ معلش أنا آسفة sorry.

قلت لها ذلك رغم أنني لا اكترث إن كان ممنوعًا أم لا، ولكن نبرتها هي التي أثارت غيظي.. نظرت أعلى.. فتحة الباب تمرر الدخان خارجه. تصميم غبي!! فتحت باب الحمام.. وجدتها تنظر تجاهي بامتعاض، فتجاهلتها بغسل يدي وخرجت دون أن أعطيها (اللي فيه النصيب). أصابتني نظرتها بحالة من الضيق لا أتحملها الآن. كيف يمكن لأشخاص قد نراهم ولا نعرف أسماءهم أو من هم أن يعبثوا بأحاسيسنا! معادلة غريبة.. ربما تفكر هي الآن بنفس طريقتي، وربما أنا من قمت بالعبث في معتقداتها، فهي تنتمي لمكان ما لا أعرفه لا يُسمح فيه بالتدخين إلا لرجال يجلسون على المقاهي.. ربما هي جارة حمدي - أوففففف حسبي الله ونعم الوكيل - حمدي الكلب.. يدور دائمًا عقلي ليعود إليه.

* * *

TW. @Rabe3_elkotob

شششششششششششششش.. ستقلع الطائرة الآن
سأحلق إلى أعلى.. كلمة «رحلة سعيدة» لا تناسبني الآن.. ولكنني
سأقتنع بأن ثقل أفكاري سيقل عن رأسي كلما ارتفعت.. هكذا
سأمضي بضع ساعات أحمل أفكارًا أخف. سأغمض عينيّ لأنام
قليلاً.. سأدندن كلمات أي أغنية حتى يمر الوقت.. سأحاول أن
أُهدئ نفسي.. بنفسي.

Mr. Play-It-Safe was afraid to fly
He packed his suitcase and kissed his kids good- bye
He waited his whole damn life to take that flight
And as the plane crashed down he thought
'Well isn't this nice..
And isn't it ironic.. don't you think?

فتحت عيناي فجأة.. تذكرت كلمات تلك الأغنية.. لأشعر بقلق
غريب.. كل شيء قد تنعدم جاذبيته في هذا الكون إلا أفكارك..
ستبقى دائمًا وأبدًا كما هي ثقيلة إن كانت، مهما خف وزنك أنت وقد
تصبح خفيفة معدومة الوزن مهما كان ثقل حجمك.. لا أعتقد أنني
ممن يعانون من الـ Aveophopia إلا أنني على استعداد تام لأعاني
كل شيء في رحلة سأجد في نهايتها المجهول واقفًا بـ Poker face
لاستقبالي. ويا إلهي، مرض آخر يظهر في نصف الساعة الأولى من
إقلاع الطائرة، إنها النوستالجيا.. أحن الآن إلى المنزل وإلى إفطاري
المنسي.. آه، من الأعماق، أريد أن أعزف.. أين البيانو. أفتقد أيمن..
صوته بداخلي، أسمع كلمة «هتوحشيني» مرة أخرى.. ضمني إليه

TW. @Rabe3_elkotob

ل أن يودعني في المطار فبث بداخلي طمأنينة غريبة أفتقدها.. أريد ان أرى أستاذ يحيى.. قصرت مؤخرًا في العمل.. لم أُرضه ولم أُنه ذلك التحقيق الذي أردت عمله عن حياة فتحية وحمـ.. حمدي! ـ لأ ما ماينفعش مرتين فـ اليوم ـ همست بصوت مرتفع أثار فضول الرجل الذي كان يجلس بجانبي منهمكًا في قراءة مجلة.. رمقت بطرف عيني نظرته تجاهي فكتمت أنفاسي لثوانٍ. ذلك الـ حمدي أصابني بالجنون.

* * *

لم أصدق أنني في بلد آخر إلا بعد نظري من نافذة الغرفة. اختلفت الرؤية والأشخاص.. لا يوجد رجل عجوز يحمل كوب شاي.. لا توجد خيوط ضوء تنتظر لحظة دخولها.. توجد مدينة الضباب.. لا أستطيع أن أرى الشمس. يأكلك الفضول عندما ترى الضوء ولا تعلم مصدره! بدأت أفكر فيما ينتظرني.. أخرجت من حقيبة سفري الملف المليء بالأوراق الذي استلمته من أونكل حسين، أخرجت الورقة التي كتب عليها عنوان شركة أبي.

103 Edgeware Road

London

W3 2BX

Awady's For Tourism Services

قرأتها ألف مرة وكأنني أحاول أن أجد فيها شيئًا يمنعني من الذهاب..

شارع إيدجور!

TW. @Rabe3_elkotob

Edgware Road is Five Minutes away from here»

«ma'am.

هكذا قال لي سائق التاكسي.. لم ينطق حرفًا من المطار إلى الفندق سوى ليقول لي أن شارع إيدجور على بعد خمس دقائق من الفندق. أجبته على مالم أسأل بإيماء رأسي إيجابًا! ابتسمت بل كدت أن أنفرط في الضحك. قد تتحول حياتك بين يوم وليلة إلى قصة ساذجة قصيرة.. لم أعد احتمل حتى أن أتخيلها جزءًا من فيلم سينمائي. وكأن كل هؤلاء حتى سائق التاكسي متواطئين بشكل أو بآخر في لعبة قدرية لا أستطيع فهمها أو فك طلاسمها. مضى اليوم هادئًا أفنيته على الإنترنت، كنت كلما مللت أشعل سيجارة وأنظر من النافذة التي لا أستطيع فتحها، درت في الغرفة ألف مرة، تفحصت كل معالمها. ارتميت على السرير وكأنني أُرهقت من الدوائر التي كنت أسير بها.. ليست أعظم من تلك الدوائر التي أحيا بداخلها الآن.

* * *

أيقظني اتصال خالتي، نظرت إلى رقمها دون أن أجيب. لثوانٍ لم أتذكر أين أنا ولم. حتى بدأت أفكاري تستيقظ الواحدة تلو الأخرى. قررت أن أقفز لآخذ «شاور» استعدادًا لتمثيل حلقة لم يتم تصويرها في مسلسل رأفت الهجان.. حيث تذهب ابنته بينار التي لم ينجبها إلى شركة السياحة التي يملكها في إسرائيل.. إسرائيل مين أنا في لندن! ـ ما علينا ـ وماهي أسماء الدول إلا شكليات، وماهي الحدود إلا أسوار شائكة أو خطوط مرسومة في أطلس! ثم تصطدم بزوجة أبيها ماري أنطوانيت، بتسريحة ماري أنطوانيت - برضه ـ

TW. @Rabe3_elkotob

صبحا صديقتان هابيلي إيفر أفتر.. ثم أستقر هنا وأرسل دعوة لأستضيف فتحية بدون حمدي الكلب (ابن الكاااااااالب، يا ابن الكاااااااااااااالب)! تبًا للخزعبلات.. لو أنني دخنت ألف سيجارة حشيش مع شيرين لما سرح خيالي بهذا الشكل المخزي العقيم، حتى إن خيالي استعان بأرشيف التليفزيون دون إبداع. رأفت الهجاااان يا بابا!!!! عقم فكري.

كان من المفترض أن أتصل برقم أعطاه لي زوج خالتي لصديق له يعيش في لندن حتى يتابع معي إجراءات الميراث، ولكنني قررت أن أنطلق أنا أولاً.. على عكس ما كنت عليه في القاهرة وسلوكي المجحف تجاه إفطاري، إلا أنني كنت أتضور جوعًا وأريد أن ألتهم أي شيء.. هكذا نحن نميل إلى كل غريب عنا ونكره ما اعتدناه حتى وإن كان نفس الشيء! كانت الساعة قد قاربت الحادية عشرة.. أي إفطار هذا الذي سأطلبه في بلد ـ البيج بين ـ حيث يهرع الجميع إلى عمله ابتداءً من السادسة صباحًا! اتصلت لأطلب شايًا وكورواسون على استحياء، وإعمالاً بنظرية (البلد اللي محدش يعرفك فيها).

الوقت يمر ببطء رغم أن كل شيء سريع..

* * *

ما إن وطأت قدماي خارج الفندق، حتى بدأت أشعر بدوار غريب.. لِمَ أنا هنا؟ ألف مرة سألت هذا السؤال.. وكأن السبب الحقيقي لا يقنعني. أوقفت تاكسيًا ليأخذني إلى العنوان الذي معي. أعطيته الورقة في صمت. قرأها في ثانية ليعطيني إياها مرة أخرى، في صمت أيضًا. جلست أنظر من النافذة لأملأ عينيّ بتلك

TW. @Rabe3_elkotob

الشوارع الجديدة وبوجوه معظمها لا تحمل معانٍ محددة.. إنها هذا مدينة يحمل جوها لونًا رماديًا أعتقد أن مصدره أنفاس قاطنيها لون شاحب عملي، كطبع تلك المدينة، لون ذاب في أشعة الشمس التي لا أزال أحاول جاهدة أن أعرف من أي جهة تُشرق. نظرت في المرآة التي أمامي أتابع وجه السائق.. يقولون إن سائقي التاكسي في لندن لهم عقول مختلفة عن العقول العادية، يدرسون لسنوات قبل أن ينالوا شرف قيادة التاكسي! لهم ذاكرة حديدية، يحفظون عن ظهر قلب كل المناطق والمعالم.. يدرسون لسنوات حتى ينالوا صفة سائق تاكسي! أمعنت النظر في وجه سائق التاكسي بالمرآة التي أمامه.

- whats ur name؟

رمقني بنظرة سريعة في المرآة الأمامية ثم أجابني وهو يتابع طريقه:

- David

إجابة عادية بها نبرة تعجب.. أين الاختلاف؟ كيف لي أن أدرك تميزه عن غيره؟ ما الذي يزيد فيه عن سائق تاكسي مصري قدير، يضع إكليلاً من الزهور في زوايا التاكسي فضلاً عن شعاره في الحياة، واسم ابنتيه المنقوش في خلفية سيارته؟ هل يتفوق سائق تاكسي ببريطانيا العظمى على نظيره المصري الذي يستمع يوميًا إلى قصص الشعب، ويروي بدوره هموم العالم التي ازدحمت بداخله، ورغم ذلك فهو لا يزال يحفظ شوارعها وأزقتها وكل كشك سجائر وبائع جرائد بها؟ كل ذلك بدون علم أو تدريب.. هذا ودون التطرق إلى سائقي الميكروباصات العباقرة.. ابتسمت في صمت لافتقادي ذلك الشعور الملح دائمًا بقتل كل سائقي الميكروباصات في رحلتي اليومية

TW. @Rabe3_elkotob

إلى المجلة.. آه لو كان الكوكب المصري أكثر نظامًا.. مرت دقائق
حتى توقف التاكسي.. حاسبته ثم هبطت خارجة أنظر إلى كل شيء
حولي.. فوجدت تلك اليافطة المعلقة على الجانب الآخر من الشارع
«Awady's Tour». انفرجت أساريري سرًا عندما رأيت اسم شركة
أبي. نعم لم نلتقِ يومًا، ولكنني على وشك أن أخط فوق بصمات
أقدامه في ذلك المكان.. فكرت أن أعود بسرعة لأسأل السائق ذا
العقل المختلف عن توقعاته لما سيحدث عندما أقابل زوجة أبي.

* * *

دلفت إلى داخل المبنى الذي به الشركة.. دفعت الباب الزجاجي
لأرى عددًا ليس بقليل من الموظفين الذين بدا عليهم الانهماك
والتركيز في الشاشات التي أمامهم. ارتبكت هنيهة لأنني لا أعلم
من أسأل وعن من. ما اسمها ـ يالله ـ لا أعلم ما اسمها.. اتجهت
إلى أحد المكاتب لأسأل شابًا يبدو من ملامحه أنه ليس إنجليزيًا.

Excuse me –

نظر إليّ فتأكدت أنه مصري. أعرفهم جيدًا، ننتمي لنفس
الكوكب. نحمل نفس النظرة وإن اختلفت. أخطأت لأنني اتجهت
نحوه.. كان من الأسهل أن أُحدث أحد هؤلاء الإنجليز.. أحيانًا
يصبح من الأسهل لنا أن نسأل أشخاصًا لا يحملون جذورنا ولا
ينتمون إلى نفس الوطن حتى تأتينا إجابات لا تحمل بين ثناياها تلك
الصفة العربية الأصيلة والمتأصلة التي تدعى.. الفضول.

I want to meet Mrs, Awady –

ـ حضرتك مصرية؟

TW. @Rabe3_elkotob

هذا ما لم أرده.. قالها بابتسامة عريضة، فابتسمت رغمًا عني.

ـ آه.. هي موجودة؟ أنا عايزة أقابلها ضروري.

ـ مين حضرتك؟

ـ بينار.. لم أقل له اسمي كاملاً..

ـ surc.. مدام هويدا موجودة.

* هويدا

وقع أسماء من لم نعرفهم من قبل أكبر من.. لقائنا بهم.

اتصل بسكرتيرة مكتبها التي حضرت لتأخذني في ثوانٍ قليلة.. وكأنهم كانوا في انتظاري. ظلمت ابن بلدي خوفًا من أن ينطق قول (عايزة تقابليها بخصوص ايه؟) أصبح الأمر سهلاً للغاية.

سرت في ذلك الممر الطويل خلف الفتاة التي جاءت لتأخذني وأنا أتابع تلك الصور التي وُضعت متراصة على جانبي الممر.. برج إيفل، صحراء بها جمال، تمثال الحرية، ساعة لندن، فيلة هندية (أن من منحتها الجنسية)، جزيرة في وسط المحيط، طائرة محلقة وسط السحاب، الأهرامات؟ أين الأهرامات؟! كدت أن أصطدم بالفتاة التي أمامي وأنا أتساءل وعيناي معلقة بتلك الصور.. فتحت الفتاة الباب.. دخلت المكتب بثقة لأجدها أمامي بوجه بشوش ـ جدًا ـ قامت من موقعها تمد يدها لترحب بي.. تعجبت لها وكأنها تعرفني..

TW. @Rabe3_elkotob

شعر قصير وعين مسحوبة مميزة، ترتدي جاكيت أبيض تحته
.. مس حريري يميل لونه إلى الأصفر ـ وأنا أكره الأصفر ـ وبنطلونًا
ا.. ود يرسم جسدها النحيل.. صرّح وجهها البشوش بكبر عمرها..
عبد بسيطة في ابتسامتها وتحت عينيها.. أشارت لي كي أجلس
على الكرسي أمامها.

ـ yes Dear, How Can I help you?

هنا يبدأ كل شيء.. إنه الذكاء. تحدثني بالإنجليزية رغم أنها تعلم
أني لست إنجليزية، وربما تعرف من أنا، إنها امرأة ذكية.. يبدو ذلك
جليًا دون أن أحاول معرفته.. ابتسامتها ذات ماركة خبيثة تُصنع
تحت الطلب، ولا يرتديها إلا قليلون.

ـ أنا بينار، و..

ـ what a good day today ياه.. ماشاالله عليكي.

قامت من موقعها لتقبلني ثم جلست على كرسي آخر أمامي..

ـ (ايه الست دي؟) همست دون أن تتحرك شفتاي.

ـ هو حضرتك عارفاني؟

ـ sure، بنت حبيبي وزوجي المخلص.. سليم رحمة الله عليه..
أغمضت عينيها لتكمل: اااااااااااه

I really feel bad without him..

قالتها بأسلوب هؤلاء الذي يؤدون صوت الدبلجة للمسلسلات
المكسيكية.. انبهرت من أدائها في الثواني الأولى من هذا اللقاء.

مرت ثوانٍ أخرى صامتة. لم تنطق بكلمة بعد كلماتها تلك.

TW. @Rabe3_elkotob

أخرجت هاتفي أنظر إلى الـ whatsapp.. أرسل لي أيمن إحدى عشرة مرة، عجيب هو، يتابعني بجنون كلما ابتعدت، وعندما أكون بقربه لا يرسل لي بهذا الكم لأنه يعلم جيدًا كيف يصل لي.. كتبت له im ok I'll call you today، نظرت إلى الرسائل المتفرقة الأخرى التي أرسلها لي بعض أصدقائي، تعجبت لأنني لم أجد أي شيء من شيرين.

نظرت في ساعة يدها ثم قالت:

ـ حبيبتي، تحبي ننزل نقعد في أي مكان؟ lets drink coffe anywhere.

أومأت رأسي.. براحتك، أجرت اتصالاً قبل خروجنا من المكتب بشخص يدعى زين ـ هذا ما فهمته من اتصالها ـ ليحضر السائق الخاص بها. خرجنا بعد برهة لنجده في انتظارنا. رحب بها ولم يوجه لي التحية. اللعنة على هذا السائق، كانت تلك المرة الأولى التي أشعر فيها بأنه كان من الخطأ أن أترك مال أبي لتلك المرأة! خالتي على حق.. لِمَ لست أنا من يمتلك كل هذا؟ جلست بجانبها كطفلة لا تعرف الطريق.. أنا حقًا لا أعرفه..

ـ زين معايا from like 1 year so far.. أدار رأسه مبتسمًا وأنا أحاول بدوري أن أتصنع ابتسامة، لتمجيد تلك السنة التي قضاها هذا الـ زين في خدمة السيدة هويدا.

ـ أصل أنا عندي مشكلة في my hand، مش بعرف أسوق.. فـ سليم الله يرحمه اقترح عليا إنه I need a driver.

its not common here to have a driver.

TW. @Rabe3_elkotob

أشارت لي على معصمها، لتشرح لي الألم الذي تشعر به عندما تمسك عجلة القيادة. هل كل هذا الشرح لتبرر وجود سائق لها أم لتكسر ذلك الحاجز غير المرئي بيننا؟ أم أنه ذلك الخبث يتجسد مرة أخرى لتثبت لي كم كان أبي عطوفًا بها؟

تتفنن تلك المرأة منذ اللحظات الأولى في أن تؤكد لي أنني لا أعرف الكثير عما لا أعرفه. نظرت من نافذة السيارة لأتجنب هذا الحديث المفتعل. أنا هنا لأعلم ما مصيري من ميراث أبي لا لشيء آخر.

* * *

خرجت لأدفع باب السيارة بأقصى قوة تكريمًا لسائقها، عندما يتجاهل البعض وجودنا، نصبح دائمًا وأبدًا أمام خيارين لا ثالث لهما، إما أن نرد التجاهل بتجاهل، وإما أن نصفع ذلك التجاهل لكي نثبت وجودنا بعنف، أن نسبب لهم ألمًا نفسيًا بسبب ما يحبون أو للتحقير من أي شيء ينتمون إليه، أو.. بدفع باب سيارة لا يمتلكونها بعنف.

جلست أمامها وقد بدا على وجهي أعراض انسحاب النيكوتين، والذي لا أستطيع شربه الآن.. ليس لأنني أمام زوجة أبي، وإنما اتباعًا لهذا القانون الملعون في لندن بعدم التدخين في الأماكن المغلقة.. أحتاج سيجارة لأنني أمام امرأة تعلم عن أبي ما لا أعلمه.. كان بداخلي شوق كي أستمع إلى اللحظات التي سبقت وفاته. أريد أن أعرف لِمَ لم تأتِ معه.. أرسلته في صندوق خشبي كطرد مطرود بلا رحمة.. منذ اللحظات الأولى أثبتت لي أنها تجيب فقط على ما تريد امرأة أنيقة في العقد السادس من عمرها.. قوية رأسها مرفوع..

TW. @Rabe3_elkotob

تسير واثقة الخطى.. لن تجد أن هناك معنىً لمرافقة الموتى، حتى و إن أحبتهم في حياتهم..

طلبنا ما نريده من النادل.. ثم مكثت في صمتي أتابع المكان من حولي.

ـ بينار.

قالت اسمي وهي تنظر إلى ساعة يدها، فالتفت إليها.

ـ حبيبتي، أنا نص ساعة ولازم أرجع المكتب، يلا tell me عايزاني فـ ايه.

نظرت لها بتوتر وقلق غريب، لم أكن أعرف من أين أبدأ. لمَ أنا بهذا الغباء؟ لمَ لم أوكل الأمر لمحام كما طلب مني أونكل حسين؟ إنني أصغر بكثير من تلك المواجهةً العجيبة.

ـ هو انتي عرفتي ازاي من الأول إن أنا بينار العوادي؟

ضحكت ضحكة مرتفعة قليلاً.. لا تتناسب مع هدوء المكان ولا مع صورتها الأولى بذهني وانطباعي عنها..

ـ first عشان كنت متوقعة إنك هتيجي.. وكمان عشان اسمك تقريبًا مش منتشر، فـ موضوع بسيط.. يعني I mean مش محتاج to think a lot my Dear.

مدت يدها تحرك السكين الذي أمامها وهي تبتسم بغموض، ثم استطردت..

ـ انتي عارفة ليه سليم سماكي بينار؟

ـ هو هو اللي سماني؟ لا والله معرفش.

TW. @Rabe3_elkotob

وكأنك في مسابقة من سيربح المليون! أسئلة تعجيزية فيما لا يعرفه عن نفسك! أسئلة لن تجد لها إجابة على جوجل، ولن تفيدك حتى العدسة الصغيرة المكبرة.. ربما تفيد في البحث عن اسم، جورج السادس الحقيقي، اضغط: الإجابة ألبرت!

ـ طيب عشان مطولش عليكي.. المفروض اللي أعرفه إن بابا الله يرحمه عنده شركته هنا وليه كذا حاجة يملكها.. وبما إني بنته الوحيدة أبقى قانونًا ليا...

تلعثمت قليلاً بعد أن رأيت ملامح وجهها الساخرة. أشارت بيدها:

ـ هممم، كملي سكتي ليه؟

ـ لا أصل أنا حاسة إني بقولك كلام غريب.

ـ No no مش غريب ولا حاجة، بس مستغربة قوي إنك بتتكلمي بالطريقة دي وبتقولي إنك بنته الوحيدة، however u didn't see him before.

استفزازها البارد أمدني بقوة، فبدأت أستجمع قواي للرد.

ـ شوفي يا.. طنط هويدا، أنا أول مرة أشوفك النهارده. ويمكن أنا عمري ما فكرت إن ممكن ده يحصل.. عايزة أقولك إن even موضوع ميراثي ده مكنش مهم بالنسبالي.. بس أنا خالتي أقنعتني إني لازم أعمل كده.. ولما جيت.. اكتشفت إنها صح وإن ليا حق مفروض آخده.

ـ listen حبيبتي، قبل أي حاجة انتي مالكيش أي أي حاجة here.. دي حاجة لازم تفهمها عمتك ولاا خالتك أو whoever.

TW. @Rabe3_elkotob

أولاً كل حاجة باسمي، وفلوس فـ البنك automatically اتحول عليا.. أنا معرفش لو باباكي كان ليه أملاك أو حاجة في Egypt، معرفش.. بس here انتي مالكيش أي حاجة نهائيًا. لو جاية عشان سبب ده فـ للأسف u don't have anything.

ـ بابا كان بيحولي كل شهر 5000 جنيه. هو لو كان مش حاسس إن أنا بنته، حتى لو ما شفنيش، أكيد مكنش هيلتزم بيا، فـ مش معقولة إنه يخلي كل حاجة باسمك.

ـ حبيبتي، أنا مش بحب كلام كتير فـ نفس الموضوع.. ممكن أخليكي تتكلمي مع المحامي بتاعي وتقدري تعرفي منه كل حاجة، its better لو تجيبي محامي ليكي لأن واضح إنك مش فاهمة حاجة.

أريد أن آخذ تلك السكين التي أمامها لأحشرها في حلقها كي تكف عن هذا الاستفزاز البارد.. أسندت وجهي بين يديّ أنظر إليها. كان هناك سؤال يدور بداخلي أهم من كل ما تقوله.

ـ مقلتليش.. بابا سماني بينار ليه؟

اقتربت لتسند كلتا يديها على الطاولة.. ثم أخذت تلف ذلك الخاتم الماسي الذي في بنصرها وهي تنظر إليه سارحة وكأنها تسترجع معه إحدى ذكرياتها.

ـ كان قالي إنه مرة زمان قبل ما يتجوز مامتك سافر.. !!!!!!! مممممم، مش فاكرة فين now. المهم قالي إنه شاف بنت كانت جميلة جدًا.. veryyy very beautiful، وكان اسمها بينار، والاسم عجبه.

ـ انتي تعرفي ماما؟

TW. @Rabe3_elkotob

رفعت عينيها من خاتمها لتحدجني بنظرة لم أفهمها..

ـ .. Of course no! بس أعرف عنها بما فيه الكفاية من سليم الله يرحمه.. كمان شفتها فـ صورة كانت معاه.. وشفتك انتي كمان ، انتي Oh my god..babe.. أنا مش عارفة ازاي ماشفكيش قبل ، بموت.u know what.. انتي عينيكي نفس عين سليم على فكرة. س انتي ur face .....لا لا مش شبهه خالص.

أسندت ظهري على الكرسي مكتوفة اليدين أستمع إلى كلماتها التي تلقيها بلا توقف.

ـ هو انتي عارفة باباكي ومامتك ليه انفصلوا؟ عمرك ما اتكلمتي مع حد في موضوع ده؟

ـ لا.

ـ لا!! Omg، sorry حبيبتي متفهمنيش غلط. بس u are very strange.

متعرفيش أي حاجة عن ur dad وولا تعرفي why he left ur ma وnow فكرتي إنك تيجي بعد ماهو مات عشان تشوفي ميراثك، وeven مفكرتيش تعملي كده وهو عايش؟I cant believe you.

أشعر أني (عايزة ألطشها بالقلم) لا أستطيع أن أصف إحساسي تجاهها سوى بهذه الكلمات.. صح جدًا هذه المرأة. صحيحة إلى درجة لا توصف في كل ما قالته لي الآن. تجاهلت تلميحاتها بمدى غرابتي لصدقها، وبدأت أفكر في الكلمات التي سبقت ذلك.. لمَ أسماني، لم انفصلا؟ إلخ. عثرت على الصندوق الأسود لكل ما لا أعرفه.. أشعر أنها بعد دقائق ستخرج من حقيبتها ألبوم صور به

TW. @Rabe3_elkotob

سورة لها وهي تعزف على البيانو الذي في منزلي عندما كانت طفلة، ربما سأجد أن عم مصطفى كان يعمل سائقًا لديها قبل زين.

ـ طيب انتي عارفة ليه بابا وماما انفصلوا؟

ـ Sure.. عشان مامتك خانته.

نظرت لها بفم مفتوح وعقل مغلق لا يريد استيعاب ما يدخل إليه، أما هي فازدادت ملامح وجهها راحة فور أن ألقت تلك الكلمات بوجهي.

ـ خانته؟!

قفزت صورة أمي أمامي.. أقبلها وهي مغمضة العين، جسد بلا روح، يملأ قسمات وجهها حزن مدفون عاد إلى الحياة بعد موتها..

ـ غريبة بجد يا بينار إنك تقريبًا عندك thirty years.

ـ ثمانية وعشرين..

ـ sorry ـ twenty eight ـ ومفكرتيش تسألي ليه باباكي ومامتك سابوا بعض.

ـ هو مين قالك كده؟

ـ all knows my Dear.

ـ بتخونه ازاي يعني؟

ـ لا أنا مبعرفش details.. دي حاجة كان سليم قالي عليها من سنين وعمري ما سألته فيها أبدًا. أنا مش بحب أتدخل فـ حاجة.

أشعر باختناق وصعوبة في التنفس.. بدأ نبضي يتسارع، انتابني

TW. @Rabe3_elkotob

شعور بأنني أجلس في مكان ضيق لا يسعني أنا وإحساسي معًا.
التزمت الصمت وهي تتفحص وجهي لثوانٍ.. ثم استطردت:

- بس.. بينار بجد (people your age have families and, responsibilities and ofcourse have minds!!)

يعني أنا لما كنت في سنك.. مكنش ممكن أخلي حاجة تعدي عليا without knowing what it means.

how you just live like that?!، والله حبيبتي أنا مستغرباكي جدًا.. جدًا. لو كان باباكي بعيد عنك فهو عنده his reasons.. بس انتي.. انتي even محاولتيش حتى تعرفي أي حاجة وده غباء. Sorry لو كلامي صعب شوية بس أنا مش مصدقة ازاي انتي كده.. أنا مش عارفة what your mum taught u.. بس اللي أقدر أقوله لك إنك لازم تتعلمي فـ حياتك حاجة مهمة وهي إن مينفعش تعيشي من غير ما تفهمي كل حاجة حواليكي ليها علاقة بيكي.

* * *

All knows my Dear.. All Knows My Dear.. All knows my Dear!

أجلس في غرفتي.. أرفض أن أنظر من نافذتها. نمت وأنا أفكر في هذا الإرث الذي جئت لأحصل عليه.. إرث من الماضي الذي لطالما لم أنتمِ إليه سوى باسمي.. اسمي هذا الذي منحتني إياه فتاة منذ زمن بعيد دون أن تعلم. وامرأة أراها للمرة الأولى لتعطيني دروسًا في الحياة.. أخذت هاتفي لأتصل بأيمن ولكنني أغلقت

TW. @Rabe3_elkotob

الخط قبل أن يرد. كان شعوري بضيق التنفس يزداد طرديًا مع مرور الوقت.. شعور بالضياع واللاهوية، أنا لا أنتمي إلى شخص ما.. وحيدة بهذه الغرفة في بلد لا أعرف به أحدًا.

سلبية أنا إلى هذا الحد.. لا أسأل ومهنتي طرح الأسئلة.

استيقظت في اليوم التالي، أفكر في كلمات هويدا وما ذكرته لي. تذكرت صمتي وذهولي بعد أن قالت لي سبب انفصال والداي.. قفزت من سريري مسرعة. قمت لآخذ حمامًا دافئًا.. رأسي يؤلمني من كابوس أمس.. تحسست بيدي أماكن الوجع. لا أزال أشعر بشعري يلتف بين يده. يا إلهي، هل لي أن أقتلع هذا الرأس وأن أحيا بدونه؟! كلما مرت الأيام كلما ازداد شعوري بالألم. نظرت في مرآة الحمام وأنا أجفف شعري، أصبح طوله يبعث في نفسي إحساسًا أمقته وألمًا لا أتحمله. كورته إلى أعلى وأحكمت ربطه. فانعكست لمعة السلسة التي تلتف حول رقبتي.. نظرت لها في المرآة نظرة تحمل تساؤلات عدة. اسمها الذي لم يفارقني منذ أن فارقت الحياة، وأصبح كعين أرى بها أو أذن تسمع، جزء مني أرتديه. مرت لحظات بعد ذلك لأبدأ بإجراء اتصالات عدة مع خالتي وزوجها.. أشرح ما دار بيني وبين هويدا. قلت كل شيء عدا شيئًا واحدًا احتفظت به لنفسي.

* * *

مرّ الأسبوع.. منذ عودتي ولم يفارقني ولو للحظات لقائي بهويدا وما قالته لي.. حاولت أن أقنع نفسي أنه لا جدوى من التفكير فيما مضى. دخلت المجلة في هدوء فسمعت خبط كعب حذائها يقترب.

ـ حمدلله على سلامتك.

TW. @Rabe3_elkotob

أدرت وجهي إليها وقبلتها بمودة مصطنعة.

ـ الله يسلمك يا بوسي، ايه الأخبار؟

بدأت تسرد لي حصاد الأسبوع من لقاءات ومشادات وأحداث مسرقة. وكأنني غبت ألف عام..

ـ .. وانتي احكيلي عملتي ايه هناك.. اتبسطتي؟

ـ اتبسطت! آه قوي! هو أنا كنت مسافرة أتفسح يا بسمة؟!

ـ مش قصدي، بس بلد جديدة. عملتي ايه في موضوع ورثك؟

ـ كل حاجة هناك رسميًا مكتوبة باسم مراته.

ـ مممممممم.. سكتت لثوانٍ اعتقدت فيها أنها تفكر في كلماتي.. ولكن ظهر حماس مفاجئ على وجهها.. تجاهلت ردي وكأنها لم تسمعه.

ـ بقولك ايه؟ عندي ليكي خبر بقى بمليون جنيه.

جلست على كرسي المكتب.. نظرت إليها أنتظر منها هذا الخبر الذي أضفى استعدادها لقوله سعادة غريبة على وجهها. استطردت:

ـ انتي هتبقي خالتو بيناااار.

مكثت كما أنا.. جالسة مكتوفة اليدين أنظر إليها بملامح وجه ثابتة تنضح باستفهامي ولا أفهم ما تعنيه.. قرأت ذلك فأكملت:

ـ أنا حامل.

حاولت أن أصطنع بدوري سعادة تليق بحماسها بإخباري. وحيدة أنا لا أب لي ولا أم ولا أخوة! ولكنني سأصبح خالة لابنة

TW. @Rabe3_elkotob

زميلتي في العمل! أتساءل لِمَ لا يعاقب القانون على نطق الكلمات مجازًا. لن تسعدني كلمة أنني سأصبح خالة، ولن تقرب المسافات بيني وبين زميلة الدراسة والعمل، بل سيتفنن صدى تلك الكلمات في عقلي بأن يظهر أنني لن أصبح في يوم ما خالة أو عمة. كنت ذات يوم ابنة، ولكنني ما كدت أن أشعر ما تعنيه تلك الكلمة حتى فقدت الدلائل من حولي لإثباتها.

ـ انتي مش مبسوطالي ولا ايه يا بابا؟

ـ لا يا حبيبتي أكيد مبسوطالك، بس أصلي تعبانة شوية، ما نمتش كويس من امبارح.. ألف مبروك.

* * *

اتفق معي أيمن للقائي بعد عملي. اشتقت إليه كما لم أشتق إليه من قبل.. ذلك الأسبوع شكل فارقًا وكأنني غبت دهرًا، كما أحضرت له قميصًا وزجاجة برفان. في وسط ما أنا فيه لم أنسَ بعض الهدايا..

ـ انت وحشتني قوي.

ـ وانتي كمان يا بيبي.

أشار إلى النادل يناديه وأنا أنظر إليه بتمعن وكأنني أراه للمرة الأولى.

ـ عملتي ايه مع مرات أبوكي؟

ـ بابا تقريبًا كان كاتب كل حاجة باسمها، والموضوع خلص على كده.. عايزة أولع سيجارة، ممكن؟

ـ قدام الناس؟ براحتك.

TW. @Rabe3_elkotob

أشعلت سيجارة ثم أكملت.. هي قالتلي إن بابا وصاها إن ،،فضل تبعتلي شهريًا زي ما كان هو بيعمل. بيتهيألي هي لو مش إسانة كويسة ما كنتش هتقولي كده.. مش مجبرة.

ـ عبيطة قوي انتي.. ما يمكن تكون قشت من ورا أبوكي كتير واتلاعبت فـ حاجات أصلاً من حقك.

ـ أيًا كان يا أيمن. هي مش مجبرة.. وأنا كده كده أصلاً ما كنش فارق معايا موضوع الورث ده.

ـ صحيح هي مقلتلكيش ليه باباكي ومامتك اتطلقوا؟

أصابني سؤاله بحالة إعياء هبطت من حيث لا أعلم، وتلبستني كمارد يأبى الرحيل من جسد ملعون.

ـ لأ.. ما تكلمناش فـ الموضوع ده.. أنا أصلاً قابلتها مرة واحدة.

ـ ما علينا. انتي أخبار شغلك ايه؟

ـ ماشي أهو مفيش جديد..

تذكرت فرحة بسمة بحملها وسألت نفسي ماذا لو يصبح أيمن أبًا لأولادي وأصبح أنا.. أمًا.. ما أسماه شعور فطري، لا تهم الألقاب الأخرى. فلأحيا أمًا.. ثم تذكرت مكالمة فتحية قبل سفري.. كيف أتذكر ما حدث لي ألف مرة في اليوم الواحد، ولم أتذكر مكالمتها الأخيرة؟

ـ على فكرة يا أيمن.. أنا بفكر أروح الدويقة تاني وأكمل الموضوع اللي كنت شغالة عليه.

صرخ في وجهي:

TW. @Rabe3_elkotob

ـ تروحي فيييين بعد الخرا اللي حصل معاكي! انتي مجنونة يا بنتي؟!

* مجنونة

لو كان الفكر جنونًا إذن فكل المجانين أتاحوا بأفكارهم للعقلاء رفاهية تمنعهم من الجنون!

ـ ايه الجنان فـ كده؟ أنا على فكرة بقى الموضوع فـ دماغي أكبر من فكرة إن أعمل حاجة للمجلة. الموضوع شبه اتنسى عندي في الشغل. أنا عايزة أعمل التحقيق ده لنفسي. وأشوف أقدر أفيد الناس دي بـ ايه.

ـ انتي بتستهبلي مش كده؟ انتي مش عارفة تفيدي نفسك من أساسه عشان تفيدي غيرك.

ـ مش هرد عليك.

ـ مفيش مرواح هناك، متخلينيش أتجنن عليكي.. انسي الحوار ده..

* * *

مكثت أمام الباب أنتظر.. فتحت خديجة فدخلت دون أن أنظر إليها.

TW. @Rabe3_elkotob

ـ خالتو فين؟

ـ جوه فـ الليفينج يا آنسة.

دخلت ثم أغلقت الباب خلفي دون أن أسلم عليها أو أنبس بكلمة. اضطربت من هيئتي.. عيناها تراقبني حتى جلست على مقربة منها مكتوفة اليدين أنظر إلى ما تتابعه في التليفزيون.

ـ مالك يا بينار؟

ـ هو بابا وماما اتطلقوا ليه يا خالتو؟

ـ ايه السؤال ده يا بينار؟

كانت عيناي تتابع يد الشيف وهو يقلب ما بداخل القدر على شاشة التليفزيون، وشيء ما بداخلي يقلب خليطًا من الأحاسيس التي لا تحمل طعمًا وليس لها لون.. لم أحاول أن أنظر لها، ظللت مكتوفة اليدين أنتظر إجابتها.

ـ ما أي اتنين ممكن يتطلقوا يا بنتي.

ـ ليه؟

أحست خالتي بأن سؤالي يرقد خلفه كل شيء. فاسودت شاشة التليفزيون أمامي بضغطة منها على الريموت.

ـ في ايه يا بينار؟

ـ أنا بسألك يا خالتو سؤال محدد.. بببباباااا وماما انفصلوا ليه؟

ـ انتي بتتكلمي كده ليه! وبعدين بصيلي وانتي بتتكلمي.

ـ خانته وهو عرف فـ سابها؟

TW. @Rabe3_elkotob

وقفت الكلمات في حلق خالتي كمن خرجت روحه قبل أن ينطق آخر كلماته..

ـ مين القذر اللي قالك كده؟ انطقي!

ـ هويدا مرات بابا الله يرحمه. قالتلي إن بابا سابها عشان اكتشف إنها بتخونه..

حلّ صمتي لثوانٍ ثم استطردت: وإن هو جت عليه لحظة شك أصلاً إن أنا بنته، وعشان كده بعد عننا.

ـ الله يسامحه.. منال الله يرحمها عمرها ما خانته.

أغرورقت عينا خالتي بالدموع. يا إلهي، ليس هناك وقت للبكاء. هل لي أن أقتل نفسي وأنا من يعيش في وسط كل هذا! لن أكفكف دموع من حولي حتى يهدأ بركان الغضب الثائر بداخلي.. كلٌ سواء أمام عينيّ الآن.. أنا من يحمل الهمّ الأكبر. مرّ كل ذلك دون أن أنظر إليها.. تجاهلت صوتها الباكي.

ـ أيوة، مش فاهمة برضه.. هي ماما ماقلتليش ليه أبدًا الموضوع ده؟

ـ انتي كنتي صغيرة يا بينار.. زائد إن الموضوع ده مات من سنين، ومن ساعتها منال الله يرحمها اتبدلت وفضلت مقضية حياتها فـ تربيتك وبس لحد ما ماتت. كل ده عشانك يا بنتي.

ـ عشاني!! لو الموضوع ده مات مكنتش أبقى قدامك دلوقتي بكلمك فيه. احنا اللي بنموت يا خالتو وكل حاجة حصلت فـ حياتنا بتفضل عايشة. هو مين أصلاً الراجل اللي حصلت بسببه المشكلة دي؟

TW. @Rabe3_elkotob

- انتي تعرفيه وشفتيه.

- أنا؟!

- هو جه فـ عزا منال الله يرحمها وكان جالنا هنا مرة.

- جالكوا هنا يعمل ايه؟

- جمال صاحب حسين من زمان وانتي سلمتي عليه.

- جمال؟

بدأت عيناها تظهر من الدموع أكثر مما ينبغي. وما كان يزيدني ذلك إلا استفزازًا وشعورًا بالضيق!

- خالتو هو انتي بتعيطي ليه؟

- صعبان عليا منال.. اتظلمت فـ حياتها وفـ مماتها. يا بنتي دي عشان تتجنب أي كلمة من الناس دفنت نفسها وهي لسه فـ عز شبابها عشانك وعشان اللي عملوا أبوكي فيها.

اعتدلت جلستي لأجلس مواجهة لها..

- أيوووووا، احكيلي يا خالتو الله يخليكي كده، عشان أفهم عمل ايه وليه.

شبكت كفيها ونظرت لي بأسى شديد.

- أمك الله يرحمها كانت بتحب جمال من زمان.. كان جارنا فـ الشارع واتقدملها بس جدك رفض أيامها وأجبرها تتجوز سليم. جمال قلب الدنيا وفضل ييجي بس جدك كان رافض تمامًا.

- ليه كان رافض؟

TW. @Rabe3_elkotob

ـ هو كان شايف أن سليم مناسب، وكان ابن صاحب جدك الله يرحمه وابن ناس، فـ قال هو ده..

ـ كل اللي قلتيه ده ياخالتو مفيهوش حاجة غلط، فين المشكلة؟

ـ لما أمك اتجوزت سليم جمال فضل بعيد، بس رجع بعد سنة كده ولا حاجة بيحاول يوصل لأمك بأي طريقة. هو كان زي المجنون بيحب منال جدًا.. كان عايزها تطلق بأي طريقة، وأمك كانت ضعيفة فوق ما تتخيلي.. كان دايمًا بيحاول يوصلها من ورا سليم، وهي مكانش فـ ايديها حاجة تعملها.. راح جمال الله يسامحه بقى اتجنن كده فـ يوم وراح مكلم أبوكي وقاله إنه بيحب أمك وإن لازم يطلقها. أبوكي طبعا ربنا يسامحه برضه على اللي عمله فـ منال أيامها.

استمرت في البكاء..

ـ والله استحملت كتير قوي، كله كان بييجي عليها. المشكلة كبرت أيامها وكانت فضيحة في العيلة واتطلقوا.. نظرت لي وكأنها تقرأ ما حدث في ملامح وجهي.

ـ .. جمال اتقدملها أكتر من مرة بعد كده.. كان بيحاول كتير بس هي رفضت تمامًا عشان هي خافت عليكي، وفضلت عايشة قافلة على نفسها كده لحد ربنا ما ريحها. أمك من يومها ماشفتتش يوم حلو. ما ينفعش أبدًا واحدة متعرفيهاش تيجي تغيرلك صورة أمك فـ ثانية.

ـ مينفعش أبدًا حد معرفهوش أكتشف إنه يعرف عني اللي معرفوش فـ ثانية. مينفعش أبدًاااا إن أعيش كل ده وأنا مش فاهمة

TW. @Rabe3_elkotob

«مكنش بابا معانا. مينفعش أبدًاا إن أتربى على إني مسألش وبعد «أحس بذنب إني مسألتش أنا لوحدي ليه! دلوقتي بسبب كل ده «ي غلط وبابا كان غلط وماما كانت غلط.. كلكوا كنتوا غلط وأنا اللي بدفع تمن ده!

لا شيء يدوم في هذه الدنيا حتى الموت.. ولكن هناك حالات ملعونة قد تصل بنا إلى أعلى درجات اليقين من استمراريتها إلى الأبد، كتلك التي أعيشها الآن.. كلما ازداد ضيقي مما يحدث حولي كلما ازداد شعوري بضيق آخر في التنفس وازدادت برودة يديّ. حالة ولدت منذ ذلك اليوم المشؤوم الذي انقض فيه حمدي عليّ.. لن أنسى لحظة عودتي إلى المنزل.. وتحسسي موضع النبض في رقبتي كأنني سأظل أسمعه حتى أصل إلى تلك النبضة الأخيرة! حركةَ لا إرادية وُلدت ذلك اليوم وظلت معي إلى الآن كلما غابت أنفاسي وسرت البرودة في جسدي. انتابتني حالة من العصبية المفرطة. كنت أجلس أمام خالتي أسمعها، أنظر إلى وجهها الباكي أشعر بتفاهة دموعها لأن ألمي أكبر وخوفي أعظم من كل تلك الأحاسيس.. يدي لم تفارق موضع النبض وهي لا تعرف ذلك.. كل من حولي لا يعرف ذلك.. كنت أشعر بازدياده كأنني أصرخ.. أفكر فيما أقول ليختفي إحساس يدي به، فأصمت فجأة وكأنني أركض خلفه لأتداركه.

* * *

لم أشعر يومًا بالقلق من البقاء وحيدة مثلما شعرت اليوم. تركت خالتي بعدما أدركت أنه لا يوجد شيء جديد سأستمع إليه. لم تدمع عيني للحظة، ولم أكن أعرف ما سر بكائها الذي أصبح نحيبًا على حال أختها التي ظلمتها الأيام وابنة أختها التائهة، ما زادني بكاؤها

TW. @Rabe3_elkotob

حزنًا سوى على نفسي! ما إن وصلت المنزل حتى انتابتني حالة من الخوف لأركض نحو البيانو.. وما إن بدأت عزفي حتى بدأت أبكي كمن لم يبكِ قط.. كنت أعزف بلا وعي وأبكي بلا وعي علا صوت بكائي نغمات عزفي. ازداد نبضي، تحسسته بيدي.. بدأت أشعر بأنني آخذ أنفاسي الأخيرة.. أهذا هو الموت! أستنتهي حياتي هكذا؟ وحيدة أعزف بلا جمهور وأبكي دون يشعر بي أحد! أحقًا على خالتي لأنني أعطيتها الفرصة بأن تبكي أمامي. لديها آخرون، لديها ابنها وليلى.. لديها زوجها. لديها خديجة! خادمة ولكنها تعيش معهم.. في حالات الحزن لا يهمنا إن كان يستمع إلينا شخص ننتمي إليه أم لا. أما أنا فليس معي سواي. أنا من اخترت ذلك وازددت قناعة بصحة اختياري بعد كل ما حدث معي الآن.. بدأ الوضع يزداد سوءًا مع بكائي، لا أعلم لِمَ لم أفكر بأن أتصل بأي أحد أعرفه ليبقى معي أو يأتي لي. أردت أن أخوض تلك المعركة النفسية دون مساعدة من أحد، ولكن الوضع كان يزداد سوءًا، ازداد شعوري بالخوف فقمت من على البيانو أدور في المنزل.. آخذ نفسًا عميقًا فتدخل أنفاسي دون خروج. فتحت الشرفة أحاول أن أستنشق شيئًا كنت أعرفه أحيانًا يدعى هواء. ارتعبت وكدت أفقد الوعي خوفًا، ففتحت باب المنزل لأركض منه.

* * *

أتعجب دائمًا لم نختار أفعالنا دون القدرة على اختيار أحلامنا أيضًا. فكر معي بعمق في تلك النظرة الفلسفية ما بين المعتزلة والجهمية وما توسطتهما من وجهة النظر الأشعرية، نعم هناك إرادة عليا لخالق الكون عزّ وجلّ، ونعم هناك أشياء قدرية تحدث لنا بلا دخل منا ولا حيلة.. ولكن هناك أيضًا إرادة بداخل كل منا لا تعلو

TW. @Rabe3_elkotob

إرادة الله نتج عنها مفهوم الثواب والعقاب، أما أحلامنا فكلها
لا تدخل منا، ليس بعضها باختيار والبعض الآخر قدري، إنما
هي دائمًا وأبدًا رحلة مجهولة نستسلم لها دون أن نعلم مصيرنا بها.
وب عوالم لا نعلم عنها شيئًا، نرى أشخاصًا قد فارقونا ليزداد
الفراق سوءًا، فتصبح أحلامنا ما هي إلا تذكيرًا للفراق، وأحيانًا
أخرى نرى أشياء تسعدنا فنستيقظ منها حزنًا لأنها لم تكن سوى
حلم! ثم تأتي الكوابيس وإمكاناتها الساحرة بأن تنسج لنا بإخراج
مذهل الأسوأ على الإطلاق.

كنت أركض في طريق مظلم، أرى أنصاف وجوه تركض خلفي.. أصرخ فلا أسمع صوتي، أنظر يميني.. فتسحبني يداه بقوة دون أن أراه، أحاول أن أفر هاربة، فيمسك بشعر رأسي قبل أن أفلت منه، أحاول، أحاول، أحاول، وأصرخ فلا أسمع صوتي، وفجأة أراها من بعيد تركض نحوي لتأخذني، ولكنها تتعثر فتسقط، أصرخ أناديها وفجأة.. يوقظني صوت المنبه..

قمت ببطء أحاول أن أتذكر أمس.. (ضغطك تمام.. واضح بس إن أعصابك تعبانة.. مفيش أي حاجة.. دي حاجة كده زي panic بتيجي لناس كتير.. ممكن تاخدي حاجة خفيفة تهديكي زي دورميفال ـ ده أعشاب بس ـ وشوفي دكتور برضه)، تذكرت كلمات الدكتور الذي يقف بالصيدلية، بعدما وقفت أمامه بجسد مرتعش كمن أصابه هلع من مس شيطاني.. تلك الحالة التي وصلت إلى ذروتها بالأمس. هدأتني كلماته بالقدر الكافي لأعود إلى المنزل بمقدار من الخوف لا يقل كثيرًا عما كان.. إلا أن كلمة الصيدلي (بتيجي لناس كتير) طمأنتني أكثر من معرفة أنني لا أعاني شيئا خطيرًا.

TW. @Rabe3_elkotob

أين شيرين.. راودني ذلك التساؤل في طريقي إلى المكتب. أمسكت الهاتف لأتصل بها.. وجدت ألف اتصال من خالتي. وأنا لا أريد أن أجيب.. أعاقبها على ذنب لا أدري ما هو. ليس لدي أدنى قدرة أن أستمع إلى كلمات منها الآن. اكتفيت وعشت ساعات تغنيني عن الكون بأسره. كانت لا تكف عن الاتصال فألقيت بالهاتف جانبي.. اتصلت مرة أخرى، انتظرت حتى تُنهي اتصالها لأتصل بشيرين.

* * *

ازداد الامر سوءًا بمرور الأيام.. كنت أحاول قدر المستطاع تجنب أي أحاديث مع زملائي بالمجلة، وكانت المأساة في اللقاءات الخارجية، حتى إنني كدت أن أبكي يومًا أمام من أحاوره دون سبب! حالات من الضعف والضيق. كان بداخلي حزن دفين لا أستطيع انتزاعه يظهر وقتما يشاء، ازدادت حالاتي سوءًا وأصبح التنفس أمرًا يصعب القيام به. أتعلم ما المأساة؟ إنه ليس أن تعاني شيئًا ما، مرضًا ما، ليس أن تزداد أعوامًا عديدة دفعة واحدة لتصاب بشيخوخة مبكرة تُفقدك الرغبة في كل شيء حولك حتى الحياة. نحن لا نحزن على ما أصابنا.. ولكن حزننا الأعظم عندما لا نستطيع أن نعرف لِمَ أصابنا. لذا فإن المأساة حقًا تكمن في الأسباب عندما لا تستطيع رؤيتها، عندما تحاول تفسيرها ومعرفتها، لينتهي بك الأمر في اكتشاف أن كل ما حولك ما هو إلا سبب واحد تعيش أنت بداخله دون أن تراه. أن الأسوأ بصدق عندما تستيقظ يومًا لتشعر بأنه قُدّر لك البقاء وحيدًا ثم تبحث خلف وحدتك لتدرك أنه كان من الأفضل ألا تبحث وألا تسأل وأن تظل هكذا غريبًا عن ذاتك مستسلمًا لما أنت به.. لذا.. قررت في يوم ما أن أخرج عن

TW. @Rabe3_elkotob

بالك مستسلمًا لما أنت به.. لذا.. قررت في يوم ما أن أخرج عن اسبابي التي كلما دارت في ذهني كانت تخطف أنفاسي قبل أن أحاول مسيرها. بدأت أخرج يوميًا بعد عملي لأقابل أصدقاء قدامى، أو تبرين وشلتها.. ثم تطور الأمر حتى أصبحت أتجنبهم مرة أخرى وأخرج وحيدة. آكل وحيدة.. أجلس وحيدة.. أتصنع الانهماك أحيانًا في اللاب توب رغم أنني لا أستطيع تمييز ما به. هجرت الـ فيس بوك، وإنها لإشارة خطيرة عندما تهاجره إحدى كائناته! مللت أخباره وكل ما فيه. أفتح صفحته لتظل أمامي لساعات ثم أغلقها مرة أخرى، وكأنني لا أظهر فيه سوى لأعلن غيابي. كنت أتجنب وسط كل هذا أن أقابل أيمن رغم أننا كنا نتحدث أحيانًا. أعطتني حالاتي فرصة رائعة لأدرك كم أنني كنت سلبية في تلك العلاقة إلى حد الابتذال. كيف سولت لي نفسي أن أبقى معه هكذا، لا هو صديق ولا هو حبيب ولا هو علاقة عابرة. كان هو المزيج بين كل هذا، يظهر وقتما يشاء ويختفي أيضًا وقتما يشاء!

أحيانًا تصبح الأنثى مشتتة في عوالم مختلفة بداخل رجل واحد، لينقلها بين يديه كماريونيت من عالم إلى آخر دون سابق إنذار لأنه يقنعها بأنها تملك كل عوالمه.. ولكن في حقيقة الأمر هو الذي يملكها بداخله.. ولا يكترث بتلك العوالم الوهمية. وما هي إلا مسميات نلتمس فيها ماهية ما نفعله. أما خالتي فقد أصبحت علاقتي بها أكثر شحوبًا مما ينبغي.. ولت تلك الأيام التي كنت أمر فيها للغداء حتى وإن كان على مضض. كانت تقول لي دائمًا (انت زي ليلى). لم أكن أبدًا مثل ليلى ولن أكون. لم أنكر يومًا حبها لي.. ولكنني على يقين أنني لم ولن أرتقي لمنزلة الابنة، حتى لو كنت ابنة أخت مسكينة أفنت عمرها مبكرًا وأصبحت التعاسة هي العنوان الذي قد يلخص مسيرة حياتها طوال اثنين وأربعين عامًا.

TW. @Rabe3_elkotob

تذكرت كلماتها عن ذلك الرجل الذي عشق أمي بجنون. تخيلت للحظات لو كان هو أبي، وكأنني كنت أنا التي ستُنجب. خيالاتنا أحيانًا تُبحر بنا لتغرقنا لا لتأخذنا إلى شواطىء أخرى! أي رجل هذا الذي أتخيله لو كان أبي دون أن أراه.. يصمت عقلي لثوانٍ لأنطق بداخلي اعتراضًا: وكأنني رأيت أبي الذي أنجبني سوى في صورتين! يا رب.. هذه الدوامة الفكرية لابد وأن تنتهي.. لابد وأن تنتهي.

* * *

TW. @Rabe3_elkotob

بذهول في صخب الحياة نعدو.. نستظل بأطلال وهمية ونربت على أكتافنا أحيانًا.. لنطمئن.. نسخر من مخاوفنا بمواجهتها، نصبح أصدقاء لنا ونقف وقفة رجل واحد كأمرأتين.. أنا ونفسي. فقط يكمن القهر إذا ما قررنا يومًا الانفصال.. لا أعلم من منا يخاف غدر الآخر، أنا أم نفسي. أنا أم تلك الروح العالقة بداخلي.

ـ بسم الله ماشاء الله.. انتي بتعزفي حلو قوي.

ابتسمت لها دون أن تراني. ولكنني كنت أشعر بها وهي تنزع من حولي بقايا الألوان المترامية.. ألوان لا يراها غيري من بقايا عزفي.

ـ هو انتوا آخر مرة حد جالكوا ينضف امتى؟

* جالكوا

تضفي صيغة الجمع على الوحدة رونقًا آخر.

ـ مش فاكرة يا فتحية والله.

TW. @Rabe3_elkotob

ـ ده أنا لاقية العناكب معششة فـ كل حتة.. طب بقولك ايه، أنا خلصت أوضتك والمطبخ والحمام جوه.. بس في أوضة مقفولة كده قلت زوئيًا أقولك قبل مافتحها.

أوقفت عزفي ثم التفت أنظر إليها.

ـ لا سيبيها.. دي أوضة ماما الله يرحمها.. خليها يوم تاني أبقى رايقة وأقف معاكي فيها.

مسحت كفيها المبتلتان في ثوبها المهترئ ثم تقدمت نحوي تربت على كتفي بصدق.

ـ أنا آسفة ياختي والله.. الله يرحمها.. يعني انتي يتيمة يا قلب أمك؟

رفعت رأسي أمعن النظر في وجهها قبل أن أجيب:

ـ آه.. أنا يتيمة.

كلمة لم أسمعها من قبل، أو بمعنى آخر لم توجه لي. ما أبغضه هذا اليتم. ليس اليتم هو موت الآباء أو الأمهات فقط، وإنما هناك أنواع أخرى كيتم الشعور بالسعادة والاطمئنان.. لم يكن هناك وقت أفضل من الذي أنا به الآن ليتجلى هذا اليتم.

ـ طب !!!!!.. طب أنا كنت عايزة أكلمك فـ حاجة ومكسوفة منك.

أعلم جيدًا ما ستحدثني به، أومأت رأسي لها بوجه ممتعض، دخلت غرفتي أشعل سيجارة ثم عدت إليها.. قرأت في عينيها نظرة استغراب.. رغم أنها أزالت كثيرًا من آثار تدخيني من كل

TW. @Rabe3_elkotob

أركان المنزل. ذكرتني أيضًا عينيها بتلك النظرة التي وجهتها لي يوم مراقبتي لها.. لم أحاول أن أحدثها في أي شيء عن هذا اليوم.. صدمتي مما حدث من زوجها كانت كافية لتنسيني ذهولي من هذا اليوم..

ـ في ايه يا فتحية؟

ـ أنا والله من يوم اللي حصل من حمدي ومكنتش عارفة أكلمك وكنت مكسوفة منك.. واحدة غيرك كانت خربت بيتي وقالتله عاللي عملته من وراه.. وربنا يعلم ايه اللي كان بيحوجني للسكة دي.. أنا مكنش ليا عين أكلمك بس يمكن لما الدنيا زنقت علينا قوي انتي أول واحدة جيتي فـ بالي وافتكرت كلمتك أما قلتيلي (متعمليش كده يا فتحية وأنا هحاول أساعدك)، فقلت جوه نفسي إنك ممكن تساعديني.. لما فات وقت ومكلمتنيش من ديك النهار لما طلبتك عالموبايل، قلت ايه بقى.. يبقي هي واخدة على خاطرها مني، بس أما كلمتيني امبارح واديتيني العنوان. قلت دي فيها الخير والله ومصدقتش لما لقيتك انتي اللي بتفتحيلي، أنا كنت فاكراكي بعتاني أنضف لحد من قرايبينك ولا حاجة.

خطاب مطول كان يمكن لها أن تختصره في ثلاث كلمات.. ولكنه الجهل أحيانًا الذي يدفعنا أن نقول أكثر مما ينبغي ظنًا منا بأنه كلما زادت الكلمات كلما أصبح لحديثنا قيمة.

ـ حصل خير يا فتحية.

ـ حمدي طيب والله ما قصد اللي عمله، هو كان مبرشمله حاجة.. مكانش فـ وعيه.. ربنا يكفيكي شر لطشة العقل، ده بيبقى معمي.

TW. @Rabe3_elkotob

ـ قلتلك حصل خير.

ـ طب قولي و.. والنبي إنك مسامحاه. انتي مشفتيش لما قلتله امبارح إنك جايبالي شغل اتكسف من نفسه ازاي.

بدا إلحاحها خانقًا مستفزًا..

ـ ما قلت خلاص يا فتحية! انتي قلتيلي الكلام ده قبل كده.. اقفلي على الموضوع ده لو سمحتي. أنا كلمتك تيجيلي عشان متقوليش إني نسيتك. لحد ما أشوفلك شغلانة.

ـ طب هطلب منك آخر حاجة والنبي.

ـ خير؟

ـ هو طلب مني يكلمك يستسمحك.

ـ مش عايزة أكلم حد بعد إذنك.. كملي شغلك واقفلي على الموضوع ده.

أي طلب هذا الذي قد أوافق عليه؟ لا يدري كيف تبدلت أحلامي من بعده إلى الأبد. حتى تلك الحالات التي أضحت تنتابني دون أن أعرف لها تفسيرًا، ربما كان له الدور الأكبر لكل ما أنا به الآن. قُدّر لحياتي أن تصبح كلوحة غريبة ليس لها لون، لا يفهمها سواي، ثم ظهر ليلقي بذلك اللون المخيف فيها. كان السر الأكبر الذي لم أجرؤ أن أبوح لنفسي به هو سر تعلقي بفتحية ورغبتي في مساعدتها، وكأن القدر أراد لي ذلك. لم أكن أعرف ولم أحاول أن أعرف. شيء في ملامحها ونظراتها كان يجبرني أن أعود إليها.. شيء أجبرني أن أتصل بها رغبة في مساعدتها، وكأنها هي التي ستساعدني.

TW. @Rabe3_elkotob

جلست مكتوفة الأيدي أتابعها وهي تنظف تلك الأتربة التي غطت كل شيء.. كانت تعمل بدأب ربما لتثبت لي نظافتها.

ـ هو انتي لمؤاخذة عايشة لوحدك؟

ـ لا مؤاخذة.. آه بس قرايبي معايا فـ العمارة.

كذبة افتعلها عقلي في نصف ثانية خوفًا من المجهول. لا يجب أن يعلم الغرباء كل شيء عنا. هكذا علمتني الحياة، أو هكذا علمتني الوحدة. ترددت ألف مرة قبل أن أعطيها عنواني، لذا فليس من المعقول الآن أن أبوح لها عن تفاصيل حياتي. ما أذكاها امرأة جاهلة تأخذ كل ما تريد أن تعرفه مني بسذاجتها وعفويتها. مكثت أتابعها وأنا أفكر في محاولاتها المستميتة كي أسامح حمدي. مشاعرنا نحن البشر عجيبة حقًا.. قواعدها لم يرقَ إليها العلم بعد. كيف أنها رغم كل شيء ترى فيه أنه الأطيب. تذكرت نظرته ورائحته الكريهة، هززت رأسي أنفضها من صورته..

ـ فتحية.

سمعت ندائي فركضت نحوي..

ـ أؤمريني يا آنسة بينار.

ـ انتي مش قلتي إن جوزك زعلان من اللي عمله، وإنه عايز يتأسفلي؟

ـ آه طبعًا، ده انتي لو تشوفيه كان مفحوم مالزعل وقالي إنه لو عليه ييجي...

TW. @Rabe3_elkotob

ـ خلاص.. أنا عايزة أعمل معاه حوار للمجلة عندنا.

تسمرت تنظر لي بغيظ..

ـ وهي دي أصول برضه؟ هي دي أصول يا ست بينار؟ الراجل يطلع بنفسه ويقول إنه اتهجم عليكي؟ يودي نفسه فـ داهية يعني، ويبوظ سمعته وسط الناس؟

أي «ناس» هؤلاء؟ لا أعرف! هل هم الذين تجمعوا ليشهدوا تلك اللحظة دون أن يلمحوا وجودي؟

ـ أنا مقلتش كده.. أنا عايزة أتكلم مع جوزك، بس مش كلام ليا ولا عن اللي حصل.. كلام هعمل بيه حوار للمجلة عندنا.. أنا لو عايزة أوديه فـ داهية كنت وديته يا فتحية.

وضعت جانبًا المنفضة التي كانت في يدها ثم جلست أرضًا تنظر إليّ في صمت.. وكأنها تفكر أي نية أضمرها لزوجها. أو نية أضمرها لها!

ـ على فكرة.. لو رفض خلاص مفيش مشكلة، بس صدقيني أنا عمري ما هأذيكي، عشان كده عمري ما هأذيه.

أدرت عيني عنها وكأنني أتابع التليفزيون، بينما ظلت تجلس أرضًا.. تنبش بأناملها السجاد من حولها. تلملم منه خيوط وبقايا شعري المتساقط. طال صمتها مما أكد لي أنها تفكر بعمق فيما قلته. لم تصمت منذ دخولها المنزل لأكثر من دقيقة.

* * *

مضى اليوم سريعًا.. أنهت فتحية عملها على أكمل وجه. اختلف

TW. @Rabe3_elkotob

المنزل بعد أن زالت الاتربة عن كل ما به. فدخلت لآخذ حمامًا استعدادًا لحضور فرح هالة.. إحدى زميلاتي منذ أيام الجامعة. العجيب في الأمر أنني كنت دائمًا أسعد بلقائي بأصدقائي القدامى في تلك المناسبات، إلا أن شيئًا ما بداخلي الآن يشعر بضيق وتردد في الذهاب. كنت مغمضة عينيّ تحت المياه أحاول اتخاذ قرار، أحاول ان أبرر لنفسي كل الأسباب التي ستقنعني بالرفض والمكوث في المنزل، ولكن تلك المحاولات التي تدور بذهني اختفت فجأة، ففتحت عيناي في ذعر. شعرت بنبضي يسري في جسدي بسرعة مخيفة.. تسارعت أنفاسي. تلك السرعة التي تشعر دائمًا أن كل شيء سيتوقف بعد ذلك الآن.. الآن.. الآن سيتوقف كل هذا إلى الأبد، هل ستنتهي حياتي الآن تحت المياه رغم أنني لا أجيد السباحة في الواقع! أغلقت المياه بسرعة، لتنفجر مياه عينيّ.. أي لعنة تلك التي أصابتني! تعثرت قدمي.. كدت أن أنزلق في حوض الاستحمام.. وددت لو حدث ذلك ليصبح البكاء من ألم أشعر به، أراه وأعرف ماهو.. ليس هناك أسوأ من أن تصيبك حالات ارتجال الحزن! نزعت المنشفة المعلقة خلف الباب، لففتها حولي وخرجت أركض إلى الغرفة.. بصمات قدميّ المبتلة شوهت على استحياء مجهود فتحية.

هناك شيء ما غير بداخلي كل شيء. هناك شيء ما أصبحت قوته تفوق تلك القوة الكامنة بداخلي. بكائي لا يتوقف، جلست على طرف السرير أحتضن بيدي طرفي المنشفة الملتفة حولي وأنا اهتز بجسدي بحركة لا إرادية. لا أجد تفسيرًا لتلك الحالات، صدمة كهربائية تصيبني وقتما تشاء بلا توقف. اكتشفت أنني لا أخاف من أن تنتهي حياتي هكذا ولكنني أخاف أن تنتهي دون أن أدرك أنها بدأت، أما الخوف الأعظم فكان يكمن في الترقب.. نحن لا نخاف

TW. @Rabe3_elkotob

لموت إنما نخاف من شعورنا باقترابه!

حاولت أن أُذكر نفسي بكلام الدكتور في الصيدلية لأهدأ.. روعي.. استجمعت قواي لأرتدي ملابسي، لم يتوقف بكائي وإنما هدأت وتيرته. خرجت أبحث عن الهاتف لأتصل بشيرين. ابتعدت عنها قليلاً مثلما ابتعدت عن كل شيء، لذا و ـ لأنني ابتعدت أسمع جرس الهاتف في أذني الآن دون رد منها. أغلقت ثم نظرت في الأرقام التي أمامي، أنظر إلى هذا الكم الهائل من البشر الذين أحمل أرقامهم.. كيف تبلورت علاقاتي بأغلبهم لتصبح مجرد اسم أراه عندما أبحث عن أسماء أخرى! نظرت إلى رقم أيمن، ولكنني سرعان ما ضغطت ليختفي اسمه وكل الأسماء القريبة منه. مكثت أقلب في باقي الأسماء.

Lamya privte No.

La vie Adv.

Lobna Elsayed

Lobna Hassan

Lojy

Maher - Egy photos

M.adel

M.Hussainy

«ياااااه حسيني»، همست.. محمد الحسيني.. لم أره منذ سنوات،

TW. @Rabe3_elkotob

...ها هو الآن أحد المدعوين لفرح هالة، بينما أنا أجلس بلا هدف أعبث بعشوائية في أرقام هاتفي.

ابتسمت بقهر.. كنت أحاول أن أجد مبررًا يمنعني من الذهاب، يحدث لي ما يمنعني عن كل شيء حولي. تتركني تلك الحالة الغريبة بغلاف هلامي لا أستطيع اختراقه. فأرى أن الحياة أفضل دائمًا خارج هذا الغلاف. كنت أفضل حالاً قبل أن أصبح أسيرة بداخل تلك الحالة التي أودت بحياة راحتي النفسية.. آه من الأعماق لم أكن أعلم أنها على قيد الحياة حتى تركتني!

M.Elwardany

Malek Accident

مالك.. هكذا سجل رقمه في هاتفي منذ شهور. حاول الاتصال بي دون أن أجيب فاختفى.

Dial

ـ ازيك.. عاملة ايه؟

ـ أنا تمام، هو مين معايا؟ ثانية.. (نظرت إلى شاشة الهاتف وكأنه يراني).

ـ أنا مالك يا بنتي اللي دشيتي عربيته.

ـ آه، بصيت دلوقتي فـ screen موبايلي.. شكلي اتصلت غلط.

ـ أها، أوكيه، اتصلتي غلط.. (ثواني وراجعلكوا).

TW. @Rabe3_elkotob

ـ شكلك معاك ناس.

ـ لا فكك عادي. ايه عاملة ايه؟ كلمتك على فكرة بعد الـ
بـ كام يوم مرديتيش.. واتصلت بيكي من فترة برضه.

ـ مش فاكرة.. anyway sorry معلش عشان اتصلت.

ـ sorry ايه يا بنتي، ده احنا بينا مستشفيات وحوادث، متقوليش كده يعني.

لم يشبه في أسلوبه أيمن على الإطلاق، ولكن لا أعرف لِمَ أخذت أسلوبه المرح إليه.. رغم أن أيمن لا يقصد المرح بقدر السخرية المؤسف أنه رغم أنني توقفت عن البكاء وبدأت أبتسم قليلاً من كلماته، إلا أن نبضي كان يعلو أحيانًا ليذكرني بثورته التي تطالب بإزعاجي.

ـ انتي معايا؟

ـ آه معاك.

ـ انتي بتشتغلي ولا بتدرسي ولا ايه؟

ـ بدرس.. لا أنا متخرجة من زمان قوي. أنا صحفية.

ـ جميل، وساكنة مكان ما خبطتيني كده؟

ـ آه، اشمعنى؟

ـ طبيعي يعني.. أصل الساعة كانت داخلة على واحدة، أكيد هتكوني نازلة جنب بيتك.

شخص صدمت سيارته ليصدمني هو الآن ببضع كلمات..

TW. @Rabe3_elkotob

ـ نعم، أوكيه، وانت ساكن فين؟

ـ أنا فـ مدينة نصر.

ـ .....

ـ ألو، انتي معايا؟

ـ آه.

ـ أوكيه، على العموم اتصلي أي وقت انتي عايزاه. وخليني اشوفك صدفة.. أنا باجي أقف مع صحابي فـ الكوربة بليل، فـ أي وقت ابقي انزلي اخبطي العربية، بس أبوس إيدك بلاش الشنطة خليكي فـ المرايات.

دخل اتصال شيرين..

ـ أوكيه.. طيب بقولك، معلش هقفل عشان معايا وايتنج.

ـ ماشي.. هبقى أكلمك.

أغلقت معه لأرد على شيرين.. التي أسمعتني في بادئ المكالمة كمًا لا بأس به من الشتائم تقديرًا لاختفائي عنها، وانتهت مكالمتها بأنها ستحضر للمبيت معي بعد خروجتها مع حسام. هذا هو أجمل ما فيها.. الحياة بسيطة لديها لا تحتاج خططًا طويلة، طمأنتني فكرة أنني لن أقضي الليلة وحيدة. خرجت من غرفتي لأشاهد التليفزيون.. أريد أن يمر الوقت سريعًا حتى تأتي شيرين. جلست على الأريكة أستنشق عن عمد رائحة الديتول التي كانت تفوح من كل أركان المنزل.. لا أتذكر متى كانت المرة الأخيرة التي رأيت فيها المنزل على هذه الدرجة من النظافة. لم أبذل جهدًا في بحثي عن الريموت،

TW. @Rabe3_elkotob

وجدته على المنضدة أمامي، وُضع إلى جانب مطفأة السجائر أصرت فتحية أن تترك كل شي منظمًا حتى قبل خروجها بثوانٍ انتقلت بين القنوات فاستقرت يداي كالعادة على mbc2. كان الفيلم في بدايته فقررت أن أشاهد بتمعن وليس كعادتي في مشاهدة مقتطفات. أردت أن أعيش بداخل حالة أخرى.. شخصية أخرى. عالم آخر، حتى تأتي شيرين. أردت أن أخرج من حالتي التي لا يزال هاجسها يدور في رأسي دون أعرف ما هي. Amelia، هذا هو اسم الفيلم.. ولأنني إنسانة محظوظة ـ حقًا ـ حينما أريد أن أهرب من واقعي لأعيش في فيلم، يرسل لي القدر قصة واقعية!! فأعيش بداخلها لأحاول أن أتخيل كيف كانت أحاسيس أبطالها في الواقع. يالسخرية القدر!

جذبتني أحداث الفيلم. إرادة تلك الفتاة Amelia ورغبتها الجامحة في الطيران.. انبهرت من تعلقها بحلم، كان مستحيلاً لدى البعض، وكيف كانت أول امرأة تقود منفردة طائرة لتعبر بها المحيط.. يلعب ريتشارد جير دور صديق البطلة وحبيبها.. وأنا أحب ريتشارد جير حقًا. من لا يحبه؟! لا أعلم. عشقت دعمه لها.. اندمجت لدرجة أنني كدت أصدق أن هولاء هم أبطال القصة الحقيقيين. ولكن.. ليس من السهل أن تصنع فيلمًا يروي قصة حقيقة إذا لم تسنح لك الفرصة في أن تعرف ما كان يدور في عقول أبطالها. هذا ماتوصلت إليه وأنا أتابع لحظة انقطاع الاتصال بين طائرتها وإيتاسكا. ما أسوأ أن تنادي دون أن يسمعك أحد أو أن يسمعك أحد دون أن تسمع رده! ترى كم بلغت سرعة نبضها في تلك اللحظة؟! كان مشهد المحيط حولها يصيب بالغثيان، وكأنني كنت أحاول أن ألمح شيئًا بعيدًا لأشير لها بيدي أن تسلك هذا الاتجاه! هكذا شعرت. حاولت حقًا أن أتخيل

TW. @Rabe3_elkotob

ما دار في ذهنها آنذاك. هل كانت سعيدة في تلك اللحظة بكونها أول امرأة تعبر المحيط، هل كانت سعيدة بأي شيء وهي لا تستطيع أن نسمع ما يرسل إليها لانقطاع الاتصال؟!

فُقدت.. وانتهى الفيلم.. حسبي الله ونعم الوكيل!

* * *

أمس.. إنه ذلك اليوم المليء بخليط من رائحة الديتول التي عبأت المنزل ورائحة حشيش شيري.. مزيج يهدئ الأعصاب، لتهدأ ضربات قلبك حتى تكاد تتوقف.

توجهت مباشرة إلى مكتب أستاذ يحيى.

ـ كنت عايزة حضرتك فـ موضوع.

ـ قوليلي يا أستاذة.

ـ ايه رأيك نعمل صفحة فيها مقال عن إنجازات النساء في العالم، زي أول واحدة مثلاً ساقت طيارة أو مثلاً واحدة عملت اختراع معين أو أو.. كده يعني.

ـ دي عنصرية ولا ايه؟ فكرة ظريفة.

ـ بجد يا أستاذ يحيى؟!

ـ أيوة بجد يا بينار.

أسعدتني للغاية موافقته وتأييده للفكرة دون نقاش منه كما اعتدت.. استطردت:

ـ وفي حاجة تانية كمان.

TW. @Rabe3_elkotob

ـ ها يا بينار.. ده انتي جاية بمواضيع كتير شكلك.

ـ لا يافندم، ده موضوع قديم. حضرتك فاكر موضوع التحقيق اللي كنت عايزني أعمله، وكنت قلتلك بعد كده على فكرتي بخصوص الناس اللي ساكنة في العشوائيات؟

ـ قلنا مرفوضة.

ـ لا خلاص يا فندم، أنا مش هعمل اللي قلت لحضرتك عليه. أنا بحاول أجيب حد.. واحد من الناس اللي عايشة هناك وهعمل معاه حوار عن حاجات كتير ليها علاقة بـ عيشيتهم والصح والغلط. بيفكروا ازاي.. شايفين الدنيا ازاي. بس أنا مستنية أشوف هيوافق ولا لأ.

ـ مش عايز أسمع كلام.. خلصي ووريني شغلك.

ـ أوكيه يا فندم..

خرجت من مكتبه أشعر بسعادة غريبة.. كيف تُحولنا الأشياء التي تصيبنا بارتباك إلى أشخاص آخرين ربما أفضل منا. تذكرت Amelia التي لا أعرفها. لِمَ لا أملك حلمًا مثلها، أي شيء أريد أن أكون، ولِمَ؟ أنا أعيش فقط.. أنا آكل وأشرب وأعمل وأخرج و... يمر الوقت. أنا التي لم ترَ الوجه الحقيقي من أبويها.. أصبحت أحمل لكلاهما صورة مشوشة بداخل عقلي.. أنا التي أضحك أحيانًا ومؤخرًا أبكي كثيرًا ودائمًا لا يمر الوقت! أنا التي حدثت غريبًا لا أعرفه، أتصنع خطأ اتصالي في لحظة هربت فيها أنفاسي! أنا التي تشعر بأشياء في صمت ربما لا يشعر بها غيرها، أو ربما يشعر بها كل من حولها دون أن يبوح.. أنا تلك التي أصبحت يدها تتسلل لتجس

TW. @Rabe3_elkotob

وضع النبض دون أن يراها أحد، ودون أن تجرؤ بدورها أن تعرف ما السبب لملاحقتها صوت النبض بداخلها. أنا تلك التي دخنت سيجارة حشيش بالأمس مع شيري ليزداد وعيها بكمّ العبث الذي يعيش فيه.. أنا العبث!

مضت ساعات أفكر فيما إذا ما وافق حمدي على إجراء حوار معه، والذي لا أعلم حقًا عن أي شيء سيكون.. حولت بعض مواعيدي إلى بسمة، والتي لم تبدِ أي اعتراض.. أشعر أن شيئًا ما في أسلوب بسمة بعد حملها يدعو إلى التفكر. اختلفت ابتسامتها، أصبحت مليئة بالطيبة عن ذي قبل.. لازالت تناقشني باستفزاز أحيانًا، ولكن شيئًا ما في أسلوب تعاملها مختلف. أو ربما أنا من اختلفت. أفكر في كل شي حولي وأشعر بكل شيء.

* * *

مرّ اليوم بطيئًا كالعادة لأجد في طريق عودتي هذا الاتصال الذي كنت أنتظره.. كان اتصال فتحية لتخبرني بموافقة حمدي لإجراء الحوار معه، أعطيتها عنوان المجلة. لم أكن لأخاطر وأذهب لهم مرة أخرى. لم أبتسم مثل تلك الابتسامة منذ وقت طويل. أغلقت معها لأرفع صوت الكاسيت احتفالاً بموافقته. وصلت لأركن سيارتي فرن الهاتف مرة أخرى، نظرت للحظة مترددة ثم قررت الرد.

ـ مكلمتنيش تاني يعني.

ـ معلش يا مالك نسيت، ازيك؟

ـ أنا تمام الحمدلله، ايه فينك؟

TW. @Rabe3_elkotob

ـ مفيش، لسه مخلصة شغل وروحت.

ـ طب ماتيجي أعدي أسلم عليكي، أنا لسه مخلص شغلي برضه، تعالي أقابلك نشرب حاجة.. أهو نكسر إن اخر مقابلة حادثة وبتاع

بلا تفكير:

ـ أجيلك فين..

ـ .. زي ما تحبي، أنا فـ شارع الثورة دلوقتي.

صمت لثوانٍ، ربما لأنني لم أفكر قبل أن أوافق.

أرى عم مصطفى الذي كان ينظر لي عن كثب، وكأنه ينتظر نزولي من السيارة.. ولكنه وجدني أعود بها إلى الخلف لأختفي عنه مرة أخرى.

* * *

مكثت أنتظره في الـ parking أمام cilantro الميرغني. مرت دقيقتان لأجد سيارته تقف بجانبي. حاولت ألا أنظر إليه حتى نزل يسير نحوي. فلفت انتباهي طوله.. أعشق الرجال ذوي القامات الطويلة. لم أنتبه له يوم الحادث. كان يرتدي قميصًا أبيض وبنطلونًا أسود ونظارة شمسية خلعها قبل أن يمد يده ليسلم عليّ. عيناه عسلية تميل إلى الخضار، ابتسم لي لتظهر غمزات وجنتيه. لِمَ لم ألمح كل هذا يوم الحادث؟ كان وجهه مريحًا حقًا!

ـ smoking or non smoking.

TW. @Rabe3_elkotob

أجاب مالك: non.

ـ لا عايزة smoking.

نظر لنا النادل في حيرة يحاول قراءة نظرة مالك لي، ثم أشار بيده إلى الداخل للجلوس حيث الـ smokers يجتمعون.

جلسنا في صمت لبضع دقائق..

ـ ايه ساكتة ليه كده؟

ـ لا عادي، أنا دايمًا بعد الشغل كده.. انت بتشتغل فين؟

ـ الصبح بشتغل فـ CIB وبليل ساعات بشتغل فـ المعرض مع أخويا.

ـ معرض ايه؟

ـ عربيات. عندنا معرض صغير كده.. وانتي؟

ـ مانا قلتلك قبل كده.. أنا صحفية.

ـ آه صح.. طب جميل، وبتعملي ايه تاني فـ حياتك غير شغلك؟

سؤال لم يوجه لي من قبل.

ـ بخرج.. بسمع music.. بعزف.

هناك أشياء كثيرة نفعلها في الحياة.. ولكن المأساة تكمن فيما إذا قررنا فجأة سرد ما نقوم به لنجد أجزاء كبرى من حياتنا مليئة بالفراغ.

ـ ايه ده بجد؟ بتعزفي ايه؟!

TW. @Rabe3_elkotob

ـ Piano.

ـ طيب ده كويس جدًا.. انتي زعلانة ليه كده؟

أشرت بيدي إلى نفسي لا إراديًا.

ـ أنا؟

ـ آه، شكلك زعلان.

ذلك الذي لا أعرف عنه شيئًا، ولكنني أجلس الآن أمامه.. أستمع إلى كلماته وأنفث دخان سيجارتي في وجهه.. يواجهني بحقيقة ما أشعر به، والأسوأ أن كلمته تلك استحضرت في عينيّ دموعًا غزيرة، حاولت ألا أرمش طرفًا حتى لا أسمح لها بالظهور. أصابني ما أنا فيه بتوتر واضح جلي أمامه.. فأردت أن أنقذ موقفي حتى لا يتهمني بالجنون. فالتعاسة أمام الغرباء جنون.

ـ أصل أنا بابايا لسه.. لسه كان متوفي قريب، فـ يمكن علطول متضايقة الفترة دي.

ذلك هو الرد الأفضل على الإطلاق. حتى أنا يمكنني أن أصدق ذلك.

ـ ايه ده بجد؟ البقية فـ حياتك. أنا بابا متوفي برضه من تلات سنين.. مش قادر أقولك أنا كنت متعلق بيه ازاي.. الله يرحمهم.

أطفأت السيجارة لأشعل واحدة أخرى..

ـ انتي بتشربي سجاير كتير قوي.. مضرة عشانك.

ابتسمت ونظرت له دون أن أعلق على مفهوم الضرر..

TW. @Rabe3_elkotob

مرت ساعتان لأتركه بعدها عائدة إلى المنزل.. لم أنتبه أن سيارته ظلت خلفي حتى وصولي. أوقفت السيارة ثم نزلت منها أسير نحوه.

ـ ماشي ورايا ليه؟

ـ عشان أطمن إنك مش هتخبطي حد.

ابتسمت وتركته.. لأجد عم مصطفى واقفًا أمام مدخل العمارة.. يحاول مراقبة ذلك الشخص الذي يراه للمرة الأولى. تجاهلته وكأنني لا أراه حتى تبخرت من أمام عينيه.

* * *

TW. @Rabe3_elkotob

TW. @Rabe3_elkotob

في عالم موازٍ لذلك الذي أعيشه.. كانت لي حياة مختلفة.. كان لي بيت يطل على بحر شديد الزرقة.. سماؤه صافية تظهر فيها الشمس وكأنها مبتسمة.. تحاول بشتى الطرق جذب عينيّ لأنظر إليها كي أبادلها نفس ابتسامتها.. لا توجد هناك أنواع لابتساماتنا.. فالسعادة واحدة والحزن واحد.. قمة الحزن في عالمي ذاك، أن أسمع صوت عصفور وأحاول أن أراه فلا أجده وسط أوراق الشجر! لي بيانو وُضع في الشرفة.. أعزف وأترك العنان لألواني فتسبح في الفضاء.. كان لي أب يجلس بالداخل على كرسي هزاز.. يقرأ صحيفة بوجه صاف لا يعبث محتواها في ملامح وجهه. أما أمي.. فكانت تجلس في غرفة، ستائرها حريرية بيضاء وبابها مفتوح دائمًا.. تداعب طفلاً صغيرًا يحمل ملامحي أنا وهو.. هو؟! حتى في هذا العالم الموازي لا أدري من هو.. كان علامة استفهام تحتضنني.. تضحك معي.. تجلس بجانبي وينتهي يومي لأنام بجانبها.. في هدوء وراحة.

في عالم موازٍ.. كان حلمي واقعيًا.

اعرف اسمه.. تذكرته قليلاً عندما قالت لي من هو.. ليس من الصعب الوصول إليه.. ولكن لم؟

TW. @Rabe3_elkotob

فكر معي.. عندما تكتشف نصف حقيقة عن أقرب الناس إليك.. ترى هل ستبحث خلفها أم ستبقى هكذا؟ مكتفيًا بما أفضت إليك الأيام؟ (.....) فراغ تُرك لك لتكتب ردك.. أما أنا.. فأحمل إجابتين.. جزء مني لا يرغب في معرفة شيء جديد لأنني أصبحت أعرف الأسباب.. وجزء آخر أضفاه طابع عملي عليّ، يرغب في البحث فيما وراء الأسباب ومعرفة أصولها.

برودة الطقس أصابتني بوعكة صحية.. يسميها البعض دور برد، وفي ظروفي الحياتية أسميها: تفنن القدر في اختبار قدرتك على تطبيب نفسك.

دخلت المكتب بصوت مبحوح.

ـ عايزة أقابل مستر جمال.

ـ حضرتك عندك ميعاد؟

ـ لا.. بس قوليله بينار.. بينار سليم العوادي.

جلست أنتظره وأنا أراقب تلك السكرتيرة الحسناء.. شعرها أصفر وتضع طلاء أظافر شديد الحمرة لافتًا للنظر.. كان الهاتف أمامها يرن كل نصف ثانية لتجيب بـ.. «لا مستر جمال مش فاضي النهارده» أو «آآآآ طيب ممكن أشوف الـ scheduale وأرد على حضرتك».. أو «آه الميعاد زي ماهو».. مضت دقائق حتى انتقل إلى أذنيّ صوت سير أقدام نحوي. كنت أعلم أنه هو.. شيء ما بداخلي قال لي إنه هو.. لم أرفع رأسي إلى أعلى كي أنظر إليه.. أصبح حذاؤه أمام عينيّ.. مد يده ليلقي تحيته في صمت.. وقفت لأبادله التحية. ابتسم لي ثم أشار بيده كي أسير معه.

TW. @Rabe3_elkotob

جلست أمام مكتبه.. لم أنظر حولي.

ـ أنا آسفة لو جيت لحضرتك فـ وقت مش مناسب.

أحدثه وهو يجلس أمامي، دون أن أرفع عينيّ أو أنظر إليه. ولكن صمته أجبرني أن أنظر إلى وجهه، ثم استطردت:

ـ أنا جبت عنوان شغل حضرتك من خالتو، وكنت عايزة أتكلم معاك.

كان ينظر لي في صمت أصابني بتوتر.. لم أسمع صوته منذ لحظة وصولي. ينظر لي مبتسمًا، ثم يوجه نظرة في الفراغ.. كنت على وشك الاقتناع بأن من يجلس أمامي رجل أخرس.

ـ انتي شبهها جدًا..

توقف التنفس لثوانٍ كي أستوعب أولى كلماته لي.. بلعت ريقي بصعوبة.

ـ مش عارفة أنا جيت ليه.. بجد مش عارفة.. بس.. كان لازم أعمل كده.

ـ تنوريني فـ أي وقت.

ـ عايزة أسأل حضرتك على حاجة.. هو.. هو حضرتك سبب انفصال بابا وماما صح؟

وجه لي نظرة طويلة.. أخذ نفسًا عميقًا.. فتح فمه لينطق ثم أغلقه مرة أخرى! مرت ثوانٍ أخرى لينطق أخيرًا:

ـ أيوة.. أنا السبب.

TW. @Rabe3_elkotob

ـ هو حضرتك عارف إنك سبب إني مشفتش بابا لحد ما مات؟! وعارف إن انت سببتلي أنا شخصيًا مشاكل من قبل ما أعرفك، أولها إن عمري ما كنت بحس إن ماما الله يرحمها مبسوطة طول ما كانت عايشة، واكتشفت إن السبب فـ ده هو انت، بس بعد ما ماتت.

ـ تفتكري؟

أتحدث كثيرًا ولا أسمع منه سوى كلمات بسيطة تزيد من حالتي سوءًا. نظرت إلى وجهه أتفحص ملامحه للمرة الأولى. كان يحمل وجهًا جذابًا للغاية.. يميل إلى اللون الأسمر وفي ذقنه طابع حسن.. لفت نظري بشدة أن له أنفًا كتلك التي تميز الرومان.. شعره أسود ثقيل ليس به شيب.. وعيناه سوداء بها لمعة غريبة.. كانت لهما نظرة قوية تصيب من ينظر إليهما بارتباك.. شعور مختلف أن أتأمل قسمات وجه حبيب أمي الأول وربما الأخير! أتخيل هيئته في ريعان شبابه.. وكيف كانت علاقتهما وإلى أي مدى وصلت..

نظرت لأجد على مكتبه صورة له وهو يحتضن طفلاً صغيرًا لم يتعدَ عامين.

ـ ده حفيدي.

قالها وكأنه قرأ ما يجول في ذهني.

ـ أنا عايزة أعرف حاجة واحدة بس.. هو حضرتك ليه عملت كده؟

اعتدل في جلسته واختلفت نبرته قليلاً:

ـ عملت ايه؟

TW. @Rabe3_elkotob

- واضح إن حضرتك أصلاً كنت اتجوزت وعشت حياتك.. ليه ، جعت وعملت مشاكل لـ ماما الله يرحمها؟

- عشان كنت بحبها جدًا.. وهي كمان كانت بتحبني. أنا لولا إنها طلبت مني أبعد عن حياتها تمامًا بعد اللي حصل من والدك، أكيد مكنتش هبعد عنها. بس أنا عارف وواثق إنها كانت بتحبني.

- حضرتك ليه واثق كده؟

- حلوة قوي السلسلة اللي انتي لابساها دي.

تذكرت سلسالها الذي التف حول عنقي طوال سنوات منذ أن فارقت الحياة. احتضن كفي اسمها وكأنني أخبئه منه.

- دي بتاعة ماما الله يرحمها.

- عارف.. مش عشان اسمها عليها.. عشان أنا اللي كنت جايبهالها.

وقعت يدي بلا وعي مني بعد أن خبأت اسم أمي الذي توسط السلسلة. كانت تلك هي السلسلة التي خلعتها عنها في آخر لقاء لي بها. كانت تلك هي الذكرى التي تركتها لي ليظل اسمها حولي. أصبح لدي شعوران كل منهما يختلف تمامًا عن الآخر. كنت أشعر بضيق من هذا الرجل الجالس أمامي والذي أشعر أنه سبب كل ما أنا به الآن.. أريد أن أنزع تلك السلسلة لألقيها في وجهه.. وشعور آخر بأنني لا أستطيع أن أنزعها كونها تحمل اسم أمي، وكونها الشيء الذي أخذته منها في رؤيتي الأخيرة لها.

- انتي بتقولي إن أنا سبب كل ده.. تخيلي إن انتي السبب.

TW. @Rabe3_elkotob

ـ أنا؟

ـ منال كانت عاملة حساب ليكي من وانتي لسه طفلة.. كانت خايفة من أي كلام ممكن يوصلك لما تكبري. لو كنا اتجوزنا مكنش في أي حد ممكن يقف قدامنا، حتى جدك الله يسامحه بقى ويرحمه مكنش هيقف قدامنا.. لكن هي قررت تبعد عشانك.

بدأت أشعر أن أنفاسي تود الهروب الآن، فتماسكت قليلاً تسحبت أناملي لأتحسس نبضي بلا وعي مني. لا يزال هناك نبض أسمعه غير منتظم وسريع.. وكأنني أركض نحو الماضي الذي لا أعلم عنه شيئًا.

ـ اللي أنا عايزك تعرفيه إن عمري ما قصدت إن أكون سبب أي حاجة وحشة لمنال. أنا مراتي على فكرة لحد النهارده بتلغبط وبناديها باسم منال.. وهي عارفة قصتها.. حتى ولادي يعرفوها. وكان عندي استعداد فـ أي لحظة اتجوزها حتى لو بعد مليون سنة.

ـ اتجوزت ليه غيرها لو فعلاً حبتها كده؟

ـ عشان منال هي اللي طلبت مني أعمل كده. انتي عمرك ما هتفهمي اللي كان بيني وبينها. أنا كنت بعمل كل حاجة عشانها.. على فكرة انتي شبهها فعلاً بس انتي أقوى.. شخصيتك أقوى.

* أقوى

أتعرف ذلك الشعور الذي يجتاحك لتشعر بأنك أضعف المخلوقات، ثم يأتي إليك شخص يعرف عمن أتى بك إلى الدنيا أكثر مما تعرفه أنت، ليقنعك بلا وعي منك أنك الأقوى. وربما الأسوأ. فتصبح كلماته كمسلمات!

لا أعرف لِمَ أشحت وجهي عنه فجأة.. بدأت أشعر أنني أريد

TW. @Rabe3_elkotob

ان أبكي. دموع أحتبسها في عينيّ ولا أريد أن أحرك رمشًا كي لا تهمر.

ـ أنا مقدر اللي انتي فيه.. متفتكريش إن أنا سعيد في حياتي.. أنا منال فـ بالي فـ كل لحظة من يوم ماعرفتها لحد دلوقتي، بس هي الدنيا كده غريبة.. بتخلينا نعيش حاجات عمرنا ما بتمناها.

مد يده يبحث بداخل جيب مختبئ بسترته، ثم أخرج محفظة سوداء.. بها من الخارج شعار ماركة mont blanck الصغير.. أنيق هذا الرجل! دس يده في إحدى فتحاتها، دون أن ينظر وكأنه يحفظ المكان جيدًا.. أخرج صورتها ووضعها أمامي.

خبط بإصبعه مرتين على الصورة..

ـ الإنسانة دي كانت أهم حاجة فـ حياتي.. اوعي تفتكري إن أنا قصدت أأذيها. إن كانت اختارت إنها تعيش بعيد عني فـ ده قبل أي حاجة عشانك..

نظرت إلى صورتها الأبيض في اسود تلك.. كان شعرها ملمومًا إلى أعلى، تحمل ابتسامة رقيقة للغاية.. ويلتف سلساله حول رقبتها.. إنها أمي. لم أرَ هذه الصورة من قبل في ألبوم صورها.. أخذها مرة أخرى ليضعها في محفظتة.. لم يعطني فرصة لأتمعن بها، ثم سحب كارتًا من أمامه على المكتب وأخرج قلمه من جيب سترته ليكتب رقمًا آخر فوق الكارت.

ـ ده رقمي.. وبقية أرقام المكتب هنا.. انتي مش هقولك زي بنتي.. انتي.. بنتي. لو احتجتي حاجة أنا موجود.. مددت يدي آخذ منه الكارت بلا تفكير.. قررت أن أقوم فقام لإيصالي إلى الخارج.

في طريق عودتي تركت العنان لعينيّ.. أبكي دموعًا تحرق وجنتيّ لارتفاع حرارتها ولا أدري.. هل تأثرت بصدق كلماته، أم تأثرت

TW. @Rabe3_elkotob

لحال أمي، أم لما أنا فيه، أم لأبي الذي ندم على ارتباطه بزوجة
وماذا يسميها هذا المجتمع الملعون غير ذلك! لم أمتلك الجرأة
أسأل عن مئات الأسئلة التي كانت تجول بداخلي.. فضلت لا أ
واكتفيت بما قاله لي.. أيًا كانت علاقتهما، فلن يعود أي شيء الآ
رحلت عن عالمي منذ سنوات.. ورحل أبي أيضًا.. لم يبقَ لي
منهما.

أمسكت سلسالها فازداد بكائي حرقة.

* * *

كانت الساعة قد قاربت الثالثة صباحًا.. لا أستطيع النوم
أفكر في اللقاء الذي ينتظرني مع حمدي. أصابتني موافقته بحالتين
متناقضتين. فها أنا سعيدة لأنني سأقوم بعمل حوار مختلف.
سأحاوره مثلما أحاور النجوم أو هكذا أدّعي. وها أنا أيضًا أشعر
بوخز في رأسي لأنني تذكرته. أمسكت شعري ثم كورته إلى أعلى..
أشعر بأن طوله كان نقمة حينما التفّ بين يديه.. بصماته لا تزال على
خصلات شعري.. تذكري كل تلك اللحظات أصابني بوعكة
نفسية، ولكنني حاولت أن أتجاهلها، حتى لا أنتهي إلى إحدى
حالاتي. رغم كل ذلك كنت متشوقة لهذا اللقاء الذي سأقابله فيه
للمرة الأولى منذ ما حدث.

مرّ الوقت بطيئًا حتى غفوت بلا وعي إلى جانب اللاب توب،
فظهر لي يدخن سيجارًا ثم رماه ليدهسه بحذائه. كان ينظر لي
ضاحكًا، أشار إليها لتأتيه.. فظهرت من العدم.. نظر إليها مبتسمًا
ثم دس يده في جيبه ليخرج منه سلسالاً ألبسها إياه، ثم ألقى إليّ
نظرة أخيرة ليسحبها بعيدًا. كنت أنظر إليهما دون حراك في صمت
بلا إحساس.. أنظر إليهما دون أن أرى نفسي ودون أن تراني أمي.

فتحت عيناي في ظلام وسادتي.. أفكر في ذلك الحلم.. سحبت

TW. @Rabe3_elkotob

...ني بصعوبة أتحسس اسمها في السلسال. ولكنني تذكرت تلك الرغبة الملحة التي انتابتني بالأمس. ربما سأستطيع أن أنزع عني كل هذا الالم الذي يرافقني دائمًا وأبدًا. أزحت الوسادة عن وجهي ثم قفزت أركض بحثًا عنه.. لا أجده في أدراجي.. بحثت في كل مكان بالمنزل.. لقد اتخذت القرار وسأفعله.. مجرد التفكير يشعرني بارتياح.. دخلت أبحث في المطبخ.. لا أثر.. ربما سكين حام يفي بالغرض؟ لن أحمل سكينًا بين يديّ الآن حتى لا يتطور الأمر! وقفت في منتصف الصالة.. أريده الآن! التفت أنظر إلى باب غرفة أمي مترددة من البحث فيها، ولكن لم يبقَ لي سواها!

فتحت مقبض الباب ببطء، فظهر صريره مرتفعًا كزئير مبحوح لأسد لحظة استيقاظه.. تسير قدماي بخطوات حذرة وكأنني خائفة من أن أوقظ الأشياء التى اعتادت الصمت.. ضغطت أفتح النور ولكنه مات أيضًا! ضوء خافت دخل من نافذة الغرفة ليخبرني بأنه لا بأس من وجود ضوء انتهت صلاحيته. جلست على سريرها أنظر حولي، ثم فتحت الدرج الأول من الكومود، كدت أغلقه لولا أنني لمحت طرفه فمددت يدي لآخذه. تركت كل شيء خلفي.. باب غرفتها لا يزال مفتوحًا للمرة الأولى منذ وفاتها.. سرت بخطوات ثابتة إلى الحمام.

أرى وجهي أمامي في المرآة.. أحاول استيعاب ما أود فعله الآن. نظرت إلى المقص قبل أن أبدأ. أمعنت النظر في وجهي بالمرآة فابتسمت وكأنني سأزيح عني عبئًا غريبًا.. وقعت عيناي على اسم أمي فغابت ابتسامتي.. أدخلت أصباعي في فتحتي المقص لأحكم مسكته.. ثوانٍ مضت.. ليتوغل بعشوائية في شعري بلا رحمة. كانت الخصلات تتساقط حولي.. أشعر بثقلها وهي تهوي أرضًا، وكلما تساقطت خصلة منه كلما خفّ ألمي. لم يأخذ الأمر سوى

TW. @Rabe3_elkotob

دقائق قليلة. نظرت إلى الأرض التي امتلأت بخصلاتي ثم رفعت قدميّ بحرص حتى لا أدهس ما كان منذ قليل جزءًا مني. انحنيت لألملم خصلات شعري بأسى لأنني تذكرت كم أحببته.. كل من أصدقائي منذ طفولتي.. نظرة الغرباء إعجابًا بطوله المميز.. نظرات ليلى ابنة خالتي.. بصمات حمدي وأنفاسه التي التصقت به.. كل هذا انتهى. لقد قتلته الآن أو.. هكذا أظن!

* * *

حمدت الله لأنني لم أرَ عم مصطفى عند نزولي. ولكن المأساة الكبرى كانت في انتظاري لحظة دخولي أبواب الدنيا. لم أخلع نظارتي الشمسية وكأنني أستتر بها حتى أصل مكتبي.

ـ بيناااااار يا مجنونة!

ظهر صوته من خلفي، وقفت مكاني دون أن ألتفت إليه، فقال:

ـ يخربيتك.. ده أنا شعري بقى أطول منك.. فين شعرك؟

ـ قصيته يا أحمد.. قصيته.

«بيناااااااااااااااااااااار ايه ده؟!».. صوت آخر.

«.. ايه دااااااااااه، ايه يا بنتي اللي عملتيه فـ نفسك ده».. بسمة.

«أستاذة بيـ».. (ينظر لي نظرة تدور حولي ليتأكد) «بيـ.. أستاذة بينار تشربي ايه؟» (تساؤل مستتر).. رجب.

انتهيت من كل من في المكتب، لم يبقَ لي سوى أستاذ يحيى وأدعو الله ألا يُحوّل ذلك إلى تحقيق صحفي. أنظر إلى الساعة المعلقة بترقب استعدادًا لمقابلة حمدي.. لم تتصل بي فتحية مرة أخرى ولم تجب اتصالي صباح اليوم.

الساعة قاربت من الثالثة والنصف ولم يأتِ.. كنت أنظر إليها كل ثلاث دقائق. مريبة أنا اليوم، أعلم ذلك. نظرات كل من حولي ترمقني باستغراب.. حتى بسمة تجنبتني وكأنني كائن آخر ابتلع

TW. @Rabe3_elkotob

زميلتها. لم أدرك سوى اليوم أنه شيء غريب - جدًا - في هذا المجتمع أن تغير شيئًا فيك.

- أستاذة بينار.

- أيوة يا رجب.

- في واحد بره اسمه حمدي بيسأل عليكي.

قفزت من على الكرسي.

- دخله الـ meeting room أنا جاية.

شهيق.. زفير، شهيق.. زفير، شهيق.. زفير.

سحبت حقيبتي والأجندة.. وكل من حولي ينظرون بفضول.. من حمدي هذا ولِمَ قفزت هكذا من موقعي؟

دخلت غرفة الاجتماعات.. اختار الجلوس على كرسي لا يريني سوى ظهره.. اختيار موفق إن أردت قتله.. كان ذلك أفضل من أن أواجهه فور دخولي. وقفت خلفه.. ترددت لثوانٍ قبل أن أغلق الباب. سرت لأسحب كرسيًا من الجهة الأخرى فأصبحت مواجهة له. كان مشبك اليدين. نظر نحوي فور أن رآني، فحاولت أن أتجنب نظراته. وضعت حقيبتي جانبًا.

- ازيك يا حمدي؟

نظر حوله يتفقد أركان غرفة الاجتماعات.. ثم فك تشبيك يديه ليسند ظهره على الكرسي. كانت تعبيرات وجهه توحي بتوتر وربما خوف، وكأنه فأر دخل مصيدة بإرادته.

- نشكر فضله.

- فتحية قالتلك أنا عايزاك فـ ايه؟

- قالتي عايزاني فـ حوار وشغل داوت..

وضعت الأجندة وجهاز التسجيل أمامي.

TW. @Rabe3_elkotob

ـ بص يا حمدي.. أنا جيت عندكم كذا مرة.. وشفت الحياه عاملة ازاي، فـ عشان تفهم أنا عايزة اعمل ايه.. أنا هسألك شوية أسئلة عن حياتك كإنسان عايش فـ الدويقة. بتحب ايه.. بتكره ايه.. وتفتكر ايه السبب إنك عايش فـ المنطقة دي.. وايه رأيك في اللي عايشين بره الـ level بتاعك.. أقصد المستوى الاجتماعي ده.

ـ ايه الفايدة يعني؟

ضغطت على Record في جهاز التسجيل.

ـ مش لازم تعرف الفايدة.

نظرت إلى بعض الأسئلة التي كتبتها.. ثم قررت أن أسأله بعشوائية تليق بحياته:

ـ تفتكر ايه الفرق بين الناس اللي زيي والناس اللي زيك؟

ـ كلنا ولاد حوا وآدم يا آنسة.. الفرق بين اللي معاه قرش واللي معهوش.

ـ انت ليك إيد إن ميبقاش معاك؟

صمت لثوانٍ ثم هرش رأسه مفكرًا.

ـ لا والله مش فاهم!

ـ يعني تفتكر إن حالك كان ممكن يبقي أفضل من كده لو انت بتفكر بـ طريقة تانية؟ متعلم مثلاً.. بتحوش مثلاً. بتشتغل شغلانة تانية؟

ـ العلام فـ الزمن ده مبيعملش القرش.

ـ لكن بيعمل البني آدم يا حمدي..

استطرد وكأنه لم يسمعني:

ـ.. وبعدين هو أنا يوم لما هشتغل شغلانة تانية هبقى ايه؟ أرزقي برضه والأرزاق دي بتاعة ربنا.. ويوم لما هحوش هعمل..

TW. @Rabe3_elkotob

كنت أنظر إليه أحيانًا ولا أسمعه، أقرأ ملامح وجهه وتعبيراته.

ـ حمدي.. انت ليه عملت فيا كده آخر مرة جيت فيها عندكوا؟

تغيرت ملامحه فور سؤالي. نظر إلى جهاز التسجيل فضغطت بيدي لإيقافه.

ـ هو ايه ده؟ ما ما ما.. أي راجل ممكن غصبن عنه يعمل كده فـ مره، وبعدين مانا طلبت من البت فتحية تتأسفلك. أنا مكنتش في وعيي من أصله.

* أي راجل

مفهوم الرجولة في قاموس البعض: كائن يباح له فعل أي شيء.

ـ لا طبعًا مش أي راجل. ومفيش حاجة اسمها مكنتش فـ وعيك، انت فاهم كويس انت عملت ايه؟

قفز من على كرسيه.

ـ بقولك ايه يا آنسة.. لو انتي جايباني ترازي فيا من تحت لتحت، وتثبتيني هنا، معلش يفتح الله، ديك أم ده حوار.

ـ اقعد يا حمدي.. أنا فعلاً عايزة أعرف.. انت يمكن مش واخد بالك من حاجة.. فاكر شعري اللي لفيته على إيدك وانت بتشدني؟

فتحت حقيبتي.. أخرجت منها كيسًا لا يظهر محتواه ورميته له.

ـ مش كان عاجباك قوي.. اتفضل دي هدية مني ليك.

أمسك الكيس باستغراب، فتحه بحذر ينظر إلى ما بداخله.. ثم نظر لي نظرة حائرة كطفل لا يفهم ما يراه.

ساد الصمت لوقت طويل سوى من صوت خبطات قلمي على المنضدة.. كانت نظراته توجه لي باستغراب.. ولكن لا تجرؤ على سؤالي.

TW. @Rabe3_elkotob

«ايه الجنان ده»، قالها بصوت مرتفع قليلاً.

ـ ده مش جنان يا حمدي.. انت مش فاهم انت عملت فيا ايه أنا بفتكر اللي عملته فيا مليون مرة كل يوم. انت مش مستوعب بس أنا مصرة بقى إن أخليك تفهم يعني ايه تتذي حد.. انت واحد بتفهم زيي زيك.

ـ زيي زيك فـ ايه لمؤاخذة.. لا طبعًا أنا مش زيك، انتي واحدة متعلمة ومتنورة وعندك بيتك ماشاء الله كبير وفلوسك وحياتك وشغلك، وأنا معنديـ...

ـ مع إن اللي انت بتقوله ده مالوش علاقة بكلامي.. بس حتى لو انت معندكش حاجة فأنا شايفة إن عندك مراتك وعيالك وصحتك و...

ـ وبس.. وبس يا ستي! محلتيش حاجة تانية. هتقوليلي عندي بيت أديكي شفتيه بـ حبابي عنيكي وبشتغل يوم ومية لا.

أنظر إليه وشيء ما بداخلي كان يصرخ بي ليقول: كاذبة.. أي زوجة وأي أسرة تلك التي أحدثه عنها؟ أهي تلك التي رأيتها مستسلمة لرجل آخر غيره؟ ما هذا الجنون، وكأنني أبرر له في داخلي..

ـ وهو ده مبرر للي حصل؟ عملت فيا كده ليه طيب وأنا كنت جاية أصلاً عشان أساعدكوا؟

أشاح بيده ليصرخ:

ـ ماقلتلك كنت متنيل على عيني.. ايه اللي كل شوية عملت فيكي عملت فيكي! هو أنا لحقت أعملك حاجة! وبعدين تساعدي مييييييين ياماااا.. إياك تكوني نسيتي إنك بتساعدينا عشان شغلك.

ـ شغلي؟! مش عارفة أقولك ايه يا حمدي.. أول ماجيت كنت

TW. @Rabe3_elkotob

عايزة فعلاً أعمل تحقيق عن المنطقة عندكوا.. وربنا رمى فتحية فـ طريقي، بس فعلاً بعد كده كان نفسي أساعدها معرفش ازاي. في حاجة كانت بتخليني أجيلكوا واسأل عليكوا، حاجة أنا معرفش ايه هي.. رغم إن مكنش ينفع أعمل كده.

ـ بقولك ايه يا آنسة عشان نفضها سيرة.. أنا آسف يا ستي، بس هقولك كلمتين يعني لمؤاخذة. كل الرجالة لو جاتلها فرصة هتنط عالحريم فـ الشارع.

استفزتني كلماته.. كدت أصرخ في وجهه:

ـ ما انت عندك مراتك.. أنا مش قادرة أصدق ازاي بتفكر كده؟!

ـ هو ايه ياخويا ده! انتي لمؤاخذة شاربة حاجة يا ست ولا ايه؟

ـ انت ازاي بتبرر لنفسك الغلط باستقتال كده؟ أنا متأكدة إنك فاهم كويس قوي إنك غلطت. فـ ليه البجاحه دي؟ ده الحيواان يا حمدي لما بيعمل حاجه غلط بيجري يتدارى..

ـ الله الله، انتي بتغلطي فيا كمان؟ لا ببرر ولا نيلة.. أنا من أساسه فاكر طشاش اللي حصل.. خلصينا مالحوار بتاعك ده عشان أشوف حالي.

فتح أستاذ يحيى الباب فجأة.. نظر لي ثم إلى حمدي..

ـ خلصي.. عايزك.

أغلق الباب خلفه.. لا أدري لِمَ غيرت نظرة أستاذ يحيى في نبرة حمدي فأصبحت أهدأ.. استطرد:

ـ بصي لو هتتكلم فـ الهتي بتاع أنا عملت ايه وليه وكدهوت.. خليني أقوم أمشي.. ويا ستي كتر خيرك إنك كتي عايزة تساعدينا.

قام من أمامي ممسكًا بيده الكيس الذي أعطيته إياه. ربما ليلقيه

TW. @Rabe3_elkotob

في أقرب قيامة ستقابله. لم أطلب منه البقاء، كان ما حدث بيننا كافٍ ليرحل من أمامي.

* * *

قرعت باب أستاذ يحيى فظهر صوته ليأذن لي بالدخول.

ـ احكيلي.

ـ على ايه يافندم؟

ـ مين اللي كنتي قاعدة معاه ده.. وفين شعرك؟

مسحت بيدي على رأسي:

ـ عادي.. كان مضايقني فـ قصيته..

ـ تمام، مش مشكلتنا.. ها، قولي لي مين الواد اللي كان جوه ده؟

ـ ده اللي قلت لحضرتك عليه إن هعمل معاه حوار.

ـ وده يتعمل معاه حوار عن ايه ده؟

ـ عن.. عن حياته.

ـ عن حياته.. وماله.. أما نشوف هتعمليلنا ايه.. المهم أنا عايز الموضوع اللي طلبته منك الأسبوع اللي فات.

ـ حاضر.

خرجت من مكتب أستاذ يحيى.. فوجدته يقف في آخر الممر ينظر إلى مكاتب المحررين ببلاهة.. يقف بجانبه عم رجب كعسكري لا يريد أن يفلت متهمًا.. نظرت إليه أتساءل لِمَ عاد مرة أخرى، ثم أشرت له أن يتبعني إلى غرفة الاجتماعات، فاطمأن عم رجب وانصرف.

ـ بصي، أنا مستعد أساعدك.. ولو عايزة إنك تكتبكي عندكوا عن أي حاجة فـ المنطقة عندينا، أنا منكن يعني أساعدك.

بدأت أشعر بدموعي تتجمع في عينيّ دون أن أعرف السبب..

TW. @Rabe3_elkotob

برة صوته وذلك الضعف الذي رأيته.. عاد باختياره. وكأنه شخص اخر ليس كالذي كان معي هنا منذ دقائق. وقفت أمامه مكتوفة اليدين أرقب تعبيراته، ويده التي أحكمت قبضتها على الكيس.

ـ متأخذنيش في الكلمة، أنا كنت بستغرب لما بتجيلنا كده، لأن محدش كان بيجلنا مالعالم بتاعكوا ده غير اللي بييجوا مالجمعيات.

* العالم بتاعكوا

لقد أصبحنا نحيا على أرض واحدة وبيننا ألف حاجز وهمي.. من اختلافاتنا الفكرية والطبقية. فأصبح بيننا حدود غير مرئية.. حتى إننا أحيانًا نشعر بأن داخلنا انقسامات أخرى لنصبح في النهاية غرباء حتى عن أنفسنا!

ـ.. وأنا يعني لما نزلت من هنا قعدت أفكر كده في اللي حصل.. مكنتش عارف إصراحة ليه عملتلك كده.. والله انتي حد كويس وزي الفل.. كفاية اللي عملتيه معانا، وأنا معتبرك زي أختي والله مع إني مش قد المقام.. هاتي راسك أبوسها أهي..

اقترب فأخذت خطوة لا إرادية للخلف.

ـ خلاص يا حمدي أنا مش زعلانة منك.

ابتسم ابتسامة صادقة ثم استطرد:

ـ ده ميمنعش يعني إنك لمؤاخذة.. أشارت يده بعلامة الجنون: دماغك رايحة منك شوية.

ضحكت بهدوء على حركة يده..

ـ طيب استناني هنا أجيب التسجيل وأجيلك نكمل..

* * *

TW. @Rabe3_elkotob

TW. @Rabe3_elkotob

أتساءل أحيانًا.. هل هذا العالم أكبر مما ينبغي أم إن عقلي هو الذي لا يتسع لاستيعابه؟ كل تلك الأشياء التي تعيش معنا.. والوجوه التي نراها حولنا، كل تلك الدوائر التي نعيش بداخلها، أمر يثير تساؤلات عديدة. عندما يبحر عقلك خارج المنطقه التي تقطنها.. خارج حدود المدينة ثم الدولة التي تنتمي إليها.. لتحاول استيعاب دول أخرى وعادات أخرى وفكر آخر.. تزداد شهوة المعرفة فتتسع الدوائر، لتخرج من هذا العالم فتبحر في الفضاء.. ترى وقتئذ أن كل تلك الدوائر ما هي إلا جزء من تكوين دائرة واحدة كبرى.. إنها الحياة، Life ..lavic.. الحياة ليست فينا نحن.. الحياة، تعني وجود تلك الدوائر مجتمعة لتشكلنا.. وكلما زادت شهوة المعرفة، كلما أصبح للحياة معنى وقيمة وازداد التفكر فيها..

وصلت قبله إلى Roastry منتظرة قدومه، فقمت بالحجز باسمه.. أقف بين هؤلاء الواقفين في انتظار نداء النادل.. بعد دقيقتين ظهر يعبر الشارع وهو يركض بعد أن ترك سيارته في الجهة الأخرى.. مد يده يصافحني وهو يعتذر عن تأخيره فابتسمت له ابتسامة (ولا يهمك). مرت بضع دقائق..

«مستر/ مالك محمد»

TW. @Rabe3_elkotob

ظهر صوت النادل ليعلن وجود طاولة باسم مالك.

جلس أمامي ينظر في المينيو وأنا أنظر إليه.. لا أدري كيف تحولت علاقتي به في وقت قليل، لتصبح شيئًا أساسيًا من تكوين يومي.. أصبح يعرف كل شيء عني.. يشاركني كل شيء.. يحدثني لساعات ولا أملّ من مكالماته.. ولا يملّ من الاستماع إليّ، لم أثق في إنسان مثلما وثقت به.. يقف بجانبي.. يطمئنني كلما انجرفت في حالات خوفي.. فأصبح مجرد سماع صوته أمر مريح. جميلة تلك الصدف التي لا نخطط لها.. تحدث لنا في لحظات سيئة لتصبح أفضل ما حدث لنا.

ـ أخبار مشروعك ايه؟

ضحكت على كلماته..

ـ يااااه.. خليته مشروع مرة واحدة؟ لسه موصلتش لحاجة، بحاول أعرض فكرتي على كذا جمعية. بجد مش فاهمة ازاي لما تحب تعمل حاجة تفيد الناس، تلاقي كل حاجة بتقف قدامك، متخيل؟

ضحك وهو يومئ برأسه.

ـ متخيل طبعًا. الدنيا هنا فـ مصر كده يا بينار، مش حاجة جديدة يعني. انتي حددتي مقر المكتب هيكون فين طيب؟

ـ ف قلبهم هناك ☺.

نظر لي نظرة غريبة لمعت فيها عيناه..

ـ انتي عاجباني قوي.. عارفة.. عاجباني دماغك..

* عاجباني

هل فكرت يومًا أيهما أفضل.. أن يعجب من حولك بمظهرك أم بفكرك.. هل فكرت يومًا ما الذي يعجبك في نفسك؟ وجهك الذي

TW. @Rabe3_elkotob

تراه بالمرآة أم الذي تراه منعكسًا في أعين الآخرين..

ابتسمت.. فاستطرد:

ـ حلو إنك عايزة تساعدي الناس.. بس خدي بالك برضه الموضوع مش سهل خالص. في كتير هيقللوا من اللي بتعمليه. يعني ايه تعملي مكان يعلمهم ازاي يعيشوا.. وازاي يفكروا؟ هما نفسهم هيبقوا ضدك على فكرة.

ـ مانا بقولك أهو.. أنا عرضت فكرتي على كذا جمعية عشان اللي بتقوله ده.. وبالتالي هخلص شوية من فكرة إن الناس تقلل أو لا، وكأنه نشاط من ضمن أنشطة كتير بتتعمل.

ـ بس كده انتي..

قاطعته:

ـ مالك.. أنا فاهمة قصدك، بس.. الناس دي مش مشكلتها بس إنها تاكل وتشرب، حتى لو ده اللي باين ليهم ولينا.. طيب أقولك حاجة بس متريقش عليا؟

ـ ايه؟

ـ لما كنت هناك أول امبارح لاحظت حاجة جديدة خالص بقى.. الناس دي لازم تتعلم يعني ايه نظافة!

ـ انتي بتهرجي شكلك كده!

هززت رأسي نفيًا: لا مش بهرج يا مالك، مقشة بـ 15 جنيه يا سيدي يلموا بس الزبالة اللي عايشين وسطيها، بالتالي في أمراض أصلاً كتير ممكن يبعدوا عنها. في حاجات مهمة لازم يفهموها حتى لو عايشين فـ عشش! الموضوع مش أكل وشرب بس!

TW. @Rabe3_elkotob

قطع النادل حديثنا ليضع الأكل..

ـ انتي مبتخافيش على نفسك وانتي بتعملي حاجة زي كده؟ مبتخافيش حد يئذيكي؟ الأماكن والعشوائيات دي أصلها ملغمة يا بينار، مليانة مجرمين وناس بايعة الدنيا.

ذكرتني كلماته بأيمن، ولكن أسلوبه كان أفضل في الوصف بمراحل..

ـ بص، في الأول كنت بخاف.. دلوقتي حاسه إن خلاص.. في حاجة لازم أعملها للناس دي.. ضحكت بهدوء ثم استطردت:

ـ .. أنا حاسه إن نصهم بقوا صحابي تقريبًا.. بسمع مشاكلهم وأوجههم.. أحاول أخليهم يحاولوا يبقوا أفضل.. تخيل واحدة جارة فتحية لقيتها جاية بتحكيلي على جوزها وإنه اتمسك ظلم فـ قضية مخدرات واتحكم عليه بـ 15 سنة وهو أصلاً عيان.. هي شايفة إن الحكومة مفترية لأن جوزها مكانش قدامه حاجة تانية يعملها وقال لأ.. وبتناقشني وهي شايفة إن كل الناس افترت على جوزها.. وواقفة تدعي من قلبها لأن جوزها مظلوم.. مش قادرة أقولك أنا كنت بسمعها ومتنحة.. إحساس مختلف جدًا.. حياتهم ومشاكلهم.. كل حاجة مختلفة. وبعدين أنا لما هعمل حاجة كبيرة فعلاً، أكيد مش هعمل ده لوحدي، ممكن قدام شوية أعملهم ندوات.. اممممم اجيبلهم دكاترة، وفي ناس كتير حابه تساعد..

ـ ايه؟ هتجيبيلهم دكاترة نفسيين؟

ـ آه، ليه لأ؟

ـ بتهرجي انتي صح؟ انتي عايزة تأقليميهم يعيشوا فـ واقع هما رافضينه؟ والله أنا خايف عليكي.

TW. @Rabe3_elkotob

ـ لا لا هفهمك..

مكثت في صمت لثوانٍ أحاول أن أصيغ كلمات تعبر عما بداخلي..

ـ بص يا مالك.. أنا دلوقتي داخلة تقريبًا على شهر شغالة على موضوع المكتب الاجتماعي ده، أو whatever زي ما يسموه. أنا رحت المكان ده بالصدفة.. عرفت فيه ناس بالصدفة برضه.. حصلت لي حاجات غريبة بالصدفة.. بس عارف المشكلة فين وايه اللي خلاني أتحرك عشان أعمل حاجة؟ انت شايف إن مشكلتهم أكل وشرب وفلوس.. أنا معاك فـ ده، ولو سألت كل اللي قاعدين حوالينا دول هيقولولك كده، بس أنا اكتشفت حاجة تانية مهمة برضه..

اقتربت من المنضدة واخفضت صوتي:

ـ كل اللي حوالينا دول well... مش كلهم، بس أغلبيتهم بيبقوا شايفين إن الناس دي غلابة آه بس.. صغار قوي! كأنهم مش عايشين معانا فـ الدنيا أصلاً! هسألك سؤال.. تفتكر لو اديت واحد غلبان فلوس كتيير قوي، نظرته وكرهه اللي جواه تجاهك هيتغير؟! مهما كبر هيفضل شايل منك.. عشان كده في حاجات فـ الدنيا دي عايزة أفهمهاله أهم من الفلوس.

ـ أيوة.. هقولك ليه.. هما صغار قوي فـ نظر الناس وهيفضلوا كده لإن الصغير فـ أي بلد فـ الدنيا ممكن يكبر إلا هنا.. بيصغر أكتر لحد ما يتداس عليه. واللي بيتداس عليه مهما كبر عمره ما هينسى فـ يوم إنه اتداس عليه.

ـ انت شايف كده.. صح؟ عارف بقى الناس اللي فـ العشوائيات دي أصلهم ايه؟ حاجة فيهم من بدايتهم أصلاً.. من أول ما بتفتح

TW. @Rabe3_elkotob

عينيهم.. الدنيا بتضلم! بيتولدوا كبار فـ بيشوفونا احنا اللي أمر^ صغار قويييي فـ عينيهم.. عشان كده بيستكتروا علينا كل حاجة نملكها مش عندهم!! متجيش تلوم عليهم لأن انت وأنا لينا إيد إنهم يبقوا كده، احنا بنعيش حياتنا وهما بيتفرجوا.. كل ما بنتعام جهلهم بيزيد.. كل ما بنتجنبهم كرههم بيكبر تجاهنا، يمكن ساعات بيتعمدوا يضيقونا عشان نفتكر إنهم موجودين حوالينا لأننا للأسف بننساهم ومبنفتكرش بس غير إنهم مالهومش مكان وسطينا.. حاجة طلعت عشوائية... زي حياتهم.

* * *

ما إن اقتربت من العمارة حتى لمحت سيارة أيمن في انتظاري.. بدأ نبضي في التسارع بلا إرادة مني، تسحبت يدي لأتحسسه. خرجت من السيارة أتصنع أنني لم أره، أسير نحو العمارة بثقة مفتعلة، فانتظاره لي أمر مريب.. أسرعت خطواتي فظهر صوته مصاحبًا بإمساكه لمعصمي بقوة أشعرتني بالألم.

ـ مبترديش عليا ليه يا بينار؟

نظرت إلى يده التي أحكمت قبضتها.. ثم نظرت حولي أحاول أن أرى من يتابع هذا المشهد. أنظر إلى موقع عم مصطفى أمام مدخل العمارة، على كرسيه، خلف السيارات، بجانبها وربما تحتها! أعلم جيدًا أنه يعشق مراقبتي! كان الشارع هادئًا ليس به صوت سوى هدير السيارات الذي ظهر خافتًا لابتعاد الشارع الرئيسي ومواء قطة لطمأنتي.

ـ بقولككككككككك مبترديش علياااا ليه يا بينااااااااااااااار؟

أخافني صوته المرتفع، سؤال لا أحمل له إجابة محددة.. التقينا منذ فترة لقاء أصابني بحالة من الغثيان والضيق. لن أنسى نظراته

TW. @Rabe3_elkotob

لي ولومه لأنني قصصت شعري وكأنني ارتكبت ذنبًا لن يُغفر.. وكأنني قمت بالعبث في إحدى ممتلكاته التي يمتلكها بلا أي أدلة. أرض مهملة وضع عليها اسمه ولا يحق لأحد التصرف بها! كنت أجلس أمامه أسمع صوت نبضي، أنظر إليه وأنا على ثقة تامة أن نظرتي إليه آنذاك تقول الكثير، ولكنني كنت على ثقة أيضًا أنه لا يفهم ما تقوله نظراتي، ربما كان أكثر حدة واستهزاءً في أيام أخرى، ولكنني كنت أرى كل تصرفاته في ذلك اليوم بعدسة مكبرة.. لم يفكر فيما أشعر، فقط هو وما يريده وما يحبه.. كتلة من الأحاسيس كانت بداخلي ولكنني قررت أن أصاب بمرض الجمود فأصبحت أجلس أمامه كقطعة ثلج تغلف جمرة تحترق.. أدركت وقتها مدى استسلامي له. استسلامي الذي تساءلت لآلاف المرات عن سببه دون إجابة.. نحن هكذا.. نعشق البقاء مع أشخاص يحطمون فينا أكثر مما يبنون، ورغم ذلك نتشبث بهم وكأننا صغار نخشى مواجهة الحياة بعيدًا عنهم. ثم نستيقظ لنقرر ألا نبقى معهم.. نقرر عن اقتناع تام.. يرهقنا هذا التشتت. وهذا ما اقتنعت به..

End of discussin.. الأمر بسيط!

ولكنني أقف الآن أمامه.. أشعر بخوف منه يمنعني من النطق.. كنت أرى اتصاله يضيء هاتفي لأيام دون أن أرد، والآن أجده أمامي يسألني بحدة وينتظر إجابتي..

ـ كنت مشغولة يا أيمن.

ـ مشغولة.. لا واللهي! وجاية منين دلوقتي يا ست المشغولة؟!

ـ هو تحقيق يا أيمن؟ في ايه؟

ـ في ايه؟ أنا أصلاً إنسان وسخ إني قلقت عليكي وبسأل عليكي..

TW. @Rabe3_elkotob

أردت أن أقول أي شيء ولكنه أمسك يدي بعنف مرة أخرى.

ـ انتي عايزة تفضلي كده عايشة مع نفسك.. تعملي اللي انتي عايزاه.. تصيعي.. أنا ماليش حكم عليكي يا بنت الناس وحلال على اللي انتي معاه دلوقتي.

ـ اللـ..! اللي أنا ايه.. ايه اللي انت بتقوله ده؟!

أشار لي بيده دون أن يصافحني:

ـ سلام يا.. بينار هانم.

سار بخطوات سريعة تجاه سيارته. وقفت أنظر اليه، أحمل كل مشاعر الكون بداخلي إلا السعادة.. ربما لن أراه مرة أخرى، ورغم قناعتي أن هذا هو الأفضل إلا أنني أكره تلك الفكرة. نظراته لي ونبرة صوته أرسلت لي تلك الرسالة.. سأختفي من حياتك يا.. بينار. تمامًا كما نطقها.. سكت برهة قبل أن ينطق اسمي ليحمل الفراغ السابق لاسمي كل الاحتمالات إلى الأبد.

* * *

لم أنم سوى بضع ساعات.. أجلس على سريري أحتضن اسم أمي بيدي تارة وأتحسس نبضي تارة أخرى.. أفكر في حياتي بلا أيمن. كلماته لم تفارقني ومشهده وهو يتركني مبتعدًا.. «اللي انتي معاه دلوقتي».. «اللي انتي معاه دلوقتي».. «اللي انتي معاه دلوقتي»، ربما كان يعني بها مالك؟ ولكنني لست على علاقة بمالك! أسأل نفسي وكأنني لا أعلم.. وكأنني أخرج من نصف حالة لأدخل في أخرى بجدارة!

.. وأنا قلبي متحير ما بين السيدة وسيدنا الحسين..

قفزت من على سريري.. وقفت أنظر من النافذة في تردد.

TW. @Rabe3_elkotob

تذكرت ما حدث بيني وبين هذا الرجل.. يزعجني صوت أغانيه المتكررة أحيانًا بل دائمًا.. ولكنني أصبحت أنزعج بشكل أكبر إذا مرّ يوم دون أن أسمعها!

مرت دقائق حتى خرجت من مدخل العمارة.. عبرت الشارع أسير نحوه.. اقتربت منه بوجه يبتسم بقلق خوفًا من أن يتحدث بتلك الحدة التي حدثني بها من قبل..

ـ عايزة أسألك على حاجة.. ممكن؟

ـ اتفضلي.

نظرت إلى محتوى محله الصغير.. كانت عيناي تبحث عن الصندوق الذي أوقعته عند زيارتي له.. وكأنها المرة الأولى التي أرى فيها كل شيء عن قرب! نظرت إلى نافذة غرفتي.. ليست المسافة بعيدة ولكن فضولي لم يقترب منه بالقدر الكافي طوال سنوات. قطع خشبية لا أستطيع أن أحدد فيم تستخدم.. لوح قديمة مهترئة.. تمثال لـ.. من هذا؟ ربما سعد زغلول؟ لا أعرف.. كتب متراصة غطتها الأتربة.. فاز نحاسية.. شمعدان و.. جرامافون! يعمل؟! رأيت مصدر الصوت أخيرًا! جرامافون في الألفية الحديثة! يستحق هذا الرجل الدخول في موسوعة تاريخية وعمل صفحة باسمه على الـ فيس بوك.. اسميها جرامافون عم...

ـ معلش هو.. اسمك ايه؟

أجاب دون أن ينظر لي:

ـ حشمت.

(جرامافون عم حشمت).. اسمه مختلف تمامًا كمحله..

ـ كنت عايزة أسألك هو المحل بيجيب الحاجات دي منين ومين

TW. @Rabe3_elkotob

بيشتريها يا.. كبر سنه جعلني أتردد في نطق اسمه بلا ألقاب، هل أقول له: مستر حشمت/ أستاذ حشمت؟! كيف لم أفكر يومًا في تلك التفاصيل البسيطة؟ آه، أوكيه تذكرت: عم حشمت..

ـ مفيش.. اللي بيقى عنده حاجات قديمة وأنتيكات بيجيبها.. الفلل والقصور القديمة لما بييجوا يهدوها، بيصفوا التحف والحاجات اللي فيها، فباخدها أنا والتجار اللي زيي..

إجابة شاملة.. نظرت مرة أخرى نظرة متفحصة في محتوى محله..

ـ ببلاش؟

أجابني بوجه ضاحك:

ـ هو في حد بيدي حاجة ببلاش فـ الزمن ده؟! لا طبعًا بشتري منهم وأبيع.. والقديم له زباينه.

نظرت مرة ثالثة إلى كل شيء.. محله صغير للغاية ولكنه مليء بأشياء كثيرة.. مكثت أنظر باندهاش.. وكأن وراء كل شيء قصة.. برواز خشبي به نقوش كورود صغيرة.. سماعة تليفون حديدية.. تعود لمن هذه الأشياء؟! صناديق بداخلها أشياء غريبة.. إلى أي عصر ينتمي محل هذا الرجل؟ تذكرت مرآته القديمة.

ـ لسه برضه مش عايز تبيعلي المراية؟

كانت عيناه تنظر بلا هدف على الشارع أمامه، ثم نظر لي بوجه بشوش:

ـ انتي ليه عايزة تشتريها؟

فكرت لثوانٍ في سؤاله.

ـ عشان.. عشان عجبتني.

ـ مش كفاية.. أهو عشان ردك ده في حاجات عندي مبيبعهاش..

TW. @Rabe3_elkotob

بستخسرها في البيع، يجيلي زبون زي حضرتك كده.. يبص بصتين ويقول أصل عجبتني.. مبحسش فـ صوته إنه حاسس بقيمة الحاجة اللي فـ ايديه وحابيها.. الناس زمان كانت بتقدر الحاجة اللي معاها وتحس بقيمتها.. عشان كده ماتوا وحاجتهم لسه عايشة أهي.. أهو احنا بقى في الزمن الأغبر اللي عايشينه ده.. مبقاش في قيمة لأي حاجة ولا حتى لينا.. لما هنموت.. مش هيتبقى من بعدينا حاجة..

أقف أمامه.. أفكر فيما يقول.. يتحدث بتروٍ.. يضع مسافات بين كلماته تجعل وقعها مختلفًا..

نظر لي قليلاً.. ثم قام من على كرسيه.. دخل المحل.. أسمع يده تعبث بداخل شيء ما ولا أعرف عما يبحث.. بعد لحظات خرج بالمرآة ومد يده يعطيني إياها..

ـ لازم تحسي بقيمة الحاجة، أنا فاكر صوتك فـ ودني اللي هياكلها الدوود دي المرة اللي فاتت لما قلتلك دي مراية الملكة فريدة، وانتي بتسأليني أصلية ولا لأ.. مش هو ده بس السبب اللي يخليكي تحبيها، لازم يكون ليها قيمة عندك.. وهو ايه اللي بقى موجود أصلي حواليكي عشان تسألي السؤال ده؟ لما عمك حشمت يقول المراية دي أصلية تبقى أصلية.

سعادة انتابتني ما إن أعطاني إياها.. أمسكتها في يدي أنظر إلى وجهي بها..

ـ هتديهالي بكام يا عم حشمت؟

ضحك ضحكة خفيفة..

ـ خديها.. قلتلك دي مش للبيع.

لم أصدق لثوانٍ ما فعله هذا الرجل معي الآن. ليس لأنه أعطاني

TW. @Rabe3_elkotob

المرآة ولكنه جعلني أرى فيها معنى آخر عن قيمة الحياة.. جلس على كرسيه مرة أخرى.. تركته لأعود ومرآة فريدة في يدي.. كان قد استرعى انتباه عم مصطفى حديثي المطول مع صاحب المحل، فوقف ينظر ببلاهة.. يحاول معرفة الحوار الدائر بيننا..

ـ في حاجة يا آنسة بانار؟

ـ لا مافيش، كنت بسأل عم حشمت على حاجة.

ـ حشمت؟! نظر لي ثم إلى المحل.. صعدت السلم تركض ضحكاتي أمامي على عم مصطفى ونظرة البلاهة والتعجب التي أصابته.. مسكين عم مصطفى.

* * *

منذ وقت طويل لم أتعلق بشيء اقتنيته مثل تعلقي بتلك المرآة.. مليئة بالخدوش ولكنني أحب وجهي فيها.. كلما نظرت بها ابتسمت.. أنظر على اسم (فريدة) المنقوش بها وأتساءل.. هل حقًا كانت تلك المرآة ملك لملكة وهي بيدي الآن؟ ترى كيف كانت ترى وجهها؟ وكم وجهًا شاهد نفسه فيها حتى أصبحت ملكًا لي! لم يخطئ عم حشمت عندما حدثني عن الأشياء القيمة التي نمتلكها دون أن ندري. اكتشفت أن هذا الرجل يحمل البداية التي كنت أبحث عنها لحوار حمدي.. جلست على مكتبي أحاول أن أجمع كل المعلومات عن محلات الأنتيكا.. مقالات عديدة.. كم أنت مشهور يا عم حشمت! أسندت ظهري على الكرسي مغمضة عينيّ، أحاول أن أصيغ البداية.. ينتظر أستاذ يحيى حواري الغامض ولا يدرك إلى أي شيء أخذتني الحياة بعد كلماته التي طالبني فيها بتحقيق عن مشاكل المجتمع ومعاناته. قادني بحثي لاكتشاف معاناتي ومن ثم.. مرآة فريدة..

TW. @Rabe3_elkotob

ازداد يقيني في تأكد الصلة بعد أن ظهرت لي في نتائج البحث أخبار متفرقة عن أشياء ثمينة وُجدت لدى بائعي الأنتيكا بمحض الصدفة.. كتاب نادر.. تحف أثرية.. إلخ! حمدي ومن مثله يمثلون لي شيئًا ثمينًا ولكنه مهمل.. منسي.. أنا على يقين أن أحدًا من ساكني العشوائيات كان له أن يصبح عالمًا لولا تلك الظروف التي أحاطت به منا..

فتحت صفحة جديدة في الكمبيوتر أمامي وبدأت أخط بعض الكلمات التي كانت تدور في ذهني..

«قطع أنتيكا من المجتمع».. هكذا أريد أن تكون المقدمة.. كمّ الأشياء الثمينة التي تنازلنا عنها بإرادتنا فاكتشفها غيرنا مصادفة.. إنه حمدي وجيرانه وكل من يسكن تلك المناطق العشوائية.. إنه الفائض الذي ربما لم نعد نحتاج إليه.. لا نشعر بقيمته.. وربما نتدارك أهميته بعد الاستغناء عنه.. ليست المشكلة في سياسة حكومات تجاه فقرائها.. نحن من نحكم ونعلق أخطاءنا على المنظومات وما هم إلا بشر منا.. أصابتنا السلبية بسرطان اللامبالاة وجمود الإحساس تجاه هؤلاء.. تمعن في وجوه من حولك من الفقراء.. ربما يعيشون بداخل مساكن عشوائية، ولكن.. نحن أيضًا مثلهم، بل أسوأ حظًا. فالعشوائية هي التي تسكننا! كلنا نعيش في هذا العالم فقراء وأغنياء وحالات وسطى بين هذا وذاك.. لم ولن نستطيع أن نوحد العالم في إحدى تلك الحالات، ولكن باستطاعتنا أن نخلق حالة أخرى تضم كل شيء.. افقد ما تريد.. أخطئ إن أردت.. ستجازى.. افعل ما شئت ولكن بجانب هذا أو ذاك فلتتذكر أنك إنسان.. إن لم تستطع أن تغير حال من حولك إلى الأفضل، فلا تساعد في أن يصبح حالهم أكثر سوءًا.

* * *

TW. @Rabe3_elkotob

TW. @Rabe3_elkotob

سأبحث خلف كل شيء حتى أصل إلى ما أريد الوصول إليه.. لن أتوقف عند أنصاف الحالات.. سأظل أحلم حتى تتبلور أحلامي إلى واقع أحبه حتى وإن لم يتحقق.. سأظل خلفه دائمًا وأبدًا.. سأتجاهل كل شيء لأنني أصبحت أعرف أن السعادة لا تعني بالضرورة الوصول إلى ما أريد.. سعادتي الكبرى هي في طريقي إلى ما أريد حتى وإن لم أصل.

زغروطة مصرية أصيلة، خرجت من أعماق والدة شيرين فور أن ألبس حسام خاتم الخطبة لابنتها.. كانت سعيدة بشكل لا أستطيع وصفه .. أما أنا.. فكنت أحمل مشاعر ما بين السعادة، الاستغراب، التمني و.. الحزن أحيانًا! شيري.. بوابتي الأولى والأخيرة على الحياة بلا قواعد.. ها هي الآن تستسلم وبكامل قواها العقلية، لحياة أخرى لا أستطيع التنبؤ بما سيحدث فيها.. رغم كل ما كانت تحيا فيه وكل التناقضات التي كانت تعيش بداخلها ويشاركها حسام بعضًا منها، وربما أغلبها.. إلا أنه قرر بين يوم وليلة أن يطلب يدها.. لم ترفضه بدورها.. تحولت في لحظة فارقة إلى ملاك خجول.. ترتدي

TW. @Rabe3_elkotob

فستانًا كريمي اللون قصيرًا، أكمامه دانتيل تظهر لمعة بشرتها منه، مريح للعين.. بسيط، ليس به أي تفاصيل تُذكر ولكنه أنيق للغاية.. رفعت جانبي شعرها للخلف فظهر وجهها البرونزي مضيئًا، خاصة مع الحلق الذي انسدلت منه حبات لؤلؤ رائعة.. كل شيء فيها مختلف.. ماكياجها الصارخ الذي اعتادته، ليس له وجود.. لم تضع سوى لمسة خفيفة.. اختلفت ابتسامتها وملامح وجهها.. أصبح به نقاء لا يوصف.. تساءلت للحظات.. لم نخفي أجمل ما فينا بشيء أسوأ.. نبدل ابتساماتنا وملامحنا.. نبدل كل شيء فينا لما هو أسوأ باختيار منا!

كانت خطبة أسرية لم يحضر بها سوى المقربون لأسرتيهما، أنا الوحيدة من خارج الأسرتين.. وربما أنا أيضًا ـ الوحيدة التي شهدت كل تحولات شيرين.. وقفت في زاوية غرفة الضيوف أتابع سعادة شيرين وحسام وابتسامات الحضور.. فاقترب والد شيرين مني، يربت على كتفي في حنو..

ـ عقبال ما نفرح بيكي يا بنوتة..

ـ ابتسمت له.. إن شاء الله يا أونكل.

لمحت شيرين حديث والدها معي، فقامت من جلستها المستكينة بجانب حسام ثم سحبتني من يدي لتحتضنني..

ـ مبسوطة إنك جيتي.

ـ انتي بتستهبلي؟ أومال مكنتش هاجي يعني، ألف مبروك يا شيري.. احتضنتني مرة أخرى ثم عادت لتجلس بجانب حسام الذي ابتسم لي وأشار بيده لتحيتي.

كنا قد ابتعدنا مؤخرًا ولم يعد كلانا يرى الآخر. لا تعرف عني شيئًا وعن كل ما مررت به مؤخرًا.. لم أخبرها عن موافقة الجمعية

TW. @Rabe3_elkotob

على فكرة المكتب الاجتماعي.. وهو الحدث الأعظم في هذه الفترة من حياتي.. هي حتى لا تعرف تطورات ما حدث مع حمدي وقصتي معه.. فقط التحقيق ولا شيء آخر.. قلت اتصالاتنا حتى كادت تنعدم.. لتفاجئني في مكالمة أخيرة بأمر خطبتها.. اعتقدت أن أقصى ما يُسعد شيرين هو سهرة تختتمها بسيجارتها الملفوفة.. ولكنني أخطأت.. لطالما كانت تدّعي أن حسام لا يعني لها شيئًا، ولطالما حاولت أن تبتعد عنه بعلاقات أخرى وهمية.. صوتها في أذني وغمزة عينها وهي تقول (لما تحبي تعملي حاجة غلط.. اعمليها صح)، اعتادت أن تقول لي ذلك لنصحي.. نصيحة غريبة.. لا أعلم حقًا لِمَ تذكرتها الآن. كنت لا أزال في مكاني أنظر إليها وإلى حسام، لم أتوقع يومًا أن تنتهي علاقتهما بتلك النهاية، اعتقدت أن من يتقاسمون معنا أخطاءنا سيتركوننا في وقت ما لا نعلمه.. إلا أنه كان من هؤلاء القليلين الذين اختاروا أن يكملوا حتى النهاية، لتبدأ معها.. حياة أخرى.

* * *

نزلت في اليوم التالي كي أقابل حمدي الذي وقف ينتظرني أمام بوابة سيتي ستارز.. حالته الرثة أقلقتني أن يرفض أحد الحراس دخوله.. سار بجانبي ينظر بذهول إلى كل من يمر بجانبنا وإلى المحلات المترامية في كل مكان.. لايزال بداخلي ذلك الإحساس الغريب، وكأنني موجودة في هذه الدنيا لا لشيء ولكن لكي أحدث تغييرًا له ولأسرته.. ليس لدي ثقة ولو لواحد في المائة بأنه لن يكرر ما فعله معي إن سنحت له الفرصة مرة أخرى، ولكنني ـ أيضًا ـ ليس لدي ثقة في كل من حولي إن سنحت لهم تلك الفرصة.. لذا أردت أن أقف أمام خوفي منه، ووقوفي هذا أصابه ذات يوم

TW. @Rabe3_elkotob

بحالة من الحيرة أظهرت إنسانية تختبئ خلف عشوائيته وجهله.. أشفقت عليه للحظات لأنه لا يعرف سر فتحية، رغم أنني عندما أناقشه في أمور الحياة يحدثني وكأنه يعرف كل شيء عن أي شيء.. دخلت massimu Dutti.. سار يتبعني، ينظر ببلاهة إلى الملابس، أدخلته غرفة القياس سريعًا حتى لا يركز بائعو المحل في هيئته.. بدأت أبحث عن شيء يليق به حتى وقع اختياري على بدلة slim fit سوداء.. مددت يدي أناوله البدلة فأخرج رأسه بصوت مرتفع:

- بقولك ايه يا أستاذة.. هي بكام دي لمؤاخذة؟

- وطيبيبي صوتك..مش وقته تسأل.. وانجز يا حمدي.. بسرعة.

مرت لحظات وأنا أنظر على الملابس والبدل الأخرى، فإذا به يخرج بهيئته الجديدة.. غيرته تمامًا.. سار بثقة واضعًا يده في جيبه.. وجهه سعيد للغاية وذقنه الخفيفة أصبح لها شكل آخر مع البدلة.. وقفت أنظر إليه في ذهول.. أعجبني ذلك التغيير الذي أحدثته فيه.. قطع قماش تخفي جذورنا، ملبس قد يضفي عليك رونقًا وملبس آخر قد يلقي بك إلى أسفل درجات نظرة الآخرين لك.. كل شيء يختبئ خلف ذلك مهما كان أصلك.. ابتسمت وأنا أنظر إليه من أعلى رأسه وحتى قدميه.. ولكن اختفت ابتسامتي بعد أن لمحت أصابع قدميه المتسخة يحركها من فتحة شبشبه.. سحبت عيني سريعًا لأنظر إليه وقد فهم بدوره ضرورة أن أشتري له حذاء أيضًا..

* * *

في طريق عودتي توقفت لدقائق في ازدحام الشارع.. أدرت رأسي لأجد طفلاً لم يتعدَ عمره خمس سنوات قذفت به السماء أو ربما ضاقت به الأرض.. جاء من جهة نافذة حمدي فأشاح بيده ليشير إليه بالابتعاد!

TW. @Rabe3_elkotob

ـ امشي يله من هنا..

تعجبت من حمدي الذي أشاح بيده في وجه هذا الصغير، رغم أنه لا يختلف كثيرًا عنه.. فاتجه بسرعة إلى نافذتي.. يحتضن بين يده علبتي مناديل ويضم أنامل الأخرى ليشير بها إلى فمه علامة الجوع. نظرت إلى وجهه من خلف الزجاج وقد غلفته عوادم البشر والتصقت به آثار أحذيتهم على مهده.. ليس الغريب بأن أراه.. هناك الكثيرون في كل مكان.. ربما حمدي الذي يجلس بجانبي الآن كان مثله يومًا ما.. الغريب هذه المرة بأنني نظرت لعينيه مباشرة ثم ابتسمت له.. فتسمرت يده بلوجو الجوع ليبادرني بابتسامة ضوئية اختبأت خلف غيوم مصيره.

ـ معاك جنيه يا حمدي؟

ـ هاااه؟

ـ بقوللكك معاك جنيه؟

ـ استني أشوف.. بدأ يبحث في جيوبه بعشوائية حتى أخرج لي جنيهات معدنية.

ـ ايه كل الـ coins دي.. ده انت غني بقى.. يلا.. اديله جنيه..

نظر لي حمدي لثوانٍ ثم أشار إلى الطفل ليأتيه.. ربما لن يفعل هذا الجنيه شيئًا معه.. ولكنني أردت أن أجعل حمدي ينظر إلى من هم أقل منه.. حتى وإن تشابه معهم.. أخذ الطفل الجنيه من حمدي.. بدأت أتحرك ببطء مبتعدة عنه وأنا أراقبه في المرآة.. كان لا يزال واقفًا وسط السيارات يتابعني.. أدركت أن ماقدمته له بدوري من ابتسامة صادقة هي التي جعلته يتابعني حتى اختفيت بعيدًا عنه.. أصبح لكل شيء حولي معنى مختلفًا.. أرى في كل ما يحدث وكل

TW. @Rabe3_elkotob

من أقابل معنىً آخر لم أفهمه من قبل.. في الشهور القليلة الماضية قابلت أناسًا لمرة واحدة كان لهم تأثير أكبر من هؤلاء الذين اعتدت وجودهم لسنوات في حياتي.. أي كذبة تلك التي تقول إن تأثير من حولك بك يتوقف على عمق علاقتك بهم؟! حتى من أصبحوا في حياتنا هم الأهم كانوا ذات يوم.. مقابلة أولى.. ونحن من اخترنا تكرارها أو.. الاكتفاء بها.

* * *

مرّ الوقت لنعود ببدلته إلى الدويقة.. ولت تلك الأيام التي كنت أشعر فيها بالخوف من سيري بجانبه.. إنه ذلك الرجل الذي كان يومًا ولازال سبب حالة جسي النبض ألف مرة في اليوم.. دخل ليرتدي بدلته.. ووقفت أحمل الكاميرا في يدي، ألاعب نبيلة وأتحدث مع فتحية عن المكتب الاجتماعي ورغبتي في خلق وظيفة لحمدي من خلاله. فطلّ علينا..

شهقت فتحية..

ـ النبي حارسك وصاينك.. النبيييي حارسك وصاينك.. ايه ده قمر ياخويا.. والنبي حاسه إني عايزة أزغرط.

أضحكتني كلماتها وتعابير وجهها السعيدة.

ـ اسكتي خالص يا فتحية.. زغرطي لما أمشي.

كان حقًا وسيمًا للغاية.. ابتسم بزهو ليعدل الياقة بيده وهو ينظر لي، ركضت ابنته نحوه تمسك في قدمه بعفوية.. فوبختها فتحية:

ـ يا بت ابعدي.. هتوسخي لبس أبوكي.. يخربيت مطنك..

ـ أنا جاهز يا أستاذة..

ـ تمام هنصور كذا صورة.. هصورك جوه وبعدين هتقعد على مدخل الباب هنا كده.

TW. @Rabe3_elkotob

ـ البدلة كده تتهري..

ـ يا سيدي إن شاء الله تجيب غيرها.

جلس حمدي وبدأت تصويره.. منحته تلك البدلة ملامح أخرى وثقة بالنفس غريبة.

* * *

حاول مالك الوصول لي منذ عدة أيام، ولكنني لم أكن على استعداد نفسي أو ذهني لمقابلته.. فور أن انهيت الحوار مع حمدي بدأت أشعر أنني على استعداد تام بأن أقابل العالم.

عدت سريعًا إلى المنزل كي أبدل ملابسي قبل أن يمر بي، ولكنني ركضت نحو البيانو.. انحنيت بوجهي أقبل مفاتيحه.. ازداد نبضي قليلاً، كدت أن أتحسسه بأناملي.. إلا أنني سحبت يدي مبتعدة لأعزف.. أغمضت عينيّ لتظهر أمي.. لم أرَ أي لون.. لم أرَ سواها.. بدأت أبكي لأنني أعزف لحنًا لطالما أحبته.. لم تخطئ لأنها أحبت ذلك الرجل.. أنا من أخطأت لأنني حملت للحظات مشاعر سلبية تجاهها.. لم يحبني أحد مثلها.. ازداد بكائي لأنني أدركت أن أبي أيضًا لم يخطئ.. خطؤه فقط في أنه لم يحاول أن يراني.. للحظات شعرت بأنني أنا الميتة وهم الأحياء بداخلي..

اتصل مالك يعلمني بوصوله، فكفكفت دموعي سريعًا لأخرج من المنزل..

بعد عدة أيام قررت الذهاب مرة أخرى إلى قسم منشية ناصر، دخلت أبحث عن أمجد الشافعي.. لا يزال الأمناء مثلما تركتهم حتى وإن اختلفت الوجوه.. تحاول نظرات بعضهم أن تعتصرني لتخرج مني ولو خمس جنيهات، تجاهلتهم وتوجهت مباشرة إلى المكان

TW. @Rabe3_elkotob

الذي يجلس فيه. كانَ منهمكًا يقرأ في شيء أمامه فمددت يدي أحييه لجذب انتباهه.

ـ أمجد، أنا بينار العوادي.. كنت جيتلك من فترة لو فاكر.

قام من مكتبه ومد يده ليصافحني وهو يتفحص ملامحي قليلاً، وكأن وجهي اختلف خاصة مع شعري القصير.

ـ آه طبعًا طبعًا فاكرك.. اتفضلي اقعدي، تشربي ايه؟

ـ لا ولا حاجة خالص.. أنا بس كنت عايزاك فـ موضوعين بسرعة.

ـ تحت أمرك.

ـ أول موضوع.. انت كان عندك حق فـ اللي قلته على الولاد اللي كانوا اغتصبوا البنت.. يمكن أنا كنت ضد الضرب ولازلت ضده صراحة.. بس أنا فهمت قصدك.. فهمته جدًا. بس حاول تتكلم مع اللي غلط حتى لو هتعاقبه.. صدقني الموضوع ده بيفرق.. أنا مقدرة جدًا اللي بتشوفه هنا وبيعدي عليك، الضغط النفسي اللي بتبقى فيه، بس برضه حاول. وبجد أنا آسفة لو كنت اتكلمت بطريقة مش ظريفة آخر مرة.

ابتسم ليقول: ولا يهمك.

ـ أما تاني موضوع بقى فـ ده خدمة معرفش هتقدر تساعدني فيها أو لأ.. حاليًا أنا شغالة على فكرة مكتب اجتماعي وتوعوي فـ الدويقة..هو تابع لجمعية خيرية وبدأت فيه..

ـ فكرة ممتازة.. بس برضه خدي بالك من التعامل مع الناس هناك.

ـ ربنا يستر.. الموضوع مش سهل، وبعدين المشكلة إن مينفعش تفضل حياتهم كده على طول.. بس على الأقل لما تقدم حاجة ولو بسيطة هتفرق..

TW. @Rabe3_elkotob

ـ أكيد طبعًا.. ربنا يقدرك.. محتاجاني أخدمك فـ ايه؟

ـ عايزة بيانات أهالي المسجونين من المنطقة.. لأن أولادهم بيكونوا معرضين يطلعوا زيهم أيًا كان سبب السجن ايه.. عايزة أركز معاهم..

ـ تمام جدًا، أكيد أقدر أساعدك فـ ده.

ـ ربنا يخليك.. ميرسي جدًا.

* * *

اكتملت الصورة النهائية لحواري.. حوار مع شاب من الدويقة.. مهمل.. منسي.

دخلت لأستاذ يحيى أحمل الحوار المبدئي والصور التي سأرفقها في حواري مع حمدي.. بدأ يقرأ بملامح وجه ثابتة، لم يبدِ أي تعليق، ثم نظر إلى الصور ليسأل فجأة:

ـ ايه الفايدة؟

كان ذلك أول سؤال قاله لي حمدي يومًا ما عندما طلبت عمل الحوار معه..

ـ الفايدة من ايه يافندم؟

ـ هو ده التحقيق؟

ـ ده حاجة أكبر من تحقيق.. ده إنسان عايش حياة مختلفة عننا وصعبة جدًا.. بيمثل ناس تانية كتير زيه.. كتير قوي.. لما أديله قيمة وأعمله حوار عن حياته وأحلامه وأحسسه إنه بني آدم.. يبقى أنا عملت حاجة أكبر من تحقيق.. تقدر تقول لحقته قبل ما يبقي تحقيق عنه.. لو مبيعرفش يقرا هيروح يتعلم عشان يعرف اللي اتكتب عنه.. مش عليه! ولو شايف إنه قليل هيحب صورته لأنه شكله

TW. @Rabe3_elkotob

مش قليل فيها، ولا لبسه مقطع ومبهدل رغم إنه عايش فـ ولا حاجة.. لما هيشوف الصور مش هيشوف المنظر حواليه.. هيشوف نفسه.. أما بالنسبة للناس اللي زيي وزي حضرتك.. فـ يهمني إن أوصلهم إن أحيانًا الفرق بينا وبين الناس دي الشكل اللي بره بس.. حتى التعليم مش دايمًا بيبقى فرق.. الحياة كفيلة إنها تعلم حاجات كتير.. أنا في ناس مدخلتش مدارس سمعت منها كلام مسمعتوش من ناس معاها PHD..

كان أستاذ يحيى ينظر إليّ.. منصتًا، وأعتقد أنني أستحق هذا الإنصات الآن..

ـ هممم، طيب تمام.. وايه موضوع المكتب الاجتماعي اللي بتعمليه ده؟

ـ مين قال لحضرتك؟ أحنيت رأسي أتمتم «أكيد بسمة طبعًا».. عادي كان عندي فكرة وعرضتها على جمعية خيرية واتوافق عليها.. هما ليهم مقر هناك، ووافقوا إن يكون ليا مكتب أنفذ منه اللي أنا عايزاه.

ـ ربنا معاكي.. سيبيلي الكلام ده وروحي على مكتبك دلوقتي..

بدأ يصبح للحياة معنى آخر.. لا أستطيع وصف سعادتي عندما أنجح في أي شيء أريد فعله لسكان تلك المنطقة. اكتفيت بحديثي مع أستاذ يحيى فقررت الخروج من المكتب سريعًا.. ترددت قبل أن أحدد وجهتي.. إما المنزل وإما.. خالتي. لم أزرها منذ وقت طويل. اختار عقلي بلا إرادة مني بأن أتجه إليها..

ركنت تحت العمارة أدخن سيجارة.. ما إن انتهت.. ألقيتها لأخرج من السيارة.. مرت لحظات لتستقبلني خالتي بأحضان حارة، لدرجة أنها لم تلمح للوهلة الأولى ما طرأ على شعري من

TW. @Rabe3_elkotob

تغيير. ولكنها ما إن أدركت ذلك وبختني على استحياء، خوفًا من أن أتركها مرة أخرى بلا عودة.. كانت حريصة في كل كلمة تنطقها لي.. جلست معها لا لأحدثها عما أفعله هذه الأيام ولكن لأحدثها عن مالك.. كانت تلك المرة الأولى التي أجيب على مزاحها (مفيش حاجة كده ولا كده؟) بإجابة تريح قلبها.. إنها المرة الأولى لي التي أشركها في شيء يحدث في حياتي.. لم أعطها فرصة من قبل. لا أعرف لِمَ حدثتها عن مالك الذي أعرفه منذ شهور قليلة.. ولم أذكر لها أي شيء من قبل عن أيمن رغم أنه كان معي لسنوات.. لا أستطيع أن أقول بأنني بدأت أشعر بإعجاب تجاه مالك، رغم أنه حاول بشتى الطرق أن يبدي إعجابه مؤخرًا.. إلا أنني أحب فيه مشاركته واهتمامه بكل ما أفعل. أصبح لا يهمني مقدار حب الآخرين لي قدر اهتمامي بمقدار تقديرهم لما أحب.

* * *

استيقظت مبكرًا صباح اليوم التالي كي لا أفوت اجتماع أستاذ يحيى.. منذ بداية نشاطي مع الجمعية أصبحت لدي طاقة أخرى مختلفة.. أصبح للصباح معنى آخر.. دخلت المكتب ولم أصدق ما وجدته على مكتبي.. لحظة اقشعر لها بدني ما إن وقعت عيني عليها.. أخذت المجلة من على المكتب وأنا أنظر حولي.. وكأنني أحاول أن أتأكد من أن هذا هو العدد الجديد لأبواب الدنيا.. أمسكت المجلة وعيناي مثبتة بها.. أنظر إلى صورة حمدي المبتسم ببدلته السوداء، وجلسته الوقور، وقد أصبحت صورته هي صورة الغلاف.. بدأت عيناي تشعر بمياه المحيط تتدفق منها، لا أدري لِمَ أصبح كل شيء يبكيني.. ولكن أعتقد أن ما يبكيني الآن هو أستاذ يحيى.. أستاذي الذي لم أفهمه يومًا.. ولم أشعر بمتعة عدم فهمه مثلما أشعر بها

TW. @Rabe3_elkotob

اليوم.. لم أسأل من وضع المجلة على مكتبي ولم أسأل لِمَ لم يخبرني بذلك.. ستصبح صورته على كل أغلفة هذا العدد.. ستصبح في كل مكان.. هذا الغلاف الذي يحوي عادة صور المشاهير والفنانين.. لا يوجد به سوى حمدي.. أنيقًا مبتسمًا.. لا توجد جريمة في العنوان الذي بجانب صورته.. تقدير منحه لي أستاذ يحيى قبل أن يمنحه لحمدي، بل.. ولكل من يسكن الدويقة وكل المناطق العشوائية.

فتحت المجلة أنظر إلى حواري معه والمقدمة التي كتبتها عنه.. لم يحذف كلمة..

* * *

كان مالك أول من خطر ببالي عندما رأيت المجلة.. خاصة لوقوفه الدائم بجانبي.. أشعر عندما أحدثه بأن اهتمامه يفوق اهتمامي.. يشعرني بأن كل كلمة أنطقها له لها معنى..

اتصل بي بعد عودتي إلى المنزل.. أخبرني بأنه يريد رؤيتي اليوم.. انتظرته حتى وصل.. أخذني إلى مكان لا أعرفه.. بعد لحظات ظهر النادل ليضع كعكة كبيرة.. وضع فوقها من حلوى الفوندان شكل بيانو تقف بجانبه فتاة تحمل في يدها مرآة.. كمرآتي..

نظرت إليه في سعادة لم أتوقع مفاجأته تلك..

ـ ده المفروض البنت المكعبرة دي أنا؟

ـ معلش بقى.. أنا كنت عايز أعملك مفاجأة عشان الحوار بتاعك.. كان نفسي قوي أعملك أي حاجة بتحبيها.. حطيتلك بيانو، أهو محرمتكيش من حاجة.. وافتكرت موضوع المراية اللي حكيتيلي عليه.. حسيت إنك متعلقة بيها قوي فـ.. بس.

كانت عيناي معلقة به.. كيف ترك كل التفاصيل التي حولي واختار حقًا أكثر الأشياء التي تعلقت بها، لم أحدثه سوى دقائق عن

TW. @Rabe3_elkotob

تلك المرآة ولكنه قرأ في كلماتي مدى حبي لها وكأنني أرى بها إنسانة أخرى.. جديدة.

كل شيء في حياتي أصبح وكأنه جديد ومختلف.. جميلة هذه الحياة عندما يحدث فيها شيء صغير ليقودك إلى ما هو أكبر.. فتظل هكذا تنتقل من كبير إلى أكبر.. لن تكتفي إذا ما أردت الحياة.. لن تكتفي إذا ما أردت أن تصبح لتلك الحياة معنى آخر ولونًا آخر.. ستدرك أنك لم تكن تعرف شيئًا بعد.. سيصبح نبضك تذكرة بأنه لازال لديك وقت لكي تدرك من أنت.. لازال لديك وقت كي ترى حقيقة عالمك تتجلى في مرآة روحك.. لتصبح روحك وقتئذ روح فريدة.. حتى وإن كان ما بقي لك من الوقت، قليل.. كلمة قد تنطقها أو تسمعها حتى لو كانت قبل لحظات من موتك، قد تغير مصير حياتك الأبدية.. قد يتبدل عالمك في لحظة.. نبضة أخيرة قد تحدث فارقًا فيك وفي عالمك.

تمت

TW. @Rabe3_elkotob

TW. @Rabe3_elkotob

شكر خاص

الكاتب أحمد مراد.. كل الشكر والإعزاز لمساندتك لي ووقوفك بجانبي حتى رأت كلماتي النور.

نوران حسن ـ وليد العطار ـ ندى جنيد ـ ضحى أحمد ـ نورهان محمد ـ أحمد يحيى

TW. @Rabe3_elkotob

مِرآة فريدَة

بينار العوّادي.. صحفية شابة، تعيش وحدها حياة بلا هدف منذ وفاة والدتها.. يختلف كل شيء حينما يطلب منها رئيس التحرير تحقيقًا جادًا.. تقبل التحدي لتفاجأ بأنها أقحمت نفسها في عالم شائك، يقودها التحقيق الى طرق العالم السفلي للعشوائيات والتوغل في جذوره المظلمة.. رحلة إلى عالم داكن لا ألوان فيه، عالم لم تكن تعرف عنه شيئًا.. تتوالى المفاجآت القدرية التي تكشف لها أسرارًا عديدة توصلها لهزات نفسية عنيفة تختلف بعدها حياتها.. إلى الأبد..

تصوير أحمد مراد

رهام محمد راضي.. كاتبة مصرية من مواليد عام ١٩٨٥، تخرجت عام ٢٠٠٧ في كلية آداب إعلام قسم إذاعة وتليفزيون، وتعمل كأخصائية تطوير أعمال، تُعتبر "مرآة فريدة" أول عمل روائي لها..

للنشر والتوزيع